Risto Santala

المسيا

في العهد القديم

THE MESSIAH IN THE OLD TESTAMENT

المسيا في العهد القديم

Risto Santala



هذا الكتاب

"المسيا" في نبوات العهد القديم في ضوء ما سطره أنبياء وأحبار اليهود وقد ظهر في خمس طبقات عبرية في إسرائيل.

وهو يمثل الدراسة الأولي المكتوبة باللغةالعبرية الحديثة بواسطة شخص عالم من الأمم وليس يهودياً.

طبقاً لما قاله الكاتب فإنه قد قدم وثبة وطفرة عالية على غرار تلك الوثبة الإعجازية لعبور البحر الأحمر بقيادة موسى النبي فلا شك أن الموضوع الذي خاضه في هذا الكتاب حساس وحرج فكأنه يدخل إلي عرين الأسد لمواجهة الحاخامات وأحبار اليهود وكمن يلقي نبتة في أتون النار المستعرة التي يشعلها في وجهة أولئك اللاهوتيون اليمينيون المتطرفون.

ولكن المؤلف رغم ذلك يأمل ويرجو أن يكون هناك أخرون يتبعون ما قدم، ويقدمون حوارات مماثلة يسودها روح التسامح والديموقراطية الدينية.

في هذا الكتاب أفضل ما سطر عن هوية وماهية ربنا وإلهنا يسوع "المسيا" بإيجاز وإيضاح محكم وبارع.

المسيا

في العهد القديم

Risto Santala

الكتاب: المسيا في العهد القديم

الكـــــاتب: ريستو سانتالا.

الناشر: Key media

الجمع والإخراج الفني والطباعة

لوجوس *Future Media*

تليفون: ٦٩٠٦١٩٥

فاكس: ٢٩٠٦١٦١

ص . ب . ٢٤٥٥ الحرية- هليوبوليس

E-mail: logsoscenter@yahoo.com

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٧٨٧٨

الترقيم الدولي: ٩٧٧-٣٨١-٠٠٧٠٥


المحتويات

الطبيعة العامة لوظيفة المسيا في الأنبياء

أنبياء المملكة الشمالية، إسرائيل

- عاموس النبي
- هوشع النبي
- يونان النبي،

أنبياء المملكة الجنوبية، يهوذا

- رؤية عوبديا،
- رسالة يوئيل المسيانية
- صفنيا
- حبقوق النبي
- ميخا النبي
- إشعياء النبي
- إرميا،

الأنبياء الذين كانوا ناشطين أثناء السبي

- رسالة حزقيال المسيانية
- دانيال،

الأنبياء الذين ظهروا بعد السبي

- حجي
- زكريا
- سفر ملاخي

ميلاد وشخصية المسيا

آلام المسيا في الأنبياء

ماذا نقول إذن عن ذلك؟

المقدمة

مـــن أكثر الكتب شهرة في قرننا كتاب الجذور لأليكس هالي. وقد تُرجم إلـــى العديد من اللغات بل وحتى تحول إلى فيلم. في هذا الكتاب يبحث شخص أمريكي أسود عن أصوله حتى ينتهي به الأمر إلى قرية نائية بالقارة الأفريقية. إن مـــثل هـــذا البحث في الأنساب يمكنه أن يساعدنا في فهم سلطتنا وميراثنا، وأيضاً في تقدير إنجازات الأجيال السابقة؛ بل أنه من الممكن أن يساعدنا أيضاً على فهم أنفسنا.

ينبغي على الكنيسة المسيحية كذلك أن تدرس جذورها الخاصة الظاهرة في العهديـــن القديم والجديد. ومع ذلك، فإن أصول كليهما تنتمي إلى أراضي بعيدة مع طوبوغرافيا (الوصف أو الرسم الدقيق للأماكن أو لسماتها السطحية) ولغة غريبتين عنا اليوم إلى حد بعيد.

إن الرســـالة الأساســـية للكتاب المقدس واضحة تماماً. فهو نفسه يخبرنا "فتشوا في سفر الرب، واقرءوا!"

"هكـــذا قـــال الرب. قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم"[1].

إن الطـــريق الـــذي وجدتـــه الأجيال السابقة جيداً يميل إلى أن يذهب في طي النســـيان. فالعـــرب يقولون إن "الطريق أحكم من الرفيق". وقد تم الاعتداء في أحيان كثيرة على أساسيات الإيمان المسيحي بشكل عنيف. إن الرسالة البسيطة للكـــتاب المقـــدس كافية في شكلها المكتوب دون أن تستلزم بالضرورة وجود جمـــيع المفســـرين الذين لديها. لكن هذه الحقيقة بالتحديد، أننا أصبحنا مغتربين أكـــثر فأكثر عن جذور إيماننا ومن ثم فهي تقدم لنا سبباً وجيهاً لمباشرة بحثنا الروحي في الأنساب.

---

١ إشعياء ٣٤: ١٦ وارميا ٦: ١٦

وبالـــرغم مـــن أن الكتاب المقدس في شكله المكتوب يتحدث عن وقائع الحياة البســيطة، إلا أن بعض حقائقه لا يمكن أن تُرى إلا بعيون الإيمان. وفي حديثه عن هــذه الأمــور، يســتخدم العهد الجديد الكلمة اليونانية *mysterion*، "السر" – "سر ملكوت السماء"، "سر الإنجيل"، "سر الله"، وحتى "سر الإيمان". وأكثرهم تكراراً هو "سر المسيح". إن سر المسيا هذا يتعلق إلى حد بعيد بنبوات العهد القديم التي كثيراً ما نجهــل طبيعــتها وخلفيتها. فهناك نجد أن كلمات بطرس وثيقة الصلة بالموضوع، عــندما يقــول إن، "كــل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص .. بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس"[٢].

وعلـــى مـــثال الكاتب أليكس هالي، سيتحتم علينا في محاولتنا لاستكشاف سر المســيح أن نعــبر المحيط الواسع للتاريخ ونرجع إلى زمن بعيد. سوف يكون من الضــروري لنا أن نعالج وثائق قديمة تختلف مفاهيمها، وأسلوب عرضها، وأنماط فكرها عن تلك الخاصة بنا. ومع ذلك، فإن هذه الجذور الأولى لإيماننا تمتد رجوعاً إلـــى زمن يسوع، وهي تمثل طريقة التفسير التي حصلنا عليها من الزمن الذي وُلد فيه الإيمان المسيحي. ذلك هو التحدي الذي سنواجهه معاً.

تتأســس هذه الدراسة في الجذور على كتابين من تأليفي، وقد كُتبا في الأصل باللغة العبرية، وهما "المسيح في العهد القديم" و"المسيح في العهد الجديد – في ضوء أدب الأحبار". وهما نتيجة اهتمام خاص استمر على مدى أكثر من ٣٥ عاماً ووُلد وسط الشغل العملي في تواصل مع العلماء اليهود. حيث أن الأمر كذلك، يمكننا أن نطمئن واثقين من أنهما لن يحتويا على لاهوت نظري محض. ذلك بالإضافة إلى أن هــناك مصـــادر عبرية متخصصة، ما يقرب من ٣٠٠ أثر أدبي – وفقاً لملفاتي – بلغات متعددة، تختص فقط بالفكرة المسيانية قد تركت أثرها على خلق خلفية العمل.

إننـــي أشـــير في كتابي العبري الأصلي عن العهد القديم إلى الرواية اليهودية التقليدية عن نحشون، التي وفقاً لها كان الرجل الذي يحمل ذلك الاسم هو أول مـــن قفـــز فـــي البحر الأحمر عند عبور الإسرائيليين بأمر موسى – ثم تبعه الـــباقون. إن هذه الدراسة في الجذور هي نوع مماثل لوثبة الإيمان إلى منطقة

---

٢ ٢ بطرس ١: ٢٠ – ٢١

واسعة جداً كما أنها في الواقع غير معروفة نسبياً. أنا أعلم في الوقت ذاته أنني أخطـو نحـو جـب أسـود الأحبار وآتون نار اللاهوتيين الليبراليين – لكن، وباستخدام تشبيه يفهمه جيداً اليهود المتعلمون، هناك "رابع" إلى جانبي، و"الفاهمون يفهمون"[٣].

ومع ذلك، فإن هذا الكتاب لا يتوجه فقط إلى "الفاهمون". سوف نحاول أن نكتب بطـريقة يتمكـن بهـا أيضاً غير المتخصص من أن يقرأه ويستفيد – إذ لا يجب بالضرورة أن يكون البحث محيراً حتى يصير علمياً. أما إذا ابتغى القارئ أن يتبحر في بعض التفاصيل فسوف يجد مراجع دقيقة في الحواشي.

سـوف نتبع إجراءات مميزة لأدب الأحبار، وأساليب سوف تتم مناقشتها فـي الـبداية، وهي ربما تبدو لنا غريبة جداً. ومع ذلك، فقد كُتب العهد الجديد نفسـه بعـد أن تـم الحصول على قوانين ذات طبيعة مشابهة. وجزء من هذا التقلـيد هـو أن الأشـخاص الذين تُقتبس أقوالهم يُذكرون دائماً بالاسم، وبذلك يتمكن القارئ من نسب الحجج إلى الأوساط الصحيحة.

ربمـا يكـون هذا بالتحديد حجر عثرة لهؤلاء الذين يصعب إرضاؤهم لكنهم يسـيرون في الطريق الخطأ. فالقديس بولس يقول، "فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكـن عبداً للمسيح"[٤]. لقد تعلم هذا الموقف من سيده الذي أعلن بقوة، "كيف تقدرون أن تؤمـنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض؟"[٥] إن الكنيسة تتعرض في الوقت الحالـي لأزمة حادة في العقيدة، وعن طريق اتخاذ وقفة مصممة يمكن عندئذ فقط للوضع أن يصبح أكثر صحة بطريقة أو بأخرى. ففي أحيان كثيرة جداً نفكر بعناية شديدة فيما ينبغي أن نقوله حتى أننا لا نقول ما نعنيه. وبهذه الطريقة فإننا نسيّج حول التناقضات ثم نتركها للآخرين حتى يتمكنوا من حلها. وبالرغم من أن كنيسة اليوم قد اتُهمت بأشياء كثيرة، إلا أننا من الصعب أن نتهمها بكونها صارمة جداً أو باتخاذها موقـف متصـلب جداً. فاللاهوت من جهته كثيراً ما يتراجع إلى مناقشة مواضيع غامضـة جداً لدرجة أنها قد لا تكون لها صلة بالعالم على اتساعه، فيتحاشى بالتالي الاحتياج إلى إعلان موقفه بخصوص أساسيات الإيمان.

---

٣ دانيال ٣: ٢٥ على الفتية الثلاثة في آتون النار يخبرنا أنه كان هناك أيضاً رابع "شبيه بابن الآلهة". انظر أيضاً دانيال ١٢: ١٠.

٤ غلاطية ١: ١٠

٥ يوحنا ٥: ٤٤ و١٢: ٤٣

لكن ما هي إذن هذه الأساسيات؟ لقد أعطى لوثر الإجابة بأننا يجب أن "نرفع المسيح"؛ وذلك يعني أن المسيح يجب أن يكون المركز لكل تعليمنا ووعظنا. في اللاهوت الذي سيقودنا إلى دراسة جذور الكريستولوجيا (تفسير شخص وأعمال المسيح)، أي إلى دراسة النبوات المسيانية. إن الإنجيل في التطبيق ليس أكثر مِن مَن هو المسيح وما الذي فعله لأجلنا. بل أن حتى رؤيا يوحنا تذكرنا بأن "شهادة يسوع هي روح النبوة"[٦].

هل سنعود معاً إذن إلى جذور إيماننا؟ إن الشجرة تتلقى التغذية من جذورها. كما أن هذه الجذور تحفظها ثابتة بشدة أثناء العاصفة. وكلما زاد عمقها في التربة كلما زادت فرصة الشجرة في مقاومة الرياح. يمكننا بالطبع أن نؤدي معاً "وثبة نحشون" الخاصة بنا بالرغم من أنها سوف تتطلب بعض الجهد من جانبنا. إن الرسول بولس في رسالته إلى كولوسي يتحدث عن "المسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم". لذلك فهو يحضننا إلى حد أبعد بالكلمات، "فكما قبلتم المسيح يسوع الرب، اسلكوا فيه، متأصلين ومبنيين فيه وموطدين في الإيمان .."[٧]

أتمنى ذلك لقرائي.

كوكيلا في ٢٢ يناير ١٩٩٢

ريستو سانتالا

---

٦ رؤيا ١٩: ١٠

٧ كولوسي ٢: ٣، ٦- ٧

الفصل الأول

المسيا في البحث العلمي

لقد كان مفهوم المسيا عاملاً موحداً وأيضاً مفرقاً بين المسيحية واليهودية. إذ يتحدث عنه المسيحيون باعتباره تحقيقاً للنبوات، في حين يحاول اليهود إلغاء التفسير المسياني للكنيسة. إن كان الأمر كذلك، ينبغي علينا أن نحاول على الأقل الإصغاء إلى بعضنا بعض، ومناقشة الجذور المشتركة لتقاليدنا الخاصة. وفي الواقع، فإن مثل هذه المناقشات قد حدثت بالفعل.

ففي أكتوبر ١٩٧٦ اجتمع ممثلون من الكنائس الإنجيلية والمجامع اليهودية في برلين من أجل مناقشة مشتركة أصدروا عنها بياناً عاماً رسمياً. وذلك شجَّع المسيحيون على أن يجعلوا أساسيات إيمانهم معروفة لليهود، والعكس صحيح. وكان هناك شعور بأن هذا النوع من الحوار يمكنه أن يعزز الفهم المتبادل. ومع ذلك، فإننا في مناقشة هذه الأمور لا نتحدث في فراغ: إذ يوجد وراءنا تاريخ يقترب من ألفي عامٍ من الجدال. فقد خلق الاختلاف ما بين الديانة الأم والديانة الابنة صراعاً ذا أبعاد درامية لا زال مستمراً. إلا أن مقارنة الأصول اليهودية والمسيحية سوف تظهر لكلا الحزبين الطريق نحو فهم أفضل لجذور إيمانهم الخاص.

جدال "لاهوت التحقيق"

لقد اعتبرت الكنيسة المسيحية بشكل تقليدي أن المسيح هو التحقيق لنبوات العهد القديم. ومع ذلك، فإن إحدى نتائج الجدال الديني في زماننا هو أن بعض اللاهوتيين المسيحيين، هؤلاء الذين يمثلون الموقف الليبرالي جداً، قد شككوا في هذا النوع من التفسير، وذلك في جزء منه لأنه يمكن بهذه الطريقة إزالة الحواجز الرئيسية للحوار اليهودي – المسيحي.

وفـــي خريف ١٩٨١ كان د. جون باوليكويسكي من شيكاغو في إسرائيل يقـــدم محاضرة ضد "لاهوت التحقيق" إلى الجمهور اليهودي، مقترحاً بدلاً منه فكـــرة الوحي الذي يتكشف باستمرار. فقد دافع عن أن مسيانية يسوع تأسست أصلاً على وعيه الخاص بدعوته.

وفـــي وطنـــي النائـــي فنلندا أعلنت مجلة كنسية أن هذا "الإصدار من الكتاب المقدس هو بلاء متقيح في قلب الكنيسة الأم". فقد رأى الكاتب المشكلة بشكل خاص باعتـــبارها النبوات المسيانية، "التي تلعب دوراً مركزياً في العهد الجديد، وذلك لأن كتّاب العهد الجديد يقرءون العهد القديم باعتباره كتاباً يصلح كمرجع ثابت للخلاص الذي يختبره الناس في المسيح. ومع ذلك، لا يجب على المرء أن يكون مفسراً كبيراً حتى يدرك أن *مثل هذه الجسور من عهد إلى آخر هي اصطناعية بلا استثناء، كما أنها ليست مقنعة بالنسبة لهؤلاء الذين يفكرون بشكل منطقي*"[١].

وهو يصرح على نفس المنوال أن "الميلاد العذراوي مثلاً وعقيدة التثليث كانا موضع تساؤل نتيجة للدراسات النقدية للكتاب المقدس". لقد ترددت أصداء هذه الأفكار وما شابهها في كثير من الأبحاث اللاهوتية. وهم يؤكدون أن هذه الأمـــور "قـــد وضـــحت في المائتي عام الأخيرة"، وأنها "الملكية العامة للبحث المســـتمر والمصدق عليه عالمياً بصفة عامة"، يبلور أحد أولئك العلماء حجته بقولـــه إنه: "ليس هناك دارس للعهد القديم يدّعي، أو باستطاعته أن يدّعي على أي أســـاس، أن الإصـــحاحين ٩ و٥٣ من إشعياء ومزمور ٢٢ يتحدثون عن يسوع". وهو يعمم قائلاً، "إن اليهود لا يقبلون يسوع باعتباره المسيا. فهم يرون فـــي عبد الرب المتألم قبل كل شيء دولة إسرائيل"[٢]. وقد صدرت تصريحات مماثلة في البحث العالمي المستمر. لكن هل هذا أيضاً حقيقي؟

لا يمكـــن لأحد بالطبع أن يطالب بأن يظهر *اسم* يسوع في نبوات العهد القديم قبل أن تُطبق عليه. إننا نفهم تماماً ما الذي كان يسوع يقصده عندما ذكر أن موسى قـــد تحدث عنه. وحتى بعد القيامة قيل عنه إنه ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء "يفســـر لهمـــا الأمور المختصة به في جميع الكتب". لقد عمل يسوع بطريقة كانت

---

١ **Dr. Timo Veijola in *Pappisliiton Jasenlehti.***
٢ **Prof. Risto Lauha.**

مفهومـــة لمعاصـــريه، كمـــا أن كل التفسير اليهودي من زمن يسوع إلى العصور الوسطى، وحتى يومنا الحالي، يتأسس على نفس الأسلوب. ومن جراء هذه الحقيقة بالتحديد وهي أن أساسيات "لاهوت التحقيق" تبدأ في التلاشي، فإننا سوف نحاول فيما يلي أن نتحدث عن جذور إيماننا.

الموقف التقليدي لليهودية

لقـد تـم تجاهل مفهوم المسيا تماماً في اليهودية، وتُرك بالكاد في منزلة الربيـب. فعـند البحث في المكتبات اليهودية نادراً ما سوف يظهر كتاب ولو صغير على التوقع المسياني في وسط الأدب الواسع عن *التوراة*، أي الناموس الـيهودي. أمـا تفسـير الهالاخا[3] *Halakha* فقد استولى بالكامل على موقف الوصـي لحياة اليهود الدينية، وأصبحت التوراة بديلاً لفكرة الخلاص الكتابية. فقد صرّح فرانز دليتزش، وهو ربما أكثر خبراء زمانه عمقاً في اليهودية، إن الـيهود لـم يعـودوا يؤمـنون بالمسيا. لكنهم بالحرى لديهم التوقع العام بأن تحريـرهم سـوف يحـدث بـدون شخص المسيا. وإلى جانب هذا "التضييق القومـي"، فقدت اليهوديةِ أيضاً طابعها العالمي[4]. ولم يكتب العلماء اليهود، في المجمـل، عـن مفهوم المسيا سوى في أعمالهم الدفاعية فقط. وأكثرهما أهمية همـا كتاب الحبر ديفيد كيمهي *"كتاب العهد، مناظرات راداك[5] مع المسيحيين"* فـي آخـر القرن الثاني عشر، و*"تشديد الإيمان"* لحبر من القرن السادس عشر يُدعى اسحق بن أبراهام تروكي من طائفة "كارايم"[6] Karaim.

يـتلخص الإيمان اليهودي المسياني في الآثار الأدبية للعالم القروسطي موسى ميمونـيدس (رمـبم – أي الحبر موسى بن ميمونيدس)، الذي قيل عنه "من موسى إلى موسى لم يقم أحد مثل موسى". وهو، في كتابه *"فرائض الملوك"*، يكثف كل ما لديـه ليقوله عن المسيا في ست صفحات: المسيا الملك سوف يكون أولاً وقبل كل شـيء معلمـاً للـتوراة؛ وهو سوف يعيد عقوبات ناموس موسى المتشددة ويسن

---

٣ إن كلمة هالاخا تعني "قرار"، "معيار"، تعليم قانوني "منظم". وهي كلمة حبرية مشتقة من هلاخ halakh، أي يسير. وهي جزء من المشنا Mishna، أي تفسير الناموس.

٤ Franz Delitzsch, "Messianische Weissagungen in geschichtlicher Folge", Leipzig ١٨٩٠, p ١١, ١٠٢

٥ كانت أسماء الحكماء تُكتب بهذه الأشكال المختصرة في أدب الأحبار، أي حبر Rabbi ديفيد كيمهي.

٦ إن طائفـة كـارايم، التـي لا تقبلها اليهودية الرسمية، تؤسس تفسيرها على العهد القديم وحده وليس على التقليد اليهودي. والكتب المذكورة هي باللغة العبرية.

قوانيـــنه الخاصة التي سيُجبر الناس عندئذ على التقيد بها؛ سوف يشن أولاً *الملحمة ميتسـفاه* *milhemet mitssvah*، أي حـــرب الفرائض، وعندئذ فقط يسقط القوى المسيطرة، كما أنه سيبني الهيكل أيضاً.

وعـــندما يذكر رمبم يسوع، فإنه يتحدث باحترام مستخدماً الشكل الكامل لاســمه يشوع، أي "المخلص"[٧]. أما وفقاً للبحث الافترائي القروسطي *تولدوث يشـــوع* *Toldoth Yeshu* ، فـــإن حـــروف أقصر ترجمة وأكثرها استخداماً للاســم، يشـــوع *Yeshu*، كانـــت اختصاراً لعبارة "ليت اسمه وكل ذكرى له يُمحـــوا". ويعلـــن رمبم في كتيبه أن "يسوع الناصري الذي ظهر أنه المسيا قد حُكـــم علـــيه بالموت تبعاً لأوامر المجمع العظيم"، وأن "تعاليم يسوع الناصري وذلك الإسماعيلي (محمد) الذي جاء بعده كانت تسعى لأن تمهد الطريق للمسيا الملـــك وتســـتعيد العـــالم كله كي يخدم الله كله معاً". إن هذا المرجع الإيجابي يذكّرنا بالكلمة التي استخدمها جوزيف كلوسنر في كتابه *"يسوع الناصري"*. فقد كان يسوع بالنسبة له مثل المستكشف لملكوت الله[٨].

ويصرح جيمس باركس في كتابه *"صراع الكنيسة مع المجمع اليهودي"*،

قـــبل خراب أورشليم، فر المسيحيون الأوائل إلى الضفة الشرقية للأردن والفريســـيون إلـــى يبنة – لهذا السبب لم يكن اليهود يملكون في غياب الهيكل سوى التوراة كأساس لوجودهم الروحي"[٩].

وكان التحرر الأخير من الوهم بالنسبة لهم هو عندما أعلن الحبر أكيبا أن ســـيمون بـــار كوخبا هو المسيا. كما أن الكارثة العسكرية التالية أبعدتهم تماماً عـــن التفكـــير المســـياني ونتجـــت عنها يهودية هالاخاه مبسطة أصبحت فيها التشـــريعات العبرانـــية بديهـــية. ومع ذلك، فسوف نرى أن المصادر الأولى للمجمـــع كانت لا تزال تتحدث بقدر كبير عن المسيا وهي تشير إلى مجموعة كاملة من المعلومات أكبر من تلك التي تمتلكها الكنيسة المسيحية.

ولقد بدأ الاهتمام بالمسيا يزداد حقاً عند نهاية القرن الماضي. ومنذ ذلك الحين تمـــت دراســـة الموضوع، ونذكر هنا بعضاً من الكتّاب اليهود، ليو بيك، س. ج.

---

[٧] RaMBaM, Hilchot Melachim, ١١: ٤.

[٨] J. Klausner, *"Jesus von Nazareth"*, Jerusalem ١٩٥٢, p٥٧٤

[٩] cf Bibl.

مونتيفيوري، مارتن بوبر، جرشوم شولم، جوزيف كلوسنر، ديفيد فلاسر، بن تشورين وآخرين أقل شهرة[10]. وقد انحسرت التحيزات السابقة إلى درجة أن محاضرات العهد الجديد تقدم الآن في جامعة أورشليم العبرية، بل أن هناك مقتطفات مختارة تعلّم في المدارس أيضاً.

دراسة مسيحية للمصادر العبرية

في العقود الأولى من هذا القرن ظهر اهتمام شديد بأدب الأحبار في الأوساط المسيحية. ونتج عن ذلك الكثير من الأعمال البارزة التي أنارت الخلفية اليهودية للمفهوم المسياني، وأشهرها أعمال هوجو جريسمان، موريتز زوبيل، س. موينكل، يوجين هوهن، ول. دور. إن هذه الدراسات ومثيلاتها، التي وضعت الأساس لكتب جوزيف كلوسنر، تسعى لشرح التوقع المسياني بطريقة تاريخية، لكنها تتجاهل بشكل بيّن طبيعته الدينية[11].

لعل الطابع اليهودي الخاص للمفهوم المسياني قد فُهم بأكثر عمق في القرن التاسع عشر بواسطة ألفرد إدرشيم، وإي. و. هنجستنبرج، وفي زماننا بواسطة جوستا ليندسكوج على سبيل المثال. كما يُعتبر العرض العام للنبوات المسيانية الذي قام به الكاتب الشهير فرانز دليتزش، المذكور أعلاه، منقطع النظير[12]. فبإمكاننا أن نقول إن اللاهوتيين المسيحيين قد تناولوا مصادر الأحبار منذ قرن مضى بشكل أكثر جدية مما يقومون به في زماننا.

والجدير بالذكر أن هؤلاء المدافعين المسيحيين الذين كان هدفهم هو الدفاع عن إيمانهم والذين استخدموا أدب الأحبار هم ألكسندر ماكول، ولوكين ويليامز، وبرنهارد بيك. وقد قارن د. ماكول بين عقائد التلمود والعهد الجديد. وظهرت كتبه بالإنجليزية، والألمانية، وحتى في المخطوط العبري لراشي[13]. كما أجاب أ. لوكين ويليامز على كتاب تروكي الجدلي "تشديد الإيمان" بأثر أدبي كتب ستراك مقدمته[14].

إن الاطلاع على الجهد الشامل الذي قام به المثقفون في سبيل توضيح جذور المفهوم المسياني يستحق عناء الاهتمام. إذ يحاول البحث التاريخي النقدي أن يقوّض

---

[10] Cf Bibl.
[11] Cf Bibl.
[12] Cf Bibl. من أجل الأعمال الرئيسية.
[13] RaSHI script
[14] cf Bibl.

الطابع المسياني الخاص بالكتاب المقدس، وذلك لأنه يوجد توقع مشابه للخلاص فيما بيــن الشــعوب الأخرى؛ ونتيجة لتحررهم من الوهم التاريخي، فإن الكتّاب اليهود يمــيلون إلى إنكار المسيا الشخصي – كما أن الجزء الأكبر من علماء اليوم يميلون إلى تضييق الرجاء المسياني إلى ما هو في وجهة نظرهم بضعة نبوات كتابية ثمينة يمكن أن يتأسس عليها.

إرثنا المشترك

إنــنا كثــيراً ما ننسى أن كلا من اليهود والمسيحيين المخلصين يمتلكون نقطــة بدايــة مشتركة لتفسير الدراسات الكتابية. ففي الصلوات اليومية، التي تُدعــى ســيدور "Sidur" بالعبرية، يوجد مقطع طويل من الصلوات الصباحية الجمــيلة. وهــو يتضمن "ثلاثة عشر مبدأ للإيمان" ينبغي أن يتكرروا كل يوم. وفيها نقرأ ما يلي:

المادة ٦: "أؤمن إيماناً كاملاً أن *كل كلمات الأنبياء صادقة*".

المادة ٧: "أؤمن إيماناً كاملاً أن *نبوة موسى* معلمنا، عليه السلام، *صادقة، وأنه كان أول الأنبياء*، سواء هؤلاء الذين سبقوه أو الذين لحقوه".

المــادة ١٢: *أؤمن إيماناً كاملاً بمجيء المسيا*، وحتى لو توانى، فسوف أنتظر مجيئه في كل يوم".

المــادة ١٣: أؤمــن إيماناً كاملاً أنه سوف *تكون هناك قيامة للأموات بحسب الوقت الذي يرضي الخالق* تبارك اسمه .."[١٥]

إن كل عضو في المجتمع اليهودي مُلزم بأن يقبل هذه الكلمات التي كتبها موســى ميمونــيدس رمــبم الشهير (١١٣٥ – ١٢٠٤). وهي تشبه الكلمات الــواردة فــي لوقــا ٢٤: ٤٤ وأعمال ٢٨: ٣٣ التي بُني على أساسها المنهج المســيحي على النبوات الموجودة "في ناموس موسى والأنبياء والمزامير". إن هــذا "التفسير المسياني" ليس "جسراً اصطناعياً". وكل هذا يثير سؤالاً عما هي المصــادر الأخــرى التــي ينبغــي أن تُســتخدم لإماطــة اللــثام عن جذور الكريستولوجيا (التفسير اللاهوتي لشخص وعمل المسيح).

---

[١٥] الصلوات اليومية، طبعة جديدة راجعها د.م. ستيرن، نيويورك ١٩٢٨

من وجهة النظر العلمية يجب أن يكون ممكناً التصديق على تبرير التفسير المسياني لتلك المقاطع من العهد القديم التي أشارت فيها تعليقات العهد القديم اليهودية المألوفة والمقبولة بشكل عام على المفهوم المسياني، وتلك التفسيرات التي استنتج العهد الجديد أنها مسيانية. فكلما قدُم تقليد التفسير، كلما ازداد الوزن النسبي الذي يمكن أن يُنسب إلى المصدر باعتباره دليلاً أصلياً للمفهوم المسياني.

إلا أننا يجب أن نضع نصب أعيننا بالطبع أن العهد الجديد يتحدث عن "سر المسيح"[١٦]. ويرتبط بهذا السر المسياني معالم تاريخية و"كونية" وروحية ودنيوية لا ينبغي إضعافها. يصبح ذلك جلياً من المصادر اليهودية القديمة على وجه التحديد.

ربما يكون من غير الممكن دراسة الظواهر الروحية أو تلك التي تنتمي لتاريخ الأفكار عن طريق منهج تاريخي نقدي محض. فقد قيل إن اسحق نيوتن اكتشف قانون الجاذبية عندما سقطت التفاحة على رأسه. لكننا لو قطعنا هذه التفاحة إلى أجزاء فلن نجد القانون بداخلها – كذلك فإنه ليس من المرجح أن يجده الجراح في رأس نيوتن: لقد كان في مكان ما بين التفاحة والرأس. لا يمكن للظواهر الروحية أن تُشرَّح، لكن يجب أن تُضفى عليها صفة ذاتية. ينطبق ذلك أيضاً على السر المسياني.

لو أننا درسنا الكتاب المقدس وأدب الأحبار بدقة، فإننا لابد من أن نندهش من وفرة التفسير المسياني في الآثار الأدبية الأولى المعروفة لنا. إذ تذكر إحدى المقولات العبرية، *"أنا لم أبحث لذلك لم أجد – ثم بحثت فوجدت"* وتقول أخرى، *"عندما نكشف راحة يدنا، فإنه لا تزال هناك راحتان مختبئتان"* – أي أننا عندما نتفحص موضوعاً، فإننا نجد وراءه تحديين جديدين لم يكن بإمكاننا رؤيتهما بدون النظر إلى الأول. ويذكر التلمود في وضوح: *"إن جميع الأنبياء لم يتنبأوا سوى لأيام المسيا"*[١٧].

---

[١٦] على سبيل المثال أفسس ٣: ٤ وكولوسي ٢: ٢

[١٧] *Berakoth* ٣٤b

الفصل الثاني

اختيار الطريقة الملائمة للدراسة

مـــا هي الطريقة الصحيحة لوصف السر المسياني؟ كيف يمكننا أن نجد "الصـــوت الحقيقـــي"، *ipsissima vox*، الـــذي يشرح الكتاب المقدس بروح الكـــتاب المقـــدس؟ إنـــنا نتوقع منحة تعليمية بشكل رسمي كي نتقيد بالأساليب المحـــددة ســـلفاً. إذ يحق أن نقول أن كثيراً مما يُدعى "النبوات المسيانية" التي يشـــير إلـــيها العهد الجديد يمكن تفسيرها في سياق المراحل الأولى من تاريخ إســـرائيل، أمـــا لو تحدثنا بشكل علمي، فإن هذه الخلفية التاريخية هي النموذج الوحـــيد للتفسير الصحيح والشرعي الذي لديه أي احتمالات بالنسبة للموضوع. بالرغم من ذلك، فقد فهم كتّاب العهد الجديد النصوص "بشكل نبوي" وقدموا لها تفســـيراً كريستولوجياً. هذا يعني أنهم لم يواصلوا العمل "بشكل تاريخي نقدي" أو بشـــكل علمي على نحو صارم، بالطريقة التي تمنى اللاهوتيون العصريون أن يقومـــوا بها: فمثل هذه الطرق للتفسير تُعتبر اصطناعية بالنسبة لنُقاد اليوم. لذلـــك يجـــب أن نسأل أنفسنا، هل يعكس المنهج "فوق التاريخي" للعهد الجديد الخـــواص* الرئيســـية للتفسير المسياني كما ظهر في الأزمنة القديمة؟ لو كان الأمـــر كذلك، ينبغي على الناقد العصري أن يجد أساليب تبرز المعنى الكامل والتماسك الداخلي للموضوع الذي يدرسه بالضبط كما كان واضحاً بشكل جلي فـــي زمـــنه الأصلي. لو لم يلاقِ نجاحاً بعد في ذلك، فسوف يكون هناك سبب وجيه للبحث عن أسلوب يتلاءم أكثر مع مادة الموضوع.

يمكنـــنا أن نعرّف الاختلاف بين فن الوعظ والبحث اللاهوتي باعتبار أن اللاهـــوت يـــبذل كل جهده في شرح ما الذي كانت تعنيه كل كلمة من الكتاب المقـــدس فـــي الوقـــت الذي كُتبت فيه، بينما يشرح فن الوعظ ما الذي بإمكان

إنسان اليوم أن يستفيده منها. يمكن أن يُقال أن الأبحاث التاريخية النقدية لم تتمكن أو أنها قاومت فهم كريستولوجية العهد الجديد وأسسه. لذلك فمن الضروري إيجاد أدوات نحفر بها بشكل أكثر عمقاً في جذور الفكرة المسيانية.

من الصعوبة قبول تصديق أننا يمكننا أن نجيء ببلورة الفيلسوف السحرية التي ستحل كل هذه المشاكل، لكن هناك ثلاثة عوامل سوف تساعدنا على الاقتراب من لب مشكلتنا.

١. نحتاج أن نحدد ما هي *أساليب التفكير والعرض التي ظلت تتأرجح بين العهد القديم والجديد*، أي ما هي البوتقة التي تشكلت فيها المسيحية.

٢. وبنفس الطريقة ينبغي أن تُحل مشكلة كيف يمكن لنظام خارج عن "العلوم الصلبة" أن يجد الاستقامة الداخلية لموضوعه بدون التسبب في الأذى للأهداف الأصلية الخاصة بالأشخاص الذين يدرسون.

٣. كذلك في اختيار أسلوب الدراسة يجب علينا دائماً أن نحدد ما هي المصادر الأكثر قدرة على إلقاء الضوء على طرق التفكير المتداولة في الحقبة المعنية.

الاختلاف بين طرق التفكير الكتابية والغربية

يصوِّر الكاتب اليهودي الشهير شالوم بن تشورين في أحد كتبه الاختلافات الجوهرية بين التعليم اليوناني والفكر الكتابي[١]. فقد ناضل العالم اليوناني لإيجاد قواعد منظمة، وهو أسلوب قد بدأ من أرسطو إلى هيجل: ثم كانت التفاصيل تُكيَّف في وحدات أكبر وتُقحم في تركيبات مكونة سلفاً. من *ناحية أخرى، فإن الفكر العبري يتحرك من التفاصيل إلى القواعد، ومن الملاحظات الواقعية إلى المثاليات. وهكذا فإن الكتاب المقدس لا يعرف مبدأً أو نظاماً في حد ذاته*. لكنه يظهر بالأحرى غايتين نموذجيتين أساسيتين: الرواية، والناموس الذي يُقصد به الإرشاد في الحياة. إذ تروي أسفار موسى الخمسة،

---

١ Schalom Ben-Chorin, *Judischer Glaube*, pp ١٧ - ٢١

والمزامير، والأنبياء مراراً وتكراراً أعمال الله العظيمة. وهكذا تُحفظ الحقائق التاريخية بدون تغيير بالرغم من أن تفسيرها يتغير بحسب مقتضيات كل عصر. كذلك فإن الناموس المقدس المُعلن في الوصايا لا يتغير مع تغير الأنماط. فبدلاً من حب اليونان للنظام يضرب الكتاب المقدس مثلاً على التفكير الترابطي الذي ترتبط فيه على الفور كل تفصيلة مع الكل وتكون كل الأجزاء معتمدة على بعضها.

نفس هذا المبدأ الترابطي يوجد طوال صفحات أدب الأحبار حتى زماننا الحاضر. وقد دُرس كذلك العهد الجديد مؤخراً، في كل من الأوساط اليهودية والمسيحية، كنوع من *المدراش*، أي باعتباره إبداعاً مماثلاً للتفسير الوعظي الخاص بالمجمع، مع التقيد بقوانين التفسير الكتابي اليهودي. والأمر الجوهري في هذا المنهج هو بديهية أن كل تفصيلة من وحي الله، *التوراة*، يجب أن تُقدم وتُشرح بحسب علاقتها بالموضوع رهن المناقشة وأيضاً باعتبارها كينونة مستقلة، وذلك لأن كلمة الله لا تفقد "معناها الحرفي" أبداً. علاوة على ذلك، يجب أن تُدعَّم كل حجة بكلمة من الأسفار المقدسة لأن آراء الناس هي بلا قيمة في حد ذاتها.

كثيراً ما يكرر المدراش المقولة الآرامية، *Ha be-ha tali*، "هذا يعتمد على ذاك" مكوِّناً جسوراً باطنية داخل رسالة الكتاب المقدس الخاصة. إذ يُقال لنا مرة بعد أخرى أن هذا الحكيم أو ذاك قد قال في هذا أو ذاك اسم حكيم آخر، "كما هو مكتوب .. ("وهلم جرا .."). بعدئذ لا يُعطى أكثر من الكلمات القليلة الأولى من اقتباس الكتاب المقدس، والقارئ، الذي يعرف كلمة الله عن ظهر قلب، يتلو البقية سراً في داخله. هذا الاستخدام للعهد القديم يقدم بعض "الشمولية" للعرض بأكمله ويحول دون فلسفة الأمر بطريقة ذاتية فوق الحد.

حتى *المدراش* القصير قد يحتوي على مئات من اقتباسات العهد القديم وأسماء مئات من الأحبار. وبهذه الطريقة يُثبَّت العرض بأكمله في التاريخ وفي تقليد المجمع. يمكننا أن نرى نفس المبدأ يعمل في العهد الجديد الذي يحتوي، وفقاً للسجل اليوناني لنستل، على ٩٩٣ مرجعاً منفصلاً من العهد القديم.

وقد استخدم المجمع القديم، بالإضافة إلى "المبدأ الترابطي"، تعبيرات متعددة لا تظهر خارج أدبه الخاص سوى في العهد الجديد. فإن ما يُسمى بالميدوث *middoth*

أو "المقايــيس" – أي طــرق التفســير، التي يوجد منها ٧، ١٣، ٣٢، أو حتى ٧٠ – تســاعد على فحص الصلات الباطنية للنص وهي تأخذ في اعتبارها "المعنى الحرفي"، *Peshat*؛ و"الإشــارة" أو "الاقتباســات"، *Remez*؛ و"فن الوعظ" أو "الرسالة الروحية"، *Drashah*؛ و"السر" *Sod*. هذه الكلمات العبرية الأربعة تشكل "الفردوس" *PaRDeS* الواعي الذي كثيراً ما يُقارن به الكتاب المقدس.

كمــا أننا نجد هنا وهناك في تعليم كل من يسوع وبولس بعض الأدوات الأسلوبية مثل *al tiqra*، "لاتقرأ هكذا، بل هكذا"؛ و *tartei mashma*، "الكلمة لديهــا معــنى آخــر"؛ و *muqdam umeuhar*، "ملاحظين الأول والأخير"؛ وتغيــير جــذور الكلمة، وأشكال متعددة من التعبير يضرب لها أدب المدراش مثلاً[٢]. وهي تتبع جميعاً من أنماط التفكير اليهودي.

فإنه لا يمكن أن تتطور دراسة جادة للعهد الجديد أو القديم مع وجود جهل بالطابع الخاص للفكر العبري والتربة اللذين نشأ منهما العهد القديم والجديد.

الاختلاف بين صفات العلوم الطبيعية والإنسانيات

تُعتــبر أســاليب بحــث العلــوم الطبيعية والإنسانيات مختلفة اختلافاً جوهــرياً عن بعضها البعض. فإن دراسة الدين، والأخلاق، وعلم الجمال علــى سبيل المثال كثيراً ما يجب أن تكتفي بالتفسير القصصي والتأويلي. كذلك فإن دراسة الأسلوب تميِّز بين *ما هو nomohteitic*، أي البحث عن قوانيــن عامــة *nomos* (باليونانــية) *وما هو idiographic*، أي الأنظمة المهتمة بالأفكار والحقائق الفردية[٣].

لقــد ابــتدع أرسطو *التوبيكا topika* (من *topos* "مكان") الذي بموجبه ســعى *الفلاســفة لإيجــاد البواعث الأساسية* في البلاغة وفي دراسة المشاكل

---

[٢] انظر على سبيل المثال م. جارتنر، *المدراشيم في العهد الجديد*؛ أديسون ج. رايت، *الأسلوب الأدبي المدراشي*؛ وأي. ل. سليمان، *Voraussetzungen der Midraschexegese*; cf Bibl.

[٣] انظر مثلاً Wilhelm Dilthey, *Der Aufbau der geschichlichen Welt in den Geisteswissenschften*. Ges. Werke, Band ٧.

القانونية – وقد تطور فيما بعد بواسطة جيوفاني باتيستا فيكو، على سبيل المثال، الذي يُعتبر مؤسس تاريخ الفلسفة[٤]. لهذا السبب ينبغي على الإنسانيات أن تتفقد الحقل الكامل للتفكير البشري وتضع *السمات الرئيسية في موضعها*. فإنه فقط على أساس "موضوعي" أوسع للمقارنة – ربما أقول "طوبوغرافي" (الوصف أو الرسم الدقيق للأماكن أو لسماتها السطحية) تقريباً – يمكن أن يتم تخيل مغزى الصورة بأكملها. *إن اللاهوت هو أحد هذه الأنظمة "الفكرية" التي يجب دراستها في ضوء قوانينها الخاصة. ولو أنه تم التغاضي عن هذا "الاستقلال" اللاهوتي، فسوف يُنتهك قصد الدراسات بأكمله.*

وحتى نتمكن من أن ندرك فحسب كيف أن الموضوع الذي نحن بصدده جوهري، يجدر بنا أن ننظر إلى الكيفية التي يحدد بها يحزقيل كوفمان حالة اللاهوت اليوم[٥]. ففي أثره الأدبي المكون من أربعة مجلدات "التاريخ الديني لإسرائيل منذ الأزمنة القديمة وحتى نهاية الهيكل الثاني"، يصف لنا كيف أن إسرائيل كانت لديها وحيها الروحي ذو الطابع الشخصي الذي لا يوجِّه نفسه للتحليل عن طريق النقد التاريخي المعتاد. فمن غير المحتمل، على سبيل المثال، أن نفكر في أن ديانة إسرائيل قد تطورت من العبادة الكنعانية التي دمرتها إسرائيل، لأنه في تلك المناطق التي سُمح فيها للعبادة بالبقاء، لم تتطور أية ديانة مماثلة ذات وحي. ويؤكد الأستاذ كوفمان، "تُواجَه الدراسات الكتابية في زماننا بموقف أكثر غرابة: فهو مقيد "بالأسلوب الغالب"، بالرغم من أن لا أحد يعرف بالتحديد لماذا "يغلب" هذا الأسلوب على البحث. وقد يحدث أحياناً في العلوم الإنسانية أن بعض الأطروحات أو المعتقدات التي تأسست في الأصل على مسلمات واضحة ومقبولة بوجه عام تُبقي على وجود اصطناعي حتى بعد أن تضعف الثقة في تلك المسلمات. وقد حدث ذلك أيضاً للدراسات الكتابية في زماننا.." فقد تلاشت البراهين الانتقادية لويلهاوزن وليبراليين آخرين منذ زمن طويل.." "وفي غضون ذلك تراجعت تلك المسلمات وانهارت

---

٤ Lothar Bornscheuer, *Topik, Zur Struktur der gesellschaftlichen Einbildungskraft*, Fr. Am Main ١٩٧٦ pp ٢٦-٧.

٥ العبرية ونتبع وصف المقدمة لأثره الأدبي باللغة العبرية

واحدة تلو الأخرى .. واضطر أنصار تلك المدرسة للاعتراف بذلك، ففي أغلب الأحوال لم تعد براهينهم تصمد في وجه النقد. لكنهم حتى الآن لم يسحبوا استنتاجاتهم، وخاصة تلك المختصة بالنقد الأدبي".

ويصر الأستاذ كوفمان على أن، "الحقيقة التاريخية تتبلور في الرسالة الكتابية لدرجة أكثر من تلك التي تعترف بها مدرسة ويلهاوزن". وهو يقول بخصوص أسفار موسى الخمسة أنه،

"يمكن أن يظهر اليوم أنهم حتى لو كانوا قد ترتبوا وصُنفوا بعد زمان موسى فإن مادتهم الأصلية قديمة جداً، ليس في جزء منها فقط أو في اتجاهها العام، لكن في مجملها، في مضمونها، في لغتها، وحتى في حروفها".

لهذا السبب ينبغي على الباحث أن يوسِّع موقفه النقدي نحو الدراسات النقدية أيضاً.

الأسلوب، واختيار المادة الأصلية الملائمة

يحتوي التراث اليهودي على حكايات كثيرة عن شباب أورشليم الحكماء. سأل شخص أحدهم ذات مرة عن الطريق إلى قرية معينة. فأجاب، "هل تريد الطريق الطويل القصير أم القصير الطويل؟" فهناك طريق مختصر قد يحتوي على عوائق تتطلب مزيداً من الوقت لتخطيها أو الالتفاف من حولها. وهكذا يوجد طريق يبدو من اللمحة الأولى طويلاً وقد ينتهي به الأمر ليصبح الأقصر. وبهذه الطريقة فإن المقدمة السابقة التي تحتوي على معلومات بشأن الأسلوب قد أدت دوراً مفتاحياً لما يلي. وفي سعينا لإيجاد جذور إيماننا المسيحي سوف يكون من المهم أثناء تعاملنا مع العهد القديم والجديد أن نختار مصادر تصف بشكل مبكر على قدر الإمكان فهماً للكتاب المقدس وطريقة تفكير الشعب الذي سندرسه. فإن اختيار مادة أصلية ملائمة هو دائماً جزء من البحث.

وعلى الرغم من أن المفهوم المسياني في اليهودية اليوم قد دخل في معالجة عنيفة بعض الشيء، إلا أنه كان لا يزال ذا أهمية مركزية في بداية حقبتنا. إن الأثر الأدبي الرئيسي للتشريع اليهودي، *التلمود*، الذي جُمع على

مـــدى ثلاثة قرون منذ عام ٢٠٠ تقريباً، والذي يضم ٦٠ بحثاً منفصلاً في ١٣ مجلــداً ضخماً، يصرِّح ببساطة أنه، *"لم يتنبأ جميع الأنبياء سوى لأيام المسيا"*. *"لــم يُخلــق العالم سوى من أجل المسيا فقط"*[٦]. تشكل هذه التصريحات أساس المناقشة الكلية بين اليهودية والمسيحية.

لقــد خضــع التلمود في سنوات تكوينه لرقابة داخلية خاصة. وقد تجنب علماؤه عن وعي الحديث بشأن الإيمان المسيحي وبعض النبوات المسيانية التي كانت تُعتبر مواضيع حساسة. وبالإضافة إلى ذلك ضغطت الكنيسة الكاثوليكية فــي العصور الوسطى على اليهود كي يُخرجوا من التلمود أجزاءً معينة كانت تُعتــبر مــن وجهــة النظر المسيحية هجومية – فحُفظت في الواقع في كتيب منفصــل يوجــد لــديَّ أيضاً. *هذا "الصمت العظيم"، كما يصفه العلماء أحياناً، و"الــرقابة المزدوجة" قد أديا إلى أن الكنيسة المسيحية نادراً ما تلقت أية معونة من اليهود للتوصل إلى معرفة جذورها الخاصة.*

سوف نناقش في الجزء الرئيسي من الكتاب تاريخ وأهمية النصوص الأصلية المــتعددة. ومــع ذلك، فحتى في هذه المرحلة، يجدر ملاحظة مصدرين أولين – المدراش والترجوم – اللذين خضعا لرقابة صارمة شبيهة بتلك التي حدثت للتلمود.

فالمدراش أو "الشرح"، هو "الأدب الوعظي" للمجمع الذي يتبع شكلاً معيناً ومحــدداً بدقــة أحياناً كثيرة، يرجع تاريخه في أجزائه الست الأكثر قدماً إلى القــرن الثانــي الميلادي، وذلك بالرغم من أنها قد كُتبت في شكلها النهائي في القــرن الخامس أو السادس. كما أننا ليس باستطاعتنا أن نرى الرقابة الخاصة بــالمجمع فــيها، ويمكن أن نقتفي أثر تقليدها إلى ما قبل زمن المسيح. علاوة علــى ذلك، يوجد ثلاثون من الآثار الأدبية الأخرى للمدراش أو ما شابه تلقي بعض الضوء أيضاً هنا وهناك على المفهوم المسياني[٧].

أمــا التراجم فهي ترجمات تفسيرية للعهد القديم بالآرامية. وهي تقدم أيضاً في شــكلها المكتوب سنداً إلى الشارحين اليهود للتوراة. يصرح التلمود أن، "كل التوراة

---

٦ ***Berakoth*** **٣٤.b, San. ٩٩a. ٩٨b.**
٧ انظر ***Encyclopaedia*** **JUDAICA. Vol. ١١**

بتمامها هي باللغة العبرية، لكن بعض الأشياء من الترجوم تنتمي إليها أيضاً"[8]. لكن لـــم يحظَ سوى ترجوم أونكيلوس بالموافقة الرسمية من المجمع. وهو يحتوي على مـــادة تفســيرية لأســفار موسى الخمسة بأكملها ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني المــيلادي. أما التراجم التي تُعرف باسم يوناثان بن عُزيل فقد كُتبت فيما بعد على أســاس التقليد الذي كان ينتقل من جيل إلى آخر، بالرغم من أن يوناثان نفسه كان يعيش في زمن قريب جداً لزمن يسوع. كذلك يحتوي ترجوم يوناثان أيضاً على مادة يرجع تاريخها وفقاً للبعض إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

وكمـــا في أدب المدراش فإن يد الرقيب ليست ظاهرة في التراجم. يتضح هـــذا إلى حد أبعد بحقيقة أنه، وفقاً للإحصاءات المعمولة، هناك ٧٢ مقطعاً من العهد القديم مشروحاً في التراجم باعتباره ينطبق على المسيا.

يلقى التراث المرتبط باسم يوناثان ضوءاً على المفهوم المسياني أكثر من التراجم الأخرى، ولهذا السبب سوف نصفه على ضوء التلمود.

كـــان يوناثـــان أعظم تلميذ للشيخ هيليل قبل خراب الهيكل. وهناك رواية تقليدية تقول أن هيليل كان لديه ٨٠ طالباً:

"أربعـــون منهم استحقوا نزول الروح القدس عليهم، بالضبط مثل موسى. ثلاثون منهم أن تقف الشمس ثابتة فوقهم، كما في زمن يشوع ابن نون؛ وعشرون كانوا عاديين؛ لكن أعظمهم كان يوناثان بن عُزيل، وأقلهم يوحانان بن زكاي .. دعونا نتذكر أن الأخير كان مبدع بعث التوراة في يبنة بعد خراب الهيكل مباشرة"[9].

تـــرجم يوناثـــان الأنبياء إلى الآرامية بمصاحبة شروحات مختصرة. وقد أثار عملـــه بالطبع معارضة من علماء زمانه، إذ أنهم شعروا أن الأصل العبري سوف يُنسى بهذه الطريقة. لكن يوناثان، بكلماته الخاصة، تابع حتى لا تتضاعف المجادلات العقائديـــة فـــي إسرائيل. ومن اللافت للنظر أن المجمع قبل أثر أونكيلوس الأدبي

---

[8] Masechet Sopherim ١.

[9] ص ٥١٨ في مرجع الأثر الأدبي العبري لمردخاي مارجاليوث على "حكيم" التلمود.

بالرغم من أنه كان مهتدياً حديثاً أو شخصاً غير مكتمل. أما التوكيد المسياني الذي قدمه يوناثان بشكل خاص فقد كان أحد الأسباب لعدم قبول ترجمته.

وقد برز أيضاً توقع مسياني مبكر فيما بين اليهود عن طريق الأدب المعروف *بالزُهار* (التألق، الإشراق) الذي ارتبط في العادة باسم شمعون بن يوهاي من القرن الثاني. هذا الأثر الأدبي السري، الذي يبلغ آلاف الصفحات، والذي يتأسس على أسفار موسى الخمسة ويتعامل مع شخصية الله فاز بموافقة عامة بجانب التلمود في كل من أكاديميات الشرق والغرب. وبالرغم من أنه لم يوضع في شكل مكتوب سوى في القرنين الثامن والتاسع إلا أنه يعكس تراثاً مبكراً جداً. وهو يحتوي، على سبيل المثال، على صور عن المسيا المتألم، والثالوث، والمسيا ابن الله، يصعب اقتفاء آثارها. كذلك يمكن أن يُنظر للزُهار باعتباره ينتمي إلى المصادر اليهودية "المعيارية".

بقدر ما تُعنى مادتنا الأصلية، يجب أيضاً أن نشير إلى شرح الكتاب المقدس العبري القروسطي، حيث أن بعض الأحبار، مثل راشي (شالومون جرشي) وهو أكثر شُراح اليهودية شهرة، استندوا في أحيان كثيرة على المدراشيم والتراجم لتقديم العون. وبنفس الطريقة، فإن مخطوطات البحر الميت وأدب "الحكمة" اليهودي القديم ربما يقدموا لنا بعض السند العرضي عند مناقشة مادتنا.

فهو يُلقى مزيداً من التوكيد في الوقت الحاضر على حقيقة أن هذه المصادر لا غنى عنها في كل من دراسات العهد القديم والجديد. يؤكد على هذا علماء جدد من أمثال جون باوكر، س. هـ. ليفي، ديفيد داوبي وو. د. ديفيز بالإضافة إلى هـ. ل. ستراك وب. بيك الأكبر سناً[١٠].

[١٠] جون باوكر، *التراجم وأدب الأحبار. مقدمة للتفسير اليهودي للأسفار المقدسة*. كامبريدج ١٩٦٩؛ س. هـ. ليفي، *المسيا، تفسير آرامي. الشرح المسياني للترجوم*، سنسيناتي ١٩٧٤؛ هـ. ل. ستراك، *مقدمة للتلمود والمدراش*، طبعة أولى. برلين ١٨٨٧؛ ب. بيك، *مقاطع العهد القديم التي كان يطبقها المجمع القديم مسيانياً*، هيراشيا ١٨٨٥ــ ٨٨.

عند البحث في جذور الإيمان المسيحي سوف نجد أننا قد رسونا على قارة غريبة وغير مألوفة. لكننا على الرغم من ذلك في المسار الصحيح. فلو ابتغى أحد أن يتعود على الفكر الصيني سوف يفعل حسناً لو أنه قام برحلة إلى الشرق الأقصى. كما يتطلب الأمر تقريباً في كثير من الأحيان مهارات مخبر سري حتى نصل إلى لب المشكلة. إلا أن كثيراً من الملاحظات الآسرة والمثيرة تماماً سوف تُكتشف طوال الطريق، مما يمكنه أن يفيد في تشديد أساسيات إيماننا.

أحد أفضل الأمثلة التي توضح بحث الشخص عن جذوره موجود على رف مكتبتي. فقد سنحت لي الفرصة ذات مرة في إسرائيل لشراء كتاب، من ممتلكات شخص يهودي مسيحي، نُشر في هلمستاد عام ١٦٠٩. يروي الكاتب، وهو عالم يهودي يحمل اسم كريستيانوم جرسون، كيف أنه اشترى من امرأة مسيحية مسنة وفقيرة ترجمة لوثر للعهد الجديد بثمانية شلنات. ثم بدأ في دراسته مع زوجي أختيه ليكتشف كيف يمكن لهذه "الغلطة الخطيرة" أن تأسر مئات الآلاف من القلوب. وقد هزته رسالة الإنجيل جداً حتى أنه اضطر للاستمرار في قراءته بمفرده سراً. وقارن رسالته برسالة العهد القديم ومصادره اليهودية الخاصة، وهكذا، وفقاً للاستهلال الذي كتبه، توصل من خلال هذه "الكلمة المكتوبة" إلى إيمان شخصي بيسوع.

في البداية رفضه الأهل والأصدقاء. وقد اقتبس في وصفه لذلك كلمات مزمور ٢٧: ١٠، "إن أبي وأمي تركاني والرب يضمني". ومع ذلك، فسريعاً ما تبعت الزوجة والأولاد أثر خطوات أبيهم. وحتى يثبت لأصدقائه أسس قراره ، كتب بحثاً مكوناً من ٧٠٠ صفحة عن الإيمان المسيحي يقارن فيه بين تعليم العهد الجديد والتلمود. وبالرغم من أن جرسون يقارن جذور المسيحية أصلاً مع العهد القديم، إلا أن مئات الاقتباسات من التلمود وعشرات من المدارس تعطي الانطباع بكونها من جذور الإيمان المسيحي".

لقد قال لوثر في زمانه أن، "المسيح هو المنظور الحقيقي لكل الكتب المقدسة"[١١]. لذلك فإن هذا الكتاب عن "الجذور" يتأسس بأكمله على تلك القاعدة.

---

١١ Christianum Gerson, *Der Juden Thalmud*, Furnembster Inhalt und Widerlegung, zum andernmal gedruckt in Hemstadt ١٦٠٩. ٧٠٠ pp.



كثـــيراً ما يشير الأحبار إلى التكوين باعتباره "سفر الخلق". فإننا نرى فيه مـــا لابـــد أنه كان موجوداً في البدء – العالم، والبشرية، والشعوب المتعددة، والقبـــيلة العـــبرية، والفوضــــى التـــي تسبب فيها السقوط، والعلامات الأولى للخـــلاص الـــذي وعد الله به للبشرية. كان كل شيء لا يزال في حالة النشأة، لذلـــك لا يمكنـــنا أن نـــتوقع تصور متطور تماماً للمسيا هناك. ومع ذلك، فإن الأدب اليهودي القديم يجد الباعث المسياني حتى في رواية الخلق.

روح المسيا في رواية الخلق

يـــبدأ ســـفر التكوين بخلق السماء والأرض: فقد كانت الأرض بلا شكل وخاويـــة. لكن الحكماء التلموديين استشعروا حتى في هذا الوصف بداية خطة الخلاص للبشرية:

"يعلِّـــم تـــراث إيلـــيا أن العالم موجود منذ ستة آلاف عام؛ كان هناك خراب في الألفيـــن الأولى؛ وفي الألفين الثانية سوف تزدهر التوراة والألفين التالية هي أيام المسيا، لكن الأشياء أصبحت على ما هي عليه بسبب خطايانا التي كانت عظيمة"[1].

كان من الضروري بالنسبة لهذا التوقع التقليدي أن تستمر سيادة التوراة – أي نـــاموس موســـى – لمدة ٢٠٠٠ عام، وهي نفس مدة الزمن المسياني. في نفس هذا البحث الطويل الذي أُخذ منه التنويه السابق، نجد في الشرح أن:

الألفية السابعة سوف تكون حرباً، وعند ختام الألفية سوف يعود ابن داود".

---

[1] *Sanhedrin* ٩٧a.

وفـــي البحث الذي يليه يتم ذكر "حرب جوج وماجوج *وسوف تكون المدة الباقـــية حقبة مسيانية*، بينما لن يستعيد القدوس، عليه السلام، عالمه سوى عند نهاية الألفية السابعة"[٢].

إن هـــذا الـــتراث المدعو "تراث إيليا"، الذي يمثل إدراك معظم الحكماء، يذكـــرنا بالتعليم المسيحي السائد عن الأيام الأخيرة والمُلك الألفي. فعندما تمر ست ألفيات، سوف يتبع ذلك، وفقاً للبعض، سبت لمدة ألف سنة، *shabaton*. ربمـــا تكـــون هذه هي "الحقبة المسيانية" التي سيتجدد "العالم" بعدها. إن العام ١٩٨٥ م يســـاوي العام ٥٧٤٥ في التقويم اليهودي، مما يعني أن المسيا ينبغي أن يكـــون قـــد جاء بالفعل. يبدو إذن أن هناك شيئاً في خطة الخلاص هذه قد انحـــرف. إن الصلاة الصباحية الرسمية للمجمع اليهودي تورد ذلك إلى الذهن باستمرار عن طريق هذه الكلمات:

"بســـبب خطايانـــا دُمر الهيكل وتوقفت الذبائح الدائمة، كما أنه ليس لدينا كاهن مكرس".

يجب أن يُقال إن الأحبار ليس لديهم إجماع على عقيدة الأزمنة المسيانية، لكن خطة الخلاص تبدأ بالنسبة لهم عند الخلق. وعندما يتحدث الكتاب المقدس عـــن كيف أن "روح الله يرف على وجه المياه"، فهم يرون إشارة إلى المسيا. يقـــول المـــدراش ربّـــاه في هذا السياق أن، *هذه كانت "روح المسيا"، كما هو مكـــتوب فـــي إشعياء ١١: ٢، "ويحل عليه روح الرب"*[٣]. كما ذكرت كتابتان أخريـــتان أيضـــاً أن هـــذا يشير إلى "الملك الممسوح"[٤]. يصبح هذا النوع من التلمـــيحات قـــابلاً للفهم لو أننا أخذنا في اعتبارنا فكرة الأحبار أنه حتى أسماء المسيا قد تحددت قبل خلق العالم.

لقد كانت كلمات الله الأولى في الكتاب المقدس هي:

"ليكن نور! وكان نور. ورأى الله النور أنه حسن".

عندما ندرس رواية الخلق عن قرب فإننا نلاحظ أن الله لم يخلق "النورين العظيمين"، الشمس والقمر، سوى في اليوم الرابع. وقد فهم الحكماء ذلك أيضاً

---

[٢] **Sanhedrin ٩٧b.**

[٣] ***مدراش بيريشيث ربّاه* ١: ٢ *ويالكوت، مشيري إلى مزمور* ١٣٩: ١٢.**

[٤] ***بسيختا رباتي* ٣٣ *ويالكوت.***

لــى أنـــه تلميح مسياني، وهكذا فإن المدراش المدعو *بيسكاتا رباه* الذي كان
ـرأ مــنذ القرن التاسع وخاصة في أيام الأعياد يسأل، *"لمن هذا النور الذي*
ـسقط علــى جماعــة الــرب؟" ويجيب، *"إنه نور المسيا"*[٥]. كما أن *اليالكوت*
يموني، الذي يتضمن سلاسل من المقاطع التلمودية والمدراشية التي صيغت
ي القرنين الثاني عشر والثالث عشر يضيف هذا الفكر إلى شرح الآية، *"هذا*
هو نور المسيا كما هو مكتوب في مزمور ٣٦: ١٠، "بنورك نرى نوراً"[٦].

وقــد اعتــبر الأحــبار أن الكلمــة الآرامية *Nehora*، "النور"، هي أحد الأســماء السرية للمسيا، حيث أننا نقرأ في الجزء الآرامي من سفر دانيال أنه، "يعلــم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور" (٢: ٢٢). علاوة على ذلك، بناءً علــى نبوات إشعياء ٤٢: ٦ و٦٠: ١ – ٣ يُرى المسيا باعتباره "نوراً للأمم". ألم يعلن يسوع أنه هو نفسه "نور العالم" وأن "من يتبعني لا يمشي في الظلمة"؟ كذلك فإن المدراش يفهم كلمات الإصحاح ٢ من دانيال بشكل مسياني:

"وعــنده يسكن النور. هذا هو المسيا الملك لأنه مكتوب: "قومي استنيري لأنه قد جاء نورك"" (إشعياء ٦٠: ١).

يمكننا أن نرى مما سبق أن الأسلوب اليهودي الترابطي يجد تلميحات مسيانية فــي مواضــع لم يراها المسيحيون. فإن الرسول بولس يقول عن سر المسيح إنه "المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال" (كولوسي ١: ٢٦). فهل من الممكن أن الرسول بولــس كان يشير بهذه الكلمات إلى التراث اليهودي؟ هذا ليس بعيداً عن الاحتمال، حيث أننا وجدنا تعبيرات مشابهة في مخطوطات البحر الميت[٧].

الإنجيل البدئي

هــناك جزء من التفسير المسياني الخاص بكنيستنا موروث من اليهودية مباشرةً. فإن تكوين ٣: ١٥، الذي كثيراً ما دُعي "الإنجيل البدئي"، لم يوجد مع شــرح مســيحي ســوى منذ زمن إيريناوس في القرن الثاني. ولا يشير العهد الجديــد بشــكل مباشر إليه، بل أن بعض العلماء قد ادعوا أن "ليس فيه إشارة

---

٥. *Pesikhta Rabbati* ٦٢،١.
٦. *Yalqut Shimoni* ٥٦.
٧. *Megillath haSerachim* ٨: ١١.

للمسـيانية". ومع ذلك، فإن التقليد الخاص بالترجوم الآرامي يجد نبوة مسيانية رئيسية حتى هنا[8].

نقرأ في الإنجيل البدئي:

"وأضـع عـداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنتِ تسحقين عقبه".

يـتحدث الـنص أولاً عـن "العداوة" – أو في ترجمة أفضل للغة العبرية "الكراهية" – التي جاءت إلى العالم بسبب الخطية. فقد انقطعت الصلة الحميمة مـع الله وابتدأ الإنسان يهرب ويحاول أن يخبئ نفسه من حضور الله. وكانت عواقـب السقوط هي الخطية، والمرض، والموت. إن الكتاب المقدس يتحدث عن تجسيد الشر في إبليس، فيقول سفر حكمة سليمان، وهو سفر أبوكريفي من القرن الثاني قبل الميلاد أن، *"الموت قد جاء إلى العالم بسبب غيرة الشيطان"*[9]. وإحدى مهام المسيا هي أن يغلب الموت.

وحيـث أن أسلوب الشرح في المدراش،كما رأينا، هو محاولة لتبيين "كل تفصيلة صغيرة" من التوراة، يجدر بنا إذن أن ننظر إلى رسالة الإنجيل البدئي بأكملها باستخدام نفس الأسلوب تقريباً.

فوقفاً للأحبار سوف يُحدث المسيا "ترميماً" في العالم، *tiqun ha-Olam*. *وقـد ابتدأ لاهوتيو اليوم في مناقشة مفهوم "إعادة التأهيل"*. فقد "صحح" المسيح عواقـب السـقوط عـندما كفّـر عن خطايانا، وحمل أسقامنا، وغلب الموت. ويصـف دانيال ٩: ٢٤ هذا التفويض المسياني أكثر إيجازاً ووضوحاً باعتباره "لكفـارة الإثـم ولـيؤتى بالبر الأبدي". وبهذه الطريقة، فإن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية. هذه الجوانب للإنجيل البدئي تُعالج بشكل استعاري في كل من التفاسير اليهودية والمسيحية.

يصـرح تـرجوم يوناثان بن عُزيل هنا أنه لو حفظ نسل المرأة الناموس فـإنهم سـوف يصلون إلى مكانة يسحقون فيها رأس الحية: *"وسوف يصنعون*

---

[8] لقد عولج هذا الموضوع بواسطة إيوجين هوهن على سبيل المثال في كتابه ***Die Messianischen Weissagungen bis zu den Targumim***, **Leipzig ١٨٩٩, p ١٣٥.**

[9] حكمة سليمان ٢: ٢٧.

لســـلام أخيراً في أيام المسيا الملك". ويلعب الترجوم هنا على الكلمات aqev، "عقب"، و iqvah، "النهاية".

يســـترعي تـــرجوم أورشـــليم الانتباه إلى الأزمنة الأخيرة عندما يفسر الآية باعتـــبارها، "*ســـوف يصنعون السلام في النهاية، عند ختام الأيام الأخيرة، في أيام المسيا الملك*". إن الكلمة الآرامية "يصنعون السلام"، shefiyuta، تشبه الكلمة العبرية "يســـحق"، yeshufchah، كمـــا أن بعـــض علماء اللغة الآرامية يقبلون الترجمة، "*وأخـــيراً، فـــي أيام المسيا، سوف يُجرح في عقبه*". وذلك يتوافق مع الآية ١٦ من مزمور ٢٢، الذي يُفهم في الشرح المسيحي باعتباره رمز للمسيا. وقد تُرجمت هذه الآيـــة فـــي لغـــات كثيرة وفقاً للقراءة الأكثر احتمالاً للأصل، بوصفها، "ثقبوا يديَّ ورجليَّ". وبالمثل نقرأ في زكريا ١٣: ٦ بالعبرية:

"ما هذه الجروح في يديك؟ فيقول هي التي جُرحت بها في بيت أحبائي".

إن الفهـــم الأكـــثر شيوعاً لهذه الآية فيما بين الأحبار يتضح في ما يُدعى "بتفسير يوناثان":

"سوف يُشفون (من لدغة الحية) يعني أنهم سوف يتلقون ترياقاً؛ "يصنعون ســـلاماً" تعنـــي "سلام وأمن"، و"هو سوف يكون شافيهم في المستقبل، في أيام المسيا" تعني أنه سيكون هناك سلام وراحة"[١٠].

مـــنذ الأزمنة الأولى كان للحية أيضاً موضعها في تفسير رجاء التحرير المسياني كما سنرى عندما نأتي إلى بركة يعقوب. ففي أثناء الترحال في البرية صـــنع موســـى حية من نحاس كانت تشفي الشعب من لدغات الحيات عندما ينظرون إليها. ويروي ٢ ملوك ١٨: ٤ كيف دمَّر حزقيا التعويذة التي أصبحت بديلاً للديانة الحقيقية: "وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان" [قطعة من النحاس]. تلك هي الطبيعة البشرية وهي أن شيء بلا حياة يمكن أن يصبح بؤرة العبادة الباطلة.

أتذكـــر محادثـــة مـــبهجة جرت في متجر يحمل اسم "نحشتان" كان يبيع موصلات نحاسية ويملكه يهود أتقياء. قلت للسيد ذي المظهر المميز الذي يقف

---

[١٠] شرح الأحبار ليوناثان. ينسجم هذا التفسير أيضاً مع فهم س. هـ. ليفي في كتابه *التفسير المسياني للترجوم* فيما يتعلق بسفر التكوين ٣: ١٥.

خلـف المنضـدة، "لقد حصلتم على اسم كتابي جيد بكل تأكيد". فتعرّف الرجل عليَّ وأدرك ما كنت أقصده. سألته بشكل تنقصه الجدية إن كان يعرف ما الذي يشير إليه اسم المتجر. فأومأ ، ثم سأل بدوره، "هل تعرف ما الذي يقوله راشي (الحبر سليمان بن يشتاق) بخصوص ذلك؟" فوعدته أن أراجع الأمر، ووضعت أمامه تحدياً في المقابل: "هل تعرف كيف تفسر حكمة سليمان نحشتان؟" لم يكن يعرف، لذلك اقتبست له من الإصحاح السادس عشر من هذا الأثر الأدبي الذي يرجع تاريخه إلى ما قبل ميلاد المسيح؛

"لأنـك أعطيتهم رمزاً للخلاص ليذكِّرهم بوصية الناموس. وكان كل من يلتفـت إلـيه [الحـية النحاسية] يخلص، ليس بما يراه، لكن بك، أنت مخلص الجميع .." "أنت تقود الناس نزولاً إلى أبواب الجحيم وترجعهم مرة أخرى"[١١].

بعد أن عدت إلى المنزل بحثت عن شرح راشي للموضوع الذي يسير كما يلي:

"لقـد دُعيت باسم "نحشتان" وهو تعبير ازدرائي ويُفهم أن معناه، "ما الذي نحتاجه من تلك؟ إنها لا شيء سوى حية من نحاس!"[١٢]

لابد أن راشي، وهو عالم من القرون الوسطى، كان يعرف كلمات يسوع الخاصـة بكونـه "قد رُفع" كما رفع موسى الحية في البرية. وربما كان رجل الأعمـال التقـي على علم بذلك أيضاً. فوفقاً لإيماننا المسيحي، إن الصليب قد أُعطـي "كرمز للخلاص". لقد نزل يسوع إلى الجحيم وقام مرة أخرى، فأزال العداوة وجاء بالسلام.

تؤكـد التراجم على أن المسيا سوف يأتي "في الأزمنة الأخيرة". إن اللفظ الآرامـي "في النهاية"، *be Iqva*، يشبه فكرة *iqvoth meshiha*، التي تعني "أثـر خطـوات المسـيا". يحتوي التلمود على بحث مطول عن "أثر خطوات المسـيا"، وهي علامات الأزمنة الأخيرة، التي سنعود إليها في الجزء الخاص بـالعهد الجديـد. فبالنسبة للأحبار، أي شيء له علاقة بالأزمنة الأخيرة يحمل نكهـة مسيانية. يصرح راداك، الحبر ديفيد كيمهي – الذي قيل عنه، "لولاه لما كنا قد وجدنا الطريقة الصحيحة لتفسير الأسفار المقدسة" – فيما يتعلق بإشعياء

---

[١١] *حكمة سليمان* ١٦: ٧ – ٨ و١٣.
[١٢] راشي على ٢ ملوك ١٨: ٤.

٢: ٢ أنه، *"في كل المواضع التي تُذكر فيها الأزمنة الأخيرة تُوجَّه الإشارة إلى أيـــام المســـيا"*[١٣]. يمكن أن يُرى ذلك في كل من تفسير الإنجيل البدئي ونبوات العهد القديم التي تحتوي على بعض الألفاظ التي تشير إلى الأيام الأخيرة.

لكـــن مـــن هو "نسل المرأة"؟ لماذا يُستخدم له الضمير الشخصي *hu*، "هو"؟ هل يُعتـــبر "نســـل" اســـم مفرد أم جمع؟ إن الترجوم يربط الضمير "هو" بالطبع مع المسيا الملـــك. لكـــن هل يحمل مفهوم "نسل" تضمينات مسيانية في سياقات أخرى أيضاً؟ نعم بالطـــبع: فالأحبار يناقشون هذا الموضوع بالذات باستطالة. نقرأ في تكوين ٤: ٢٥ (في الـــترجمة العـــبرية والآرامـــية): *"الله قد وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل"*. يذكر الحـــبر تانهوما – الذي قيل عنه أنه "ختم المدراشيم" – أننا *"نتعامل هنا مع نسل آخر من موضـــع آخـــر. ومن هو؟ إنه المسيا الملك"*[١٤]. ويقول الحبر هونا أن *"الله قد أعد نسلاً آخر من موضع آخر، وهو المسيا الملك"*[١٥].

إن وعـــد نسل إبراهيم في تكوين ٢٢: ١٨ الذي يحتل مكانة مركزية في اللاهـــوت المســـيحي يُـــرى أيضـــاً في المدراشيم باعتباره إشارة إلى المسيا: "ويتـــبارك فـــي نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي". يناقش مـــدراش رباه هذا الموضوع بتوسع ويعلن أنه *"في أيام المسيا، سوف تُقارن إســـرائيل بـــرمل الـــبحر"*[١٦]. وقد فهم بولس في غلاطية ٣: ١٦ معنى "نسل إبراهيم" بطريقة مماثلة:

"وأمـــا المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول "وفي الأنسال" كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح"

يستخدم بولس هنا صيغة المدراش النموذجية al tiqra ، "لاتقرأ هكذا، بل كذا" – فالوعد المُعطى في المفرد يؤخذ على أنه إشارة للمسيح باعتباره المسيا.

باســـتطاعتنا أن نضـــيف أن مدراش راعوث كذلك يربط مفهوم "النسل" بالمســـيا عـــندما يتحدث عن "أحد أقارب الفادي" في راعوث ٤: ١٨. إذ يلقي المـــدراش الضوء على فارص، المألوف في سلسلة النسب بمتى ١: ٣ ورواية

---

١٣ ***Mikraoth Gedoloth*** **فيما يتعلق بإشعياء ٢: ٢.**

١٤ ***Bereshith Rabbah*** **٢٣.**

١٥ ***Ruth Rabbah*** **٨.**

١٦ ***Bamidbar Rabbah*** **٢.**

الإصحاح ٣٨ من سفر التكوين. تُستخدم عبارة "نسل آخر من موضع آخر" هنا مرة أخرى للإشارة إلى فارص.

ترتبط الملاحظة بخصوص المسيا الذي سيصحح الدمار الذي تسبب فيه السقوط بفارص على وجه التحديد. ويذكر المدراش نفسه ذلك كمثال على الفهم "العميق". يصف المدراش رباه الحالة الجديدة التي بدأت مع فارص كما يلي:

"هذا هو تاريخ فارص وهو ذو مغزى عميق .. عندما خلق القدوس عالمه لم يكن هناك بعد ملاك للموت .. لكن عندما سقط آدم وحواء في الخطية، فسدت كل الأجيال. وعندما ظهر فارص، بدأ التاريخ يتحقق من خلاله، لأن منه سيظهر المسيا، وفي أيامه سوف يجعل القدوس الموت يُبتلع، كما هو مكتوب، "يبلع الموت إلى الأبد" (إشعياء ٢٥: ٨)"[١٧].

من الصعوبة أن نجد في نص من مصدر يهودي نقطة التقاء أقرب إلى بحث بولس عن المسيح باعتباره قاهراً للموت. فإننا نقرأ في رومية ٥: ١٢: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس". ويضيف ١ كورنثوس ١٥: ٢٢: "لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح يحيا الجميع". إن جذور هذا السر الخاص بتاريخ الخلاص تعود إلى رواية سقوط البشرية. وقد كتب الأستاذ جوتليب كلاين في بداية هذا القرن أنه بواسطة الأسلوب المعروف *بنوتاريكون notarikon*، الذي ينظر أحد جوانبه لكل حرف من الكلمة باعتباره حرفاً استهلالياً لكلمة أخرى، فإن الحروف العبرية الثلاث لكلمة *"آدم" كانت تُفسر باعتبارها إشارة إلى آدم، وداود، والمسيا*[١٨]. *وبهذه الطريقة سوف "يصحح" المسيا سقوط آدم*. ربما يكون كل ذلك مجرد هراء وهمي، لكنه مشتق من التوقع المسياني للمؤمنين الذين عاشوا في الأزمنة القديمة.

إن الأهمية المعطاة للمسيا الملك في التراجم – وأنه سوف يصنع سلام بدلاً من عدواة الإنجيل البدئي – تنعكس في رسالة بولس إلى أهل أفسس، بالرغم من أنه من غير المرجح تماماً وجود أي صلة جوهرية. فإننا نقرأ في الإصحاح ٢: ١٤ – ١٦،

---

[١٧] *شيموث رباه* ٣٠. ب. بيك في سلسلة مقالاته المطولة *مقاطع العهد القدم التي تُطبق مسيانياً*، (هبريشيا ١٨٨٥ ص ٣١) يفسر هذا المدراش بنفس الطريقة.

[١٨] G. Klein, Bildrag till Israels Religionshistoria, Stockholm ١٨٩٨, p ١١.

لأنــه هــو سلامنا، الذي .. نقض .. العداوة .. لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً احداً جديداً صانعاً سلاماً .. بالصليب قاتلاً العداوة به. فجاء وبشركم بسلام .."

بالرغم من أن العهد الجديد لا يقتبس من الإنجيل البدئي بشكل مباشر، إلا نــه يمكــن أن نرى أثراً له في تحية رومية ١٦: ٢٠: "وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم".

المسيا الذي سيدمر السياج المحيط بالناموس

إن البحــث عــن جــذور الإيمان المسيحي في العهد القديم يذكرنا بعض الشيء بالغوص للبحث عن اللآلئ في قاع المحيطات. فإن الغواص يُخرج أولاً كمية كبيرة من المحار من قاع البحر ويضعها على الشاطئ. أما المتفرج فإنه لا يــرى سوى هذه الأغلفة الخارجية إلى أن ينفتح المحار، وعندئذ ربما تظهر مــن بعضه لؤلؤة ثمينة مختبئة بداخله. إن قراءة الأدب العبري القديم يمكن أن تكــون محبطة جداً حيث أنه يهتم، في معظمه، بشرح الناموس الديني الطقسي الــذي لا يهم حقاً سوى اليهود الأرثوذكسيين. بينما يتجلى الغياب الكامل تقريباً للأبعاد الروحية والنفسية المميزة جداً للعهد القديم. وعلى الرغم من ذلك، فليس من النادر أن تنتج المحارة المغلقة بإحكام لؤلؤة نادرة.

بالــرغم من أن الأحبار يجدون "أسراراً" في العهد القديم بوفرة أكثر جداً مما تألفه الكنيسة المسيحية، إلا أنهم لا زالوا يؤكدون مراراً كلمات سفر التثنية ٢٩: ٢٩: "السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد".

إن المفاهــيم الذهنــية والروحــية يجــب أن توصف، بطبيعتها، بشكل اســتعاري. إذ أنــنا لا يمكننا أن نشرح على وجه التحديد ما هو "الإيمان"، أو "الــرجاء"، أو "المحبة" على سبيل المثال. وعن طريق نفس الرمز، ابتكر السر المسياني، إذا جاز التعبير، شفرته السرية الخاصة التي يجب أن "تُحل" قبل أن يُفهم. إن أحد أصعب المعضلات هي تكوين ٣٨: ٢٩ عن ابن يهوذا وثامار: "عليك اقتحام. فدُعي اسمه فارص".

لقــد عــبرنا بالفعل على البحث المرتبط باسم فارص، فيما يتعلق بالمسيا باعتــباره قاهر الموت. *إن Ben Parets، "ابن فارص" هو بالفعل أحد أكثر الألقــاب المبهمة المعروفة للمسيا*. ففي سلسلة نسب يسوع بإنجيل متى يظهر

الاسم على هيئة "فارص": "ويهوذا ولد فارص" (متى ١: ٣ الترجمة الآرامية) لذلك فإن يسوع كان بمعنى من المعاني "ابن فارص".

يتحدث "ختم المدراشيم" الحبر تانهوما بار أبا مراراً وتكراراً عن المسيا وقرابته لفارص. *"إنه المخلص الأخير، المسيا الملك"*. ويذكر تانهوما *أن هناك خطاة قد تكبدوا خسارة عظيمة بسبب سقوطهم، بينما يوجد آخرون قد استفادوا من آثامهم.*

"وهكذا فقد استفاد يهوذا، لأن منه جاء فارص وحصرون اللذان انحدر منهما داود والمسيا الملك الذي سيخلص إسرائيل. انظروا كيف كانت الصعوبات التي وضعها القدوس عظيمة حتى يقيم المسيا الملك من يهوذا، الذي كُتب عنه، "وروح الرب يكون عليه"[١٩].

يناقش المدراش رباه هذه الآية باستفاضة أكثر. فقد كانت هناك أولاً ملاحظة تحمل بعض الهزل وهي، "إن يهوذا كان منشغلاً في البحث عن زوجة، بينما كان القدوس، سلام له، يخلق نور المسيا"[٢٠]

إن أحد الآثار الأدبية التفسيرية المعروفة "بالهبة الكهنوتية" تقول عن ذلك إن، "المخلص الأخير هو المسيا ابن داود الذي جاء من نسل فارص ابن يهوذا"، ويُكمل جزء المدراش، "هذا هو المسيا الملك؛ كما هو مكتوب، "ويخرج قضيب من جذع يسى" و"يرسل الرب بقضيب عزك من صهيون"" (إشعياء١١: ١ومزمور ١١٠: ٢). يضيف شرح الأحبار: "هذا هو المسيا الذي سيظهر قريباً لأنه مكتوب عنه أنه "قد صعد الفاتك (الشخص الذي يشق الطريق (كلمة الطريق بالعبرية porets مشتقة من نفس أصل كلمة فارص peres) أمامهم"" (ميخا ٢: ١٣)

من المهم أن نلاحظ مقاطع الكتاب المقدس المذكورة بأعلى. فهي توضح أسلوباً *أُخرجت به نبوات مسيانية ضعيفة السند في سياقها الأوسع*. كما نرى علاوة على ذلك أن التراجم والمدراشيم تتحدث بصفة عامة عن "المسيا الملك"، وليس كثيراً عن شكل غير واضح "لمفهوم المسيا".

ويصف رمبن (الحبر موسى بن نهمان)، الذي عاش قرب نهاية القرن الثالث عشر، ميلاد فارص كما يلي:

---

١٩ *Midrash Tanhuma, Bereshith va-Yeshev.* إشعياء ٦١: ١-٣.

٢٠ *Midrash Bereshith Rabbah*, par ٨٥.

"كـــان يحـــيط به سياج وكان هو محصوراً بداخله. لذلك يُقال "هكذا تلك هي الكيفـــية التي اقتحمت بها السياج وخرجت منه". كان فارص هو البكر، "البكر بقوة العلـــي، كمـــا هو مكتوب، "سوف أعطي له ابناً بكراً". وقد كُتب ذلك عن القدوس الآتي، داود، ملك إسرائيل – أطال الله في عمره والفاهمون يفهمون"[٢١].

مـــا الـــذي سيفهمه "الفاهمون"، وما الذي يعنيه "اختراق السياج"؟ إن ذلك يصـــوِّر جيداً ما حدث بشكل تاريخي عندما اخترقت المسيحية القالب اليهودي، كما يمكننا أن نرى مما يلي.

يتحدث الأحبار بقدر كبير عن "سياج الناموس". وتذكر غلاطية ٤: ٤ – ٥ أن يسوع كان "مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني". ويُكمل بولس، "فاثبتوا إذاً في الحرية التي حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا بنير العبودية"(٥: ١). "ولكـــن إذا انقدتـــم بالروح فلستم تحت الناموس" (٥: ١٨). وهكذا يمكن أن يتحول الناموس في اليهودية إلى نير مستعبد بدلاً من أن يكون هبة.

يوجد في اليهودية اليوم بصورة رسمية ٦١٣ وصية وتحريماً. يبدو أن التطور إلى ديانة ناموسية حدث في مرحلة مبكرة جداً. فقد كتب إشعياء النبي منذ ٧٠٠ عام قبل الميلاد أنه بدلاً من أن تكون الديانة "كلمة راحة" أصبحت أمراً:

"لأنـــه أمـــر علـــى أمر. أمر على أمر. فرض على فرض. فرض على فـــرض. هـــنا قليلاً هناك قليلاً – لكي يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء وينكسروا ويُصادوا فيؤخذوا" (٢٨: ١٠ – ١٣)،

وأن مخافـــة الله لم تكن أكثر من مجرد "وصية الناس معلمة" (٢٩: ١٣). يشـــرح ترجوم يوناثان أن الله خلق الإنسان من ٢٤٨ عظمة و٣٦٥ وتراً، أي بعـــدد أيـــام السنة الشمسية (معاً = ٦١٣). *وبالإضافة إلى هذه الوصايا القائلة "يجـــب علـــيك" و"لا يجـــب عليك" كانت هناك مجموعة منفصلة من الوصايا الإضـــافية التي تشكل "السياج المحيط بالناموس"*. وكان على اليهودي التقي أن يعيش في ستر هذه الحماية.

كـــان يســـوع مجبراً في تعليمه على أن يتحدث عن نفس تلك الإساءة في التطبيق. فقد أضاف، وهو يشير إلى كلمات إشعياء المُقتبسة بأعلى:

---

[٢١] *ميكراوث جيدولوث*، مقطع متطابق.

"بـــاطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس .. حينئذ تقدم تلاميذه وقالوا له أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا. فأجاب وقال كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلع. اتركوهم" (متى ١٥: ٨ – ١٤).

وهكذا فإن يسوع اخترق سياج الناموس عن حق.

كذلك موسى أيضاً، عندما أسس الوصايا، قال للشعب،

"فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعملوها .. لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه"[٢٢]

لقد حاول العلماء اليهود بالطبع أن يعطوا *التارياج taryag*، أي الستمائة وثلاثة عشر وصية، أساساً في أسفار موسى الخمسة، لكن في كل من هذه *والسياج seyag*، أي القوانين الملحقة، هناك عناصر يسلِّم الأحبار أنفسهم أنها بلا أساس في الناموس المكتوب. إن هذه *الهالاخاه halakha* أو الوصايا التقليدية هي بالتحديد أكثر المشاكل الداخلية صعوبة لإسرائيل الحديثة.

لقد تحدث بولس عن هذا "السياج المحيط بالناموس" في أفسس ٢: ١٤ – ١٥؛ "لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً".

لا يمكننا أن نفهم "السياج المحيط بالناموس" سوى بواسطة "حائط السياج المتوسط" و"ناموس الوصايا في فرائض". لقد نقضه المسيح بموته الكفاري. و"الفاهمون يفهمون" كما ادعى رمبن.

إن إشعياء ٨: ١٤، الذي يفسره التلمود باعتباره يشير إلى "المسيا ابن داود"[٢٣]، يصف نفس هذا "الاختراق" المتصل بصورة فارص التوضيحية: "ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتي إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم". وجميع هذه الصور تنطبق جيداً على يسوع: فقد كان "البكر بقوة الله العلي"، وبذلك خلق بدون قصد صدعاً بين الديانة الأم والديانة الإبنة، وأصبح "الحجر الذي رفضه البناؤون".

---

[٢٢] انظر تثنية ٤: ١- ٢، أمثال ٣١: ٦ ويشوع ١: ٧.
[٢٣] **Sanhedrin ٣٨a.**

يــرفق مدراش رباه صورة "المسيا بن فارص" التوضيحية بنبوة ميخا ٢: ١٣: "قد صعد الفاتك أمامهم .. والرب في رأسهم". إن راشي، الحبر شلومو يتشاق (١٠٤٠ – ١١٠٥)، الذي شرح في كتاباته التلمود والعهد القديم بأكملهما، قال عن فارص إنه *"مخلصهم، وهو الفاتك"*. كما يصرح راداك، الحبر ديفيد كيمهي، أن *"الفاتك هو إيليا، وملكهم هو الغصن، ابن داود"*. تُعتبر إشارة ميخا إلى مفهوم "الفاتك" طبيعـــية حيث أن الكلمة العبرية له هي *porets*، وهي مشتقة من نفس الأصل الذي لكلمة فارص Perez.

بـــلا شـــك سوف يفهم المسيحي جيداً هذه الإشارة المستمرة في كثير من الأدب اليهودي إلى بشير المسيا الذي سيهيء الطريق أمامه. يشرح *المتسودات داود Metsudat David*، وهـــو شرح يهودي شعبي من القرن السابع عشر للأسفار النبوية والتاريخية، نبوة ميخا باعتبارها تعني:

"ســوف يأتي إيليا قبل زمن الخلاص ليرد قلوب إسرائيل إلى أبيهم السماوي حــتى يكون بشيراً بالخلاص لهم .. لكنه يُعنى "بالملك" المسيا الملك، وسوف يأتي الرب قبلهم جميعاً، لأنه سوف يرد في ذلك الوقت روحه القدوس إلى صهيون"[٢٤].

إنه لمن المدهش أن نرى في كتابات أكثر المفسرين اليهود المعترف بهم أن هـــناك أفكـــاراً مرتبطة باسم فارص مما يساعدنا على فهم خطة الخلاص وبعـــض من تعاليم بولس الأكثر صعوبة. ومع ذلك، فليس نادراً أن تكون هذه اللآلئ مدفونة في عمق محيط التراث، ومختفية في محارة حصينة.

المسيا الذي سيتسلط على الأمم

كثـــيراً مـــا أكد العلماء المسيحيون على أن "العلم النقدي لا يعترف سوى بنصين من أدب العهد القديم السابق للنبوات باعتبارهما مسيانيين"، وأولهما هو بـــركة يعقوب. لكن التفسير المسيحي يكتفي هنا بالتصريح العام بأن المسيا هو أصـــل ســـبط يهـــوذا. أما التفسير اليهودي القديم فإنه يرى إشارة مسيانية في الكلمـــات الأولى لتلك البركة التي تتحدث عن "آخر الأيام". وكما رأينا من قبل

---

[٢٤] *ميكراوث جيدولوث* على ميخا ٢: ١٣.

باسم الحبر كيمهي أنه، *"في كل المواضع التي تُذكر فيها الأيام الأخيرة، يكون المقصود أيام المسيا"*.

تظهــر مقولة "آخر الأيام" لأول مرة في الكتاب المقدس في بركة يعقوب بسفر التكوين ٤٩: ١، "ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في *آخــر الأيام*". كما أن البركة التي تلقاها يهوذا تتحدث عن المسيا باعتباره حاكم الأمــم. *إن كــل شروحات الأحبار بدءاً من التراجم والمدراشيم ترى هنا نبوة مســيانية واضــحة*. ويمكــن أن تُــرى الظلال المتعددة للتوقع المسياني في تفاسيرهم كما لو أنها شبه منكسرة من خلال منشور. فإننا نقرأ في الآيتين ١٠ و١١: "لا يــزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون ولــه يكــون خضوع الشعوب. رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن أتانه غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه".

لقــد جــرت محاولة في اللاهوت المسيحي وفي اليهودية لإنكار عقيدة "آخر الأيــام" كلــياً. فقد أخبرني مارتن بوبر، وهو أستاذ يهودي يُعتبر بارعاً في الحوار الدينــي، ذات مــرة فــي حديث خاص عن فكاهة قديمة تستند على بركة يعقوب: تواصــل القصة أن الروح القدس قد انصرف من يعقوب بعد أن ذكر "آخر الأيام". وقــد شرح بوبر قائلاً، "أنا شخصياً أرفض تماماً الإسخاتولوجيا [عقيدة آخر الأيام]. فالإســخاتولوجيا ليســت تاريخاً، كما أن التاريخ ليس إسخاتولوجيا. لم يكن الأنبياء يتكهــنون بالغيب؛ فقد تمنوا أن يبوحوا بما كان ضرورياً ومناسباً لزمانهم، بالضبط كما يعلن الله نفسه في كل عصر بحسب احتياجاتنا".

باستطاعتي أن أفهم جيداً موقف بوبر. فهو يذكِّرني بالكلمات التي وُجدت فــي مخطوطــات الــبحر الميت، وهي أن الأنبياء لم يسجلوا من الرؤى التي تلقوهــا *"سوى ما كان ضرورياً للبشرية"*[٢٥]. حتى مدراش رباه يؤكد على أن، *"يعقوب قد تمنى أن يكشف آخر الأيام، لكنها كانت مخفية عنه"*[٢٦].

لكــن هــل باســتطاعتنا أن نثبــت أي شيء بشأن الخلفية التاريخية لهذه الــبركة؟ هــل من المحتمل أن تكون قد نشأت فعلياً في زمن يعقوب، أم بعده؟

---

[٢٥] **Masechet Megilah ١٤a.**
[٢٦] **Midrash Bereshith Rabbah par٩٨.**

ـــل تُعتبر الروايات الخاصة بالآباء مجرد قصص ذات طابع غير رسمي كما ؤكـد المفســرون العصــريون فــي بعض الأحيان؟ ما الذي يقوله الترجوم، المدراش، وأدب الأحبار بخصوص طابعها المسياني؟

أثــار عالم الآثار و. ف. أولبرايت بعض الملحوظات المثيرة على بركة عقــوب. فهو يدعي أنها لم تُكتب بالطبع قبل القرن الحادي عشر قبل الميلاد، لا أنهــا مشــتقة مــن تقليد أكثر قدماً[٢٧]. إننا نعلم في الوقت الحاضر بشأن ما يُدعى نصوص ماري من آرام النهرين، التي كُتبت على ما يزيد من ٢٠٠٠٠ وح طين[٢٨]. يظهر أولبرايت من أوصاف ذبيحة البغل في نص ماري أن نفس الكلمــات الثلاثة لكلمة "ابن آتان" المستخدمة في بركة يعقوب توجد في شمال آرام النهريــن بــنفس الترتيــب. وبالمــثل فإن عبارة "دم العنب" تشبه تعبير أوغاريتي قديم "دم الشجرة" كان يُستخدم للنبيذ. وإذا كان الحال هكذا، فإن بركة يعقوب تتأسس على تقليد قديم جداً.

لــو أنــنا أخذنــا في الاعتبار حقيقة أن الملك البابلي حمورابي قد غلب مدينة مــاري ودمرها في عام ١٧٥٩ ق م وفقاً للتقدير المتوسط، أو في عام ١٦٩٥ ق م بحسب التقدير المتأخر، فليس هناك داعٍ للشك، من وجهة نظر لغوية، في أن بركة يعقــوب هي منذ زمن يعقوب. فإن المستشرق المعروف إي. و. هنجستنبرج يذكر الشــاعرين العربييــن لبيد وحارث، وقد ألف أولهما قصيدة على فراش الموت في سن ١٥٧، وأنشد ثانيهما الشعر عندما كان يبلغ ١٣٥ من عمره – في سن متقدمة جــداً في كلتا الحالتين، بالرغم من أنه يجب أن يكون هناك إثبات لوجود مبالغة في الــروايات عــن المدة التي عاشوها. فمع ازدياد القراءة والكتابة أصبح هناك نقص علــى الجانب الآخر في القدرة على الحفظ. وهكذا فإن بركة يعقوب لا تعير نفسها للتشريح بالأساليب العصرية للنقد[٢٩].

لقد اعتبر التفسير المسيحي بركة يعقوب مسيانية منذ وقت الشهيد يوستين في منتصف القرن الثاني. لكن الفهم المسياني اليهودي لهذا النص يتأسس على

---

[٢٧] و. ف. أولبرايت، *الزمن الكتابي من إبراهيم إلى عزرا*، نيويورك ١٩٦٣، ص ١٢.

[٢٨] أ. مالامات، *ماري والكتاب المقدس*. مجموعة من الدراسات، أورشليم ١٩٧٧ – مقالات بالعبرية والإنجليزية.

[٢٩] إي. و. هنجستنبرج، *كريستولوجيا العهد القديم*، ص ٢٨.

مـــادة أكثر قدماً. يقول ترجوم أونكيلوس عن قضيب يهوذا أنه لن يزول "*حتى يأتي المسيا الذي لديه القوة لكي يتسلط*". أما ترجوم يوناثان فهو يذهب إلى أن الآيـــة تشير إلى "*زمن المسيا الملك، الملك الذي سيأتي على أنه أصغر أبنائه*". ويتحدث ترجوم يروشالمي عن "الزمن" الذي "*سيأتي فيه المسيا الملك*".

يلصـــق أدب المــدراش معـــالم إضافية بالبركة ترتكز على طبيعة اللغة العبرية. فيصرح مدراش رباه بأنه،

"لا يــزول قضيب من يهوذا .. حتى يأتي ("هو") *شيلون*، هذا هو المسيا الملك .. "قضيب يهوذا" يعني المجمع العظيم، السنهدريم، الذي ضُرب وانهار .. حتى يأتي شيلون".

يناقش الحكماء مثل سلالة الحبر المعروف هيليل بهذا الصدد مثل تلك الأمور ويعلنون أنه ،"قد عُثر على لوح خاص بسلسلة الأنساب في أورشليم يُقال فيه أنه من نسل داود". ويكمل المدراش، "*رابطاً بالكرمة جحشه تعني المدينة التي اختارها*" [إن الكلمـــة غـــير المعتادة *iyroh* المستخدمة هنا "لحمار" أو "ابن أتان" تبدو مثل *iyro* "مدينته"، أي أورشليم]. ثم تأتي بعد ذلك ملحوظة محطمة:

"قـــال الحـــبر حنيـــن أن إسرائيل لن تحتاج إلى تعليم المسيا الملك، لأنه مكـــتوب فـــي إشـــعياء ١١: ١٠؛ "إن الأمـــم سوف تطلب أصل يسى" وليس إســـرائيل. إن كـــان الأمر كذلك، فلماذا سيأتي المسيا الملك، وماذا سيفعل؟ إنه سوف يعيد إسرائيل من تشتتهم ويعطيهم ثلاثين أمراً [جديداً]"[٣٠]

يشـــرح التعلـــيق المعروف باسم "الهبة الكهنوتية" ما الذي يعنيه ذلك من وجهة نظر التوراة أو الناموس:

"إن المســـيا الملك سوف يبين لهم بشكل واضح التوراة والأخطاء التي وقعوا فيها حتى ذلك الحد .. الثلاثون أمراً الجدد هم فرائض يجب أن تتقيد بها شعوب العالم"[٣١].

إنـــه لأمـــر ذي مغزى أن يشك المدراش إن كانت إسرائيل سوف تتلقى تعاليم المسيا. وفي الوقت نفسه هناك احتمال وارد أنه ربما يكون الأحبار على خطأ. لكن هناك تأكيد شديد بصفة عامة على أنه حتى *كلمات تلاميذ الحبر* هي

---

[٣٠] ***Midrash Bereshith Rabbah*** جزء ٩٨.
[٣١] ***Matanoth Kehuna***، مقطع مماثل.

مُعطـــاة بواســـطة الروح القدس، *وأن "مخافة الحبر هي من مخافة الله"*. يقترن هــذا نفســياً بعلاقة الطفل مع أبويه: *"كما يُوصى الإنسان بأن يحترم ويخاف والده، هكذا ينبغي عليه أن يحترم ويخاف حبره أكثر من والده"* [٣٢].

إن تلــك الــنقطة هي قضية النقاش غير المباشرة في مرقس ٧: ٩-١٣ حيــث نرى يسوع يعارض عادة الأحبار في تحرير الشخص من واجباته نحو والديــه لــو أنــه قدم *قرباناً* للهيكل. بهذه الطريقة تبطل كلمة الله بسبب تقاليد الــناس. ويواصل المدراش إلى حد التأكيد أن *".. كل القرارات التي سيعطيها العلماء البارزون فيما بعد كانت موجودة بالفعل وقد أُبلغت لموسى في سيناء"* [٣٣]

يقترح مدراش تانهوما ما يلي في بحثه لنصيب يهوذا في بركة يعقوب:

"لمــاذا يحمــدك إخوتك يا يهوذا؟ [آية ٨] لأن كل شعب إسرائيل سوف يُدعــى "يهــوداً" بسببك؛ وليس فقط لهذا السبب، لكن لأن المسيا سوف يكون أيضــاً من نسلك، وهو سيخلص إسرائيل كما هو مكتوب، "ويخرج قضيب من جذع يسى" (إشعياء ١١: ١)" [٣٤].

وفي الواقع، في كل جوانب العالم التي نجد فيها يهوداً فإننا نجد فيهم شعباً دُعي لكي يُعرّف بمجيء المسيح وعمله الفدائي.

إن المــدراش ربــاه على المراثي، وهو واحد ضمن أقدم ست مدراشيم، يــتحدث عــن إسرائيل باعتبارها "العذراء ابنه يهوذا". وهو يضيف لذلك بحثاً طويــلاً، يظهــر أيضاً في التلمود، عن اسم المسيا ويختمه بكلمة *"شيلون"* من بركة يعقوب. فإننا نقرأ في مراثي ١: ١٥-١٧؛

"داس الســيد العــذراء بنت يهوذا معصرة. على هذه أنا باكية .. بسطت صهيون يديها. لا معزي لها".

ويتوسع المدراش في هذه الكلمات كما يلي؛

""عينــي عينــي تســكب مياهاً لأنه قد ابتعد عني المعزي راد نفسي"، وهكذا فإن أســرائيل تُســمى "عيــن القدوس" .. "المعزي الذي يرد نفسي بعيد عني"؛ وما هو اسم المســيا الملك؟ .. اسمه الرب، لأن إرميا ٢٣: ٦ يقول، "وهذا هو اسمه الذي يدعونه به

---

[٣٢] *Hilchot Talmud Torah* ١٠: ٥.
[٣٣] *Midrash Qoheleth Rabbati* ١.
[٣٤] *Midrash Tanhuma, Bereshith vayehi,* ٦٤.

الــرب بــرنا .." اسمه "الغصن" لأن زكريا ٦: ١٢ ينكر، "هوذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت .." اسمه المعزي، لأنه مكتوب، "ابتعد عني المعزي".

ثم يقدم لنا المدراش أيضاً اسم "لبنان"، الذي يشير إلى الهيكل، لأن إشعياء ١٠: ٣٤ يقول، "ويسقط لبنان بقدير".

"اســمه "شــيلون"، لأنه مكتوب في تكوين ٤٩: ١٠، "حتى يأتي شيلون" .. اسمه "نعمــة"، لأن إرمــيا ١٦: ١٣ يقول، "حيث لا أعطيكم نعمة" .. اسمه "ينون" كما يقول مزمور ٧٢: ١٧، "قدام الشمس، اسمه ينون". (أي "يمتد اسمه")٣٥.

يؤكد الأحبار على أن اسم المسيا هو أحد الأشياء السبع التي صدر الأمر بها قبل الخلق[٣٦]. وهذه الأسماء تصف طبيعة مهمة المسيا. فلو أننا لم نأخذ في حسابنا الطريقة الكتابية للتفكير التي تشكل الأساس لهذه المفاهيم فإننا قد نستنتج إلى حد بعيد، كما فعل أحد النقاد، أنها "مبهمة أو ينقصها الجد"[٣٧]. وعلى الرغم مــن ذلــك يمكنــنا أن نرى هنا على وجه الخصوص السلسلة الكاملة للتوقع اليهودي المسياني المبكر.

لكن ما الذي تعنيه عبارة "حتى يأتي شيلون"؟

يجــد العلماء اليهود معاني للكلمة العبرية *"شيلون"* غير معروفة للاهوت المســيحي. فالبعض يرى فيها الأصل *shalev* الذي يعني "مسالم"، ومنه يمكن عندئذ اشتقاق *shalvah*، "سلام". بكلمات أخرى، فإن المسيا هو رئيس السلام. ويؤكد بعض العلماء أن *شيلون* في هيئتها الأصلية كانت *moshlo*، "حاكمهم"، ممــا يجعل المسيا حاكم الأمم. أما راشي – وهو المفسر الرئيسي للعهد القديم والــتلمود فــي العصــور الوسطى الذي كان لديه أيضاً ميل خاص للتراجم – فــيقول عــن *شيلون*، "إنه المسيا الملك و(شيلون) هو قوته المهيمنة. تلك هي الكيفية التي فهم بها أونكيلوس الأمر. ويشرح المدراش ذلك بكلمات *shai lo*، أي "هبات له"، لأن مزمور ٧٦: ١١ يقول، "ليقدموا هدية للمهوب"[٣٨].

---

[٣٥] ١٦ :١ *Midrash Rabbah De-eicha*. انظر أيضاً *Sanhedrin* ٩٨b

[٣٦] *Pesahim* ٥٤a and *Nedarim* ٣٩b

[٣٧] س. موينكل، *الآتي*، ص٢٩٣ – "ينقصهم الجد

وهكـــذا فإن فكرة "المهوب"، MORAH، أصبحت أيضاً لقباً للمسيا. كذلك تخبرنا الأناجيل هنا وهناك أن هؤلاء الذين سمعوا يسوع غلب عليهم خوف عظيم[٣٩].

عـــندما يـــبدأ الأحـــبار فـــي كشف "التلميحات" السرية للكتاب المقدس، *remazim*، فـــإنهم يتمـــنون فـــي الوقت نفسه تعزيز أفكار رائجة بالفعل في المجمـــع. وفي أحد هذه الأساليب للتفسير، المعروف باسم *gematria*، كانت تُعـــد القـــيمة العددية لحروف الكلام ثم تُقارن بكلمات أخرى تمنح نفس القيمة. يتأســـس هـــذا الأسلوب على عبارة في حكمة سليمان ١١: ٢٢ تقول، *"لقد أعد الله كل الأشياء بحسب قياس، وعدد، ووزن"*.

لكـــن مـــا الـــذي اكتشفه الحكماء بخصوص فكرة "شيلون" عند الاستعانة بأسلوب *gematria* الخاص بهم؟ *إن القيمة العددية "لحتى يأتي شيلون"، yavo shiloh، هـــي ٣٥٨، وهي تتطابق بالضبط مع تلك التي "للمسيا" mashiah. كمـــا أن قيمة gematrtia لنحاش nahash، "حية" هي أيضاً* ٣٥٨. وقد كتب جوتليـــب كلاين أنه بلغة القابالاه اليهودية الصوفية فهذا يعني أن *"المسيا سوف يســـحق رأس الحية"*[٤٠]. مثل تلك التأملات ليس لها أساس علمي، لكنها تصف فهم الأحبار وهو أن المسيا سوف ينقض فساد الخطية. ينعكس نفس هذا التوقع في ١ يوحنا ٣: ٨، "لأجل هذا أُظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس".

وما هو مغزى صور الجحش والكرمة؟

لقد كرس التلمود ومدراش تانهوما انتباهاً خاصاً لرمزي الجحش والكرمة في بركة يعقوب. *إن الفهم الأكثر شيوعاً للكرمة هو أنها تعني إسرائيل، كما أن الكلمة الغربية المستخدمة "لجحش"، iyroh تشبه "مدينته" ("مدينة" بالعبرية = iyr، "مدينته" = iyro)، بكلمـــات أخرى "أورشليم" حيث سيصل المسيا*. كما أن كلا من هاتين الكلمتيـــن تُفهمـــا في معناهما الأولي. عندما *نناقش كلمة جحش، تُوجه الإشارة إلى موسى، الذي "أخذ امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير" (خروج ٤: ٢٠) وأيضاً إلى "موسى الثاني"، المسيا، فهو "وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان" (زكريا ٩: ٩)*. إلى هذا الحد سوف يتضع المسيا[٤١].

---

[٣٩] لوقا ٥: ٢٦، ٧: ١٦، ٨: ٢٥ و٣٧.
[٤٠] Gottlieb Klein, *Sex foredrag*, p١١٣.
[٤١] انظر مثلاً ستراك بيلربك ١، ص٨٤٢- ٣.

ويصف "حبرنا عوبديا" بركة يعقوب كما يلي[٤٢]:

"لن يأتي المسيا على فرس حرب، لأنه هو رئيس السلام .. من ناحية أخرى فهو "رابطاً بالكرمة جحشه"، مما يعني أن مملكة سلامه سوف تسود في إسرائيل، التي تُشبَّه بالكرمة .. وعندما يُذاع أنه سوف يأتي في سلام عندئذ سوف تطيعه الأمم .. كما أن الضعفاء، المُهملين، سوف يسمعونه ويعودون إليه".

يُقال في التلمود أنه *لو حلم شخص بجحش، فهو ربما يرجو الخلاص المسياني*[٤٣]. كما أن كلا من تقاليد التلمود والزهار تذكر أن *"الأحلام عن الكرمة تعني أن الشخص يتوق لرؤية المسيا، لأنه مكتوب: "رابطاً بالكرمة* جحشه""[٤٤]. كما تظهر رموز الجحش والكرمة أكثر وضوحاً من خلال حقيقة أن كلتا الكلمتين في الآرامية تُكتبا بنفس الطريقة بالضبط في الكتابة بدون تنقيط: *hamara*، "حمار"، و*hamra*، "كرمة". وهذه الكلمات الآرامية لا تظهر بالطبع في نص العهد القديم العبري.

إن أكثر نقاط المقارنة طبيعية لعمل يسوع توجد فيما بين هذه التوقعات المسيانية اليهودية. فقد اختار حماراً ليمتطيه إلى "مدينته" كعلامة على التواضع والخضوع. هناك إشارة في ذلك نجد أنه قد تمت مناقشتها أيضاً في التلمود:

"إن ابن داود لن يأتي سوى في جيل إما بار تماماً أو شرير تماماً. *"في جيل بار تماماً"*؛ كما هو مكتوب: "وشعبك كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض" (إشعياء ٦٠: ٢١). أو *"شرير تماماً"*؛ كما هو مكتوب: "فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع" (إشعياء ٥٩: ١٦) .. "وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان" (دانيال ٧: ١٣). كما أنه مكتوب أيضاً، "وديع وراكب على حمار" (زكريا ٩: ٩): لو كانوا أبراراً فسوف يأتي على السحاب. ولو لم يكونوا كذلك، فسوف يأتي في تواضع راكباً على حمار"[٤٥].

تظهر أيضاً مقارنة المسيا بالكرمة في العهد الجديد. فقد أعلن يسوع في الإصحاح الخامس عشر من يوحنا، "أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام .. اثبتوا

---

٤٢ *Mikraoth Gedoloth, Sipureinu*، "شرح حبرنا عوبديا".

٤٣ *Berakoth* ٥٦a

٤٤ *Berakoth* ٩٧b

٤٥ *Sanhedrin* ٩٧b

ـيّ وأنـــا فـــيكم". من المحتمل جداً أن الأفكار التقليدية المحفوظة في التلمود خصـــوص الآمـــال المصـــاحبة لأحلام الأتقياء كانت معروفة حتى في زمن ـوع. وهكذا يمكن أن تُفهم خلفية مجاز الكرمة بشكل أفضل.

تـتحدث تراجم يوناثان ويروشالمي، في ترجماتهم لتكوين ٤٩: ١٢، عن *عيون المسيا الملك*. كم أنها جميلة، *"متألقة كالنبيذ"* – أما في الترجمة الآرامية هـــي "حمراء بالنبيذ". إلا أن الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم تـــي تمت عام ٢٠٠ ق م) تتبع تقريباً نفس التفسير الذي في التراجم. *كما أن رؤيـــا القديـــس يوحنا التي كُتبت – بحسب كلمات الحبر إبراهيم بن عزرا من قرون الوسطى – "بقوة الروح القدس" وكانت "مقبولة كي يقرأها كل اليهود"*، قـــول ثلاث مرات عن عيون يسوع أنها تشبه "لهيب نار"[٤٦]. وتخبرنا الأناجيل كـيف أن يســـوع "نظـــر" للشاب الغني "وأحبه"، وكيف أنه "التفت ونظر إلى طرس" الذي بدأ يبكي بكاءاً مراً بعد ان انكسر بسبب هذه النظرة[٤٧].

يجذب فرانز دليتش الانتباه إلى حقيقة أن الإنجيل البدئي يتحدث "عنه" في روايته عن "نسل المرأة"، وهو يهدف إجمالاً إلى الخلاص الموعود به "للبشرية بأكملهـــا"؛ فإن الوعد المعطى للآباء قد أُعطي بصيغة المفرد من خلال المسيا باعتـــباره "النسل" الذي سيمنح بركة لكل الشعوب. ومع ذلك، ففي هذه الحالة، ســـوف يـــبدو موضـــوع بركة يعقوب على أنه يخص "سبط" يهوذا في المقام الأول، وهنا نجد بداية لنوع من "التضييق" القومي[٤٨].

كمـــا أن المسيا المصور في بركة يعقوب هو حاكم (مشترع) الأمم. نحن نـــرى فـــي ذلك رؤية لخلاص عالمي في قصده. إن الكلمة العبرية "لمشترع"، *me hoqeq*، تعنـــي حرفياً "المشرِّع" – ومن هنا جاء تشديد الأحبار على أن، *"المســـيا سوف يبين التوراة بمنتهى الوضوح"*. ويطرح الأحبار السؤال عما إذا كانـــت إســـرائيل سوف تحتاج إلى تعليم المسيا بما أن الأمم ستطيعه. وبرغم ذلك، فهو سيأتي إلى "مدينته".

---

[٤٦] رؤيا ١: ١٤، ٢: ١٨ و١٩: ١٢.
[٤٧] مرقس ١٠: ٢١ ولوقا ٢٢: ٦١. تستخدم الترجمة السبعينية عبارة *kharopoioi*، أي "يسعد".
[٤٨] **Franz Delitzsch, *Messianische Weissagungen*, pp٤٠-١.**

لقد حلم اليهود بالمسيا باعتباره "كرمة" نبيلة، وهي ما برز من خلال الكلمة العبرية *soreqah* (تكوين ٤٩: ١١)، "كرمة تثمر عنباً أرجوانياً"، وهو النوع الأكثر غنى. لن يكون المسيا معداً للحرب لكنه سوف يأتي بالأحرى كرئيس للسلام. وهو سيطهر شعبه "بدم العنب". و سوف يُدعى كل شعب إسرائيل "يهوداً" بسبب البركة التي تلقاها يهوذا. ومع ذلك، فإن الأمر الأساسي هو أن المسيا سوف يكون من نسله. وبهذه الطريقة تعكس بركة يعقوب بالفعل كل ظلال التوقع المسياني اليهودي كما لو أنه يُرى منكسراً من خلال منشور.

المسيا باعتباره موسى الثاني

كثيراً ما يعرض أدب الأحبار متوازيات بين الحقائق المتشابهة. وأحياناً ما تتطور هذه المقارنة بواسطة مبدأ *qal va-Homer* – من البسيط إلى الأكثر تعقيداً؛ وفي أحيان كثيرة يُعاد إحياء المادة باستخدام التوضيح الملائم. وقد ابتكر المفهوم المسياني بالمثل لغته البلاغية الخاصة. *فإن أحد أكثر المتوازيات المستخدمة شيوعاً هو تشبيه المسيا بموسى "المخلص الأول"*.

يظهر فيما بين المسيحيين توازي مشابه في زمن مبكر منذ قال يسوع عبارته، "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني" (يوحنا ٥: ٤٦). وكان هؤلاء الذين يستمعون إليه يهتفون في أحيان كثيرة، "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء" (يوحنا ١: ٤٥). عندما يتحدث اللاهوتيون المسيحيون عن المسيا فإنهم يستخدمون أحياناً مفهوم *Moses redivivus*، أي "موسى الذي أُعيد إلى الحياة"، أو موسى "الجديد". وهذه الفكرة مشتقة من آية يشير إليها كل من بطرس واستفانوس في سفر أعمال الرسل (٣: ٢٢ و٧: ٣٧).

كما أننا نجد الوعد في تثنية ١٨: ١٥ و١٨-١٩ بأنه:

"يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون .. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه .. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه".

تؤكد النبوة السابقة على حقيقة أن النبي الموعود سوف يتحدث باسم الله وبسلطانه. يفترض المفسرون اليهود أن الإشارة هنا هي إلى يشوع بن نون أو

إلــى إرمــيا "نبي الأمم". إلا أنه يبدو أن الأكثر منطقية هو أن نتأمل فيما قاله الحبر ليفي بن جرشوم، وهو أن هذه الآيات تتحدث عن المسيا:

"إن المســيا هــو حقــاً هذا النبي، كما يعلن المدراش، "هوذا عبدي يزدهر" (إشعياء ٥٢: ١٣) .. فقد نجح موسى بواسطة المعجزات التي عملها في أن يجعل أمة واحدة فقط تخدم الله، لكن المسيا سوف يجعل كل شعوب الأرض تخدمه "[٤٩].

يضيف الترجوم تفسيراً لهذه الآية يُعتبر ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر اللاهوت المسيحي:

"يقيم الرب إلهك بالروح القدس نبياً من وسطك مثلي"، و"أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم بواسطة الروح القدس"[٥٠].

نواجه هنا مرة أخرى توقعاً مسيانياً توجد فيه معالم فوق-تاريخية: سوف يقيم الله لشعبه نبياً يتحدث باسمه، يُحمل به بالروح القدس، ويتميز عمله بصنع المعجــزات. هــناك خطر في الأسلوب المعروف "بالمنظور النبوي التاريخي" يكمــن في استبعاد هذه المعالم الصوفية من التوقع المسياني القديم. علاوة على ذلــك، فــإن العمل بموجب هذه الطريقة لا ينصف الرجاء المسياني كما ظهر فعلياً في التاريخ، بصرف النظر عن الاستشهاد باسم النقد التاريخي. وفي نفس الوقت كما رأينا، فإن كريستولوجيا العهد الجديد تضيق. ربما يكون الأمر حقاً إن تفســير الأحــبار يروحن ويستخدم المجاز لدرجة أنه يتساهل مع الرمزية المــبالغة – لكــن العهــد الجديــد يفعل نفس الأمر بالتحديد؛ فتلك هي إحدى الخواص المميزة للتوقع المسياني.

المسيا باعتباره المخلص الأخير

عــندما نتحدث عن المسيا باعتباره "موسى الثاني" فإننا نواجه في الكتابات اليهودية القديمــة طــيفاً واســعاً مــن الفكر ورؤية عريضة لتاريخ الخلاص. وأفضل طريقة للوصــول إلــى مــنظور من خلال هذه الصور هي على الأرجح اللجوء إلى العناوين الفرعية التي تختصر ما يجب أن يُقال إلى وجبات أصغر وأسهل هضماً.

---

٤٩ ديفيد ل. كوبر، *المسيا وعمله الفدائي*، ص١٥.

٥٠ في العبرية *be-Ruah qudsha* و *de-Ruah qudsha* على التوالي.

إن أدب المـــدراش على موسى يتحدث عن المخلصين "الأول" و"الأخير" .
كذلـــك يـــروي مدراش رباه على سفر الجامعة كيف أن الحبر برخيا قال باسم الحبر يتشاق الذي عاش قبل عام ٣٠٠ م أنه:

"كما كان هناك مخلص أول كذلك سوف يكون مخلص أخير. كما قيل عن المخلص الأول (خروج ٤: ٢٠) أنه "أخذ امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير"، هكـــذا قيل عن المخلص الأخير أنه "وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتـــان" (زكـــريا ٩: ٩). كما وفّر المخلص الأول المن (خروج ١٦)، كما هو مكـــتوب، "ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء"، هكذا يفعل المخلص الأخير، كما هـــو مكـــتوب (مـــزمور ٧٢: ١٦)، "تكون حفنة بر في الأرض". وكما شق المخلص الأول نبعاً، كذلك سوف يوفر المخلص الأخير ماءاً، كما هو مكتوب (يوئيل ٣: ١٨)، "ومن بيت الرب يخرج ينبوع"[٥١].

وفـــي المقطـــع الموازي المماثل يقول الحبر يشتاق بار ماريون (٢٩٠-٣٢٠ م) أنه، *"في النهاية، سوف يظهر الرب بنفسه ويعطي المن من السماء"* .

إن الأناجيل الأربعة كلها تسجل الواحد تلو الآخر معجزات يسوع الخاصة بإشـــباع الجمـــوع. وقد وبخ يسوع قبل آلامه مباشرة تلاميذه في الطريق إلى قيصرية فيلبس من أجل اهتمامهم بما سيأكلونه في رحلتهم:

"أحتى الآن لا تفهمون ولا تذكرون خمس خبزات الخمسة الآلاف .. ولا سبع خبزات الأربعة الآلاف؟" (متى ١٦: ٩-١٠)

كذلك تحدث يسوع عن نفسه باعتباره خبز الحياة:

"الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقـــي مـــن السماء. لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم .. أنا هو خـــبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" (يوحنا ٦: ٣٢-٥)
وقـــدم يســـوع نفسه للمرأة السامرية باعتباره ينبوع المياه الحية: "لو كنت تعلمين عطية الله ومـــن هـــو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حياً .. كل مـــن يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن

---

٥١. Midrash Qoheleth Rabbati ١.

يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا ٤: ١٠، ١٢-١٣)

ونادى يسوع من ناحية أخرى، "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي" (يوحنا ٧: ٣٧-٨).

إن رموز كل من الخبز والماء ترتبط بالمهمة المسيانية كما هو الحال مع "موسى الثاني" و"المخلص الأخير".

مقارنات بين موسى ويسوع

يستخدم المدراش عبارة المقارنة، "كما كان، هكذا يكون". كذلك فإننا نجد أن التدقيق الأمين في المتوازيات بين يسوع وموسى ليس نادراً في الأدب المسيحي. وذلك قاد إلى استنتاج أن يسوع هو نوعاً ما "موسى الذي أُعيد إلى الحياة". ما هي العوامل المساهمة التي نراها هناك؟ أولاً، كان أبوا موسى لاويين، لذلك فقد كان طبيعياً بالنسبة له أن يقدم إلى شعبه تعليماً عن كيفية عبادة الله. كذلك كرس يسوع نفسه لمهمته كرئيس كهنة – تتحدث الرسالة إلى العبرانيين عن ذلك حوالي خمس عشرة مرة. في زمن ميلاد موسى كان الأطفال الرُضع الذكور يُقتلون في مصر، وبالمثل عندما وُلد يسوع كان صوت صراخ الأطفال يُسمع في بيت لحم. قضى موسى ٤٠ عاماً في برية مديان كراعٍ للأغنام. كذلك أعلن يسوع عن نفسه أنه هو الراعي الصالح الذي يفتش عن الخروف الضال. وفي قصة مشهورة جداً للأحبار هناك وصف لموسى يحمل حملاً ضالاً إلى ينبوع. ثم يُسمع صوت من السماء يقول، " سوف أجعلك راعياً لشعبك لأنك أظهرت رحمة لمخلوق من دم ولحم".

جاء موسى إلى مصر ليحرر أخوته من العبودية؛ وجاء يسوع ليفدينا من نير الخطية. موسى كان قائداً لشعبه؛ ويسوع تقدم تلاميذه. موسى أعطى لوحي العهد؛ ويسوع تمنى أن يكتب وصية المحبة المزدوجة في قلوب المؤمنين. خدم موسى كذلك كقاضٍ؛ وبالمثل أكد يسوع على أن كل دينونة قد عُهد بها إلى الابن حتى يكرم الجميع الابن. وقد صلى موسى من أجل هؤلاء الذين عارضوه وأهانوه مثل مريم. فعندما كان الشعب يعبد العجل الذهبي نادى موسى، "من للرب فإليّ". وصلى، "والآن إن غفرت خطيتهم. وإلا فامحني من

كتابك الذي كتبت" (خروج ٣٢: ٢٦، ٣٢)؛ وبنفس الطريقة قال يسوع، "تعالوا إلـيَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"، وصلى على الصليب من أجـل معذبـيه. كان موسى "حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عـدد ١٢: ٣)؛ كذلـك كـان يسـوع "وديع ومتواضع القلب". تلك المقارنات تُظهر أن يسوع كان حقاً النبي الموعود الذي سيكون "مثل موسى".

نوعية إعلان الله لموسى

كانـت علاقة موسى مع الله مختلفة عن تلك التي لأسلافه. ففي كثير من الأحـيان يضـع الكتَّاب اليهود تأكيدات كثيرة على الفرائض الموجودة بأسفار موسـى الخمسـة لدرجة تجاهل حياة موسى التعبدية. كما أن المسيحيين، من جهتهم، كثيراً ما يرسمون "ديانة موسى" كاريكاتورياً باعتبارها ديانة انتقام، أي الديانة التي تكتلم "عين بعين وسن بسن". لكن هل ينطبق هذا على استعلان الله الذي تلقاه موسى؟

لقد سمع موسى في المراحل الأولى لمهمته كلمة الله: "أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهـيم واسـحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء. وأما باسمي يهوه فلم أُعـرف عـندهم" (خروج ٦: ٢-٣). وعندما أهانت مريم وهارون موسى قال الله لهما، "اسمعا كلامي. إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكلمه. وأما عـبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز. *وشبه الرب يعاين*" (عدد ١٢: ٦-٨)

ما الذي يعنيه أن موسى عرف الله "باسمه يهوه"، وما هو مغزى "شبه الرب يعاين"؟

إن مفسـر القرون الوسطى الرئيسي للتلمود والعهد القديم راشي يعلن أن موسـى علـى ما يبدو لم يرَ فعلياً "شبه الرب"، لكن كان الأمر كما لو أنه في "رؤيـة منطوقة" أو في "رؤية الروح القدس"، وكما لو كان من الخلف[٥٢]. كان يعقـوب شخصـاً آخـراً رأى وجه الله عبر مخاضة يبُّوق عندما صارع مع فينئـيل، "ملاك الحضرة" (حرفياً ملاك الوجوه)، وقال، "لأني نظرت الله وجهاً لوجـه ونُجيت نفسي" (تكوين ٣٢: ٣٠، إشعياء ٦٣: ٩). كانت رؤية يعقوب

---

[٥٢] *Mikraoth Gedoloth Bamidbar* ١٢: ٨.

قـرب إلى رؤية ملائكية ظهر فيها المسيا بحسب تفسير الأحبار – كما سنرى لاحقاً. لكن كيف يجوز أن يكون موسى قد "رأى" الله فعلياً في حين أنه قيل له قبل الآيـة المعنية، "لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش" (خـروج ٣٣: ٢٠)؟ فهل بإمكاننا أن نقول أن ما يعنيه "معاينة شبه" الرب هو أن موسى توصل إلى فهم شيء عن "الكينونة الداخلية" لله؟

لكـن الكتاب المقدس لا يتحدث عن الله باعتباره فكرة مجردة بل شخصاً. هـناك خطر في اليهودية الحالية من التعامل مع الله بطريقة لاأدرية أو ربوبية (الإيمان بالله من دون الأديان)، كما لو لم يكن إله الوحي، *Deus revelatus*. وبهـذه الطريقة يذهب التفكير إلى أن هناك *فنانا* قد خلق العالم لكنه تركه بعد ذلـك إلى أنظمته الخاصة. يُعتبر هذا الخطر في اليهودية في جزء منه رد فعل للمسـيحية فـي تأكيدها على أن "الكلمة صار جسداً" وأن "الله ظهر في الجسد" (يوحـنا ١: ١٤ و١ تـيموثاوس ٣: ١٦) – أي أن الله تأنس. وبالرغم من أن أقـدم الكـتابات اليهودية تلمح إلى أصل إلهي في حديثها عن المسيا، فإن هذا "التجسـد"، أي أن المسيح صار إنساناً، هو أحد أكبر أحجار العثرة لديها. وكان هذا السبب هو الذي جعل رمبم، ميمونيدس، يكتب البند الثالث من بنود الإيمان الثلاث عشرة، وهو يذكر:

"أؤمـن إيماناً كاملاً أن الخالق، تبارك اسمه، ليس جسدياً وأنه غير مقيد بأي من حوادث المادة، وأنه ليس لديه أي شكل على الإطلاق"[٥٣].

مـنذ عهـد الفيلسوف اليهودي فيلو في القرن الأول المسيحي بدأ يترسخ تقليد تحاشـي ذكـر اسم الله. وكانت المواربات "الاسم"، *ha-Shem*، و"المكان"، *ha-Maqom*، تُسـتخدم بدلاً منه. لقد وعد الله حقاً عندما أعطى الوصايا أنه "في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكراً آتي إليك وأباركك" (خروج ٢٠: ٢٤).

يقـول الله في رواية الخلق: "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا .. فخلق الله الإنسـان على صورته، على صورة الله خلقه" (تكوين ١: ٢٦-٧). توجد هـنا كلمـتان عبريتان وهما *tselem*، أي "صورة" ("صورة فوتوغرافية" في اللغـة العبرية الحديثة)، و*demuth*، أي "شكل" أو "شبه". عندما سُمح لموسى

---

٥٣ السيدور كتاب الصلاة اليهودي، شاخاريت ١٣ إيكاريم، ٣.

أن يعايـــن "شبه الله"، استُخدمت كلمة *temunah* التي تعني في معناها الأولي "رســـم". *إن جمـــيع هذه التعبيرات ملموسة جداً. إذ أن الله شخص لديه شكل وكيان محدد. وقد اختبر موسى ذلك على مستوى أعمق من سابقيه.*

لـــم يكـــن باستطاعتنا أن نتصور الله باعتباره مادياً. إلا أنه أعلن ذاته في هيـــئة "يمكن للإنسان المادي أن يفهمها". إن ديانة موسى لم تكن مجرد إيمان بالخـــالق القديـــر. أين يقع الاختلاف إذن بين ديانة الآباء وديانة موسى؟ يذكر تلمـــود أورشـــليم أن الآباء لم يعرفوا سوى *"إله السماء، لكن الله لم يكشف لهم عـــن كلمـــة الـــرب (MIMRA)"*. وقد اعتبر الأحبار في أحيان كثيرة الكلمة الآرامـــية ميمرا MIMRA مماثلة للمسيا. فهي تتطابق مع اللوجوس اليوناني أو "الكلمـــة". يقول ترجوم يوناثان، *"مع ذلك فإن اسمي الرب لم أعلنه لهم من خلال روحي القدوس"*.

اسم الرب باعتباره علامة للخلاص

لكـــن مـــن هـــو هذا الرب الذي أعلن عن نفسه لموسى؟ لقد بنى إبراهيم بـــرغم كل شيء مذبحاً للرب؛ لكن كان من نصيب موسى أن يسمع هذا الاسم وتفســـيره فـــي العلـــيقة المحترقة (خروج ٣: ١٤). تظهر كلمة "رب" حوالي ٦٧٠٠ مـــرة في العهد القديم. وهي تلقي الضوء في شكلها العبري يهوه على حضـــور الله. كمـــا أن الكلمات "الذي كان"، و"الكائن"، و"الذي يأتي" يمكن أن تتشـــكل مـــن حـــروفها الأصـــلية. *إن الماضي، والحاضر، والمستقبل - أي "الـــثالوث" بأكملـــه المتضـــمَّن فـــي مفهوم الزمان - يتحدون في كينونة الله الجوهرية*. فعندما سأل موسى عن اسم الله تلقى في المقابل الإجابة، "أهيه الذي أهـــيه. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم". إن الله هو! إنه هو المفتاح للحقيقة بأكملها.

فـــي استعلان الله في العليقة المحترقة تُقدم كلمة *anochi*، أي "أنا"، التي يســـتخدمها الله عن نفسه، باعتبارها "علامة". لا عجب إذن أن المدراش يرى هنا إشارة إلى المسيا:

"وقد قال، "إني (*anochi*) أكون معك" و"هذه تكون لك علامة" (آية ١٢)؛ ما الذي تعنيه هذه الكلمات؟ يقول حكماؤنا، تتبارك ذكراهم، أن "ذلك يرمز إلى

التحرير الأول، لأن شعب إسرائيل جاء إلى مصر بواسطة *anochi*، حيث أنه قيل، "أنا (*anochi*) أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً" (تكوين ٤٦: ٤). وهــو يرمز أيضاً للفداء الأخير، حيث أنه قيل، "سوف (*anochi*) أشفيك وأخلصك [في الأزمنة المسيانية]".

كذلــك فــإن اسم المسيا في إشعياء ٧: ١٤ هو في الواقع عمانوئيل، "الله معنا"، وهو سيتحدث باسم الله.

يــرى حكمــاء التلمود أيضاً في اسم يهوه إشارة إلى المسيا: *"هناك ثلاثة أشياء تكونت بناء على اسم القدوس: البار، المسيا، وأورشليم"*[٥٤]. يُستنتج الفكر الخاص بالمسيا هنا من إرميا ٢٣: ٦ و٣٣: ١٦، اللذين وفقاً لهما سوف ينبت الله لداود غصن البر؛ "وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا". لقد توصل الحبران صموئيل بن نحمان (٢٦٠م) وأبا بار كهانا (٣٠٠م) إلى استنتاج بأن، *"هــذا هو اسم المسيا"*[٥٥]. كما أن التفسير المسيحي يفهم عادةً اسم يهوه باعتباره يعني "رب العهد".

كذلــك فإن الكنيسة المسيحية الأولى رأت في يهوه أكثر من مجرد تلميح للمســيانية. ففــي استخدامهم لما يُدعى "بترجمة السبعين"، أو "السبعينية"، التي تُرجمــت فيها كلمة *"يهوه"* العبرية إلى *"كيريوس" Kyrios* اليونانية، وقد فهمها المســيحيون الأوائل باعتبارها تشير إلى المسيح. من المؤكد حقاً أن يسوع قد تصرف بسلطان الله، فكان يعظ بأنه "ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذي من الله. هــذا قد رأى الآب" .. "الذي يراني يرى الذي أرسلني" .. "أنا والآب واحد" .. "تعــالوا إلــيّ" .. "تعلمــوا مني" .. "أنا هو الطريق والحق والحياة". *وقد ألقى الضــوء على ذلك أقصر قانون إيمان للكنيسة الأولى: "يسوع المسيح هو رب"* (فيلبيــي ٢: ١١). إن علامة الفداء الأخير توجد هنا بالتحديد في الطريقة التي استخدم بها مخلصنا كلمة "أنا" وذلك يثبت ربوبيته.

---

[٥٤] *Masekhet Baba Bathra* ٧٥b.
[٥٥] *Masekhet Baba Bathra* ٧٥b.

هل كان موسى يؤمن بإله منتقم أم إله رحمة؟

نقرأ في الإصحاح ٣٣ من سفر الخروج، "يكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه". وقد صلى موسى، "إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا. فإنه بماذا يُعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك. أليس بمسيرك معنا؟" (آيات ١١، ١٥-١٦).

عندما نقش موسى لوحين جديدين بدلاً من اللذين كسرهما في غضبه، مر *"الرب" أمامه، وعندئذ سمع أجمل ترنيمة للنعمة في العهد القديم* وهي تلك التي تتكرر مراراً وتكراراً في الأنبياء والمزامير:

"الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يبرئ إبراءً. مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع" (خروج ٣٤: ٦-٧).

في هذه الترنيمة القصيرة التي تشير إلى صفات الله توجد أربع تعبيرات منفصلة عن "الرحمة" وثلاث كلمات تعني "الخطية" التي يعد الرب بأن "يحملها" – أي يغفرها. يشدد العهد القديم بطرق كثيرة مختلفة على "إثم" الإنسان أمام إله قدوس، وللإشارة إلى ذلك تستخدم اللغة العبرية ثمانية ألفاظ منفصلة يجري استخدامها على نطاق واسع. وقد درس مارتن بوبر ضمن آخرين معانيها الأولية: فكلمة *het*، أي "جريمة، إهانة" قد تأتي من فكرة "حائط الفصل"، كما في العربية *hataya / hit*؛ وكلمة *pesha*، أي "تمرد"، تأتي من نفس الأصل للكلمة المستخدمة في "مشية، خطوة واسعة" وهي تقترن بالسير الفاضل؛ *avon* تعني "تحريف"؛ *averah* تعني "التغاضي أو الاجتياز بنجاح"؛ *avel* تأتي من كلمة *ol* التي تعني "نير"؛ *resha* تعبر عن "الأذى العنيف"؛ *mirmah* "الخداع" و"الخيانة"، و*aven* "الجور"، وهي مشتقة من نفس الأصل لكلمة "حزن".

يستخدم العهد الجديد اليوناني في المقام الأولى كلمة واحدة "للخطية"، وهي *hamartia*، التي تصور "الضلال" و"الخطأ". فإن الكتاب المقدس يتبنى قضية خطية الإنسان بدءاً من صفحاته الأولى مباشرةً. حتى أن الكلمتين

لعبريتيـــن الأساســـيتين للصــــلاة *lehitpallel* و*lehithannen* تعكسان هذا لفكـــر: إذ أن الأولى تأتي من *plili*، أي "آثم"، والثانية من كلمة *hanun* التي تعني "رؤوف" – وكلا الكلمتين هما في شكل نحوي يعطي مثلاً للفعل المكرر لذاته. فإننا دائماً ما نعترف بخطايانا في الصلاة ونقدم الشكر لله لأنه رؤوف.

يتحدث العهد القديم مرتين فقط عن "محبة" الله. وعلى العكس، فإنه يتم التوكيد علـــى محبة الإنسان لله ولقريبه من وقت لآخر. إن اللفظ العبري للمحبة إذن يشير أولاً إلى المشاعر البشرية. *وعند التحدث عن الله، فإن كلمة "رحمة" تطابق "المحبة"، وذلك لأننا لا نستحق فضل الإله القدوس. وقد حل العهد الجديد اليوناني المشكلة عن طريق ابتكار لفظ خاص وهو الأغابي من أجل محبة الله* – فإن كلمة *eros* ترتبط بالحياة الحسية، كما أن *phileo* التي تُستخدم أيضاً "للحب"، تعني "التقبيل". إن ترنيمة الـــنعمة التي سُمعت من موسى تصوِّر هذه *الأغابي* مستخدمة في ذلك أربع كلمات مختلفة "للرحمة"، وهي تربط غفران وأمانة الله بسياق "الرحمة": فهو "كثير الإحسان والوفاء". ويستخدم العهد القديم لكلمة "الوفاء" هنا كلمة *emet* أو "الحق". هذه الصفات تصـــح أيضــــاً على يسوع: "مملوءاً نعمة وحقاً" .. "النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يوحنا ١: ١٤، ١٧).

احـــتج ذات مـــرة ممـــثل من مجمع هلسينكي في مناقشة تليفزيونية على أن الكلمـــات التي سمعها موسى قد تُرجمت كي تبدو كما لو كانت انتقامية تماماً: "إن الله لا يـــترك الشخص بدون عقاب لكنه سينتقم!" تقترب النسخة المرخصة مـــن العـــبرية عـــندما تقول أن "الله لن يبرئ المذنب على الإطلاق"، ويصرح الكـــتاب المقـــدس الألماني أنه "لا يوجد إنسان بلا ذنب" أمامه. *نقرأ في النص الأصـــلي* *ve-naqqeh lo ye-naqqeh*؛ *يقـــع خلـــف ذلك أصل كلمة يعني "التطهـــير"، يتم التشديد عليه عن طريق التكرار*. عند الترجمة الدقيقة فإن هذه الآية تقول "تطهيراً لن يطهر"، أي سوف "يترك غير طاهر".

وماذا عن "الانتقام"؟ تستخدم العبرية اللفظ الأكثر اعتدالاً *poqed avon*، الذي يعني في الفعل الأصلي "الإحصاء" وفي أحد أشكاله "التكليف بمهمة". كما أن الكلمـــة العبرية الحديثة *paqid* أو "رسمي، موظف" تأتي من نفس الأصل. ربما تكون الكلمة الإنجليزية "اعتبر" بمعنى "أخذ في الاعتبار" هي الأقرب إلى

العبرية. وبدلاً من الترجمات الانتقامية الموجودة اليوم سوف يكون من الأوضح أن نلتصق عن قرب بالأصل ونقول إن، الله *"يغفر الذنب، والتمرد، والخطية، أو أنه يتركهم غير مطهرين، وهو يأخذ في اعتباره ذنب الآباء .."*

يستخدم الكتاب المقدس العبري ستة مفاهيم رئيسية بدلاً من "الانتقام أو الثواب والعقاب". ومعناهم؛ "يأخذ في الاعتبار"، "يثيب"، "يسترد"، "يكافئ"، "يرفع"، أو "يعيد"[٥٦]؛ معتدل جداً بطبيعته.

هناك أيضاً بالطبع الكلمة القاسية naqam، أي "انتقام"، التي يستخدمها الله عن نفسه: "لي النقمة يقول الرب". عندما يُعطى للاصطلاح العبري الاحترام اللائق به، فإن "الانتقام" يعني عدالة الله وعواقبها الطبيعية: "ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً". نقرأ في سفر أيوب:

"حاشا لله من الشر وللقدير من الظلم لأنه يجازي الإنسان على فعله وينيل الرجل كطريقه"[٥٧].

النبي الذي سوف يُحبل به بالروح القدس

سبق أن رأينا كيف يذكر ترجوم يوناثان مرتين أن نبياً مثل موسى سوف "يُحبل به بالروح القدس". عندما نقترب أكثر إلى خلفية هذا الفكر يأتي إلى ذهننا عالم اليهوديات هـ. ل. ستراك. فقد بدأ بحثاً عام ١٩١١ عن ما يُسمى وثائق دمشق الصدوقية التي تتحدث مطولاً عن "معلم البر" و"الروح القدس"[٥٨]. في هذه المكتشفات الأدبية – التي تنتمي فعلياً لنفس نوع مخطوطات البحر الميت – توجد رواية عن أن الله أخفى نفسه ورفض بقية إسرائيل: *"وسوف يقيم لهم معلماً للبر ليقودهم في طريق قلوبهم". يُشار إلى المسيا هنا باسم "الغصن": "وهو سوف يعلِّم البر في الأيام الأخيرة". يُقال عنه إن الله سوف "يجعل روحه القدوس معروفاً لهم من خلال مسياه، وهو سيكون الحق"*. وهناك إشارة أربع مرات إلى "مسيا هارون وإسرائيل". فإن "مسيا هارون" يعني دوره الكهنوتي، و"مسيا إسرائيل" حالته الملكية.

---

[٥٦] ***lifkod, leshallem, leshavoth, lehamtsi, lasim al, lehashiv.***

[٥٧] انظر غلاطية ٦: ٧ وأيوب ٣٤: ١١.

[٥٨] **G. Margoliouth, *the two Zadokite Messiahs*, J. T. S. ١٩١١, pp٤٤٦-٤٥٠.**

تحـــتوي مخطوطـــات الـــبحر الميت على مقطع يذكّرنا أيضاً بما سبق. فعند التحدث عن "الأتقياء" في المجتمع الأسيني نقرأ أنه، *"عندما يلد الله المسيا*[٥٩]*، سوف يأتـــي معهم الكاهن، رأس كل جماعة إسرائيل وكل شيوخ بني هارون .. وسوف يجلسون أمامه، كل واحد بحسب منزلته. وآخر من يجلس هو مسيا إسرائيل"*.

يقـــول د. ر. جورديس أنه لو أُخذ هذا النص بعين الاعتبار فسوف يكون "ذا أهمـــية قصـــوى باعتباره مصدراً لمفهوم المسيا المولود إلهياً"[٦٠]. إن كلمة *yolid* التـــي تظهـــر فـــي النص تعني في معناها الأولي "الإنجاب". لقد أهمل معظـــم النقاد تماماً تنويه الترجوم عن النبي الذي سيُقام بواسطة الروح القدس، بالرغم من أنه أهم من مقتطف مخطوطة البحر الميت في كونه يتصل مباشرةً بتفســـير العهد القديم. يستخدم الترجوم كلمة *aqim*، أي "أقيم"، لولادة نبي مثل موسى. يظهر كل ذلك على نحو بارز بالقول في مزمور ٢: ٧: "أنت ابني. أنا الـــيوم ولدتك". تحتوي هذه الآية – التي اعتبرها الأحبار نبوة مسيانية – على نفـــس التعبـــير كما في كلمة "ولد" بمخطوطات البحر الميت. كان لذلك أيضاً أهمية مركزية في الكنيسة الأولى (أعمال ١٣: ٣٣، عبرانيين ١: ٥ و٥: ٥).

لقـــد رأينا على ضوء الأدب اليهودي القديم أن المسيا يُعتبر "موسى ثاني" و"المخلـــص الأخير"؛ وسوف يُدعى باسم "الرب"؛ وسوف تلتقي النعمة والحق فـــيه؛ وسوف يُحبل به بالروح القدس؛ وسوف يتكلم ويتصرف باسم الله، وتلك تكـــون "علامـــته" الممـــيزة؛ وبهـــذه الطريقة فإنه يظهر ذاته على أنه موسى "المنبعث" مرة أخرى. وجميع هذه السمات تنطبق على يسوع.

توراة موسى والمسيا

ينســـب التقليد للمسيا دوراً ثلاثياً: ملكياً، وكهنوتياً، ونبوياً. فعندما تحدثنا عن بركة يعقـــوب ذكـــرنا أيضاً "مشترع" يهوذا، الذي تستخدم له العبرية كلمة *me hoqeq*، أي "مشرِّع". *فإن المسيا في دوره النبوي سوف يسن ناموساً جديداً للناس.*

فـــي ضوء ذلك يجب علينا أن نسأل الآن، "ما هو إذن دور الناموس؟ هل يقـــود دائماً إلى العبودية؟ هل يمكن للتوراة أن تحرر الإنسان؟ هل كانت جميع

---

[٥٩] لدينا هنا كلمة ينجب، **im yolid El eth ha-Mashiah**

[٦٠] ر. جورديس، *المسيا المولود في مخطوطات قمران*، ١٩٥٧، ص١٩١-١٩٤. قطعة ١- **I QSa I**؛ ١١ ١٥

وصـــايا موســـى يُقصد بها أن تكون مقيّدة إلى الأبد؟ أين يمكننا أن نضع خطاً بيـــن وصـــايا الله ووصايا الناس؟ هل يمكن أن يكون قانون الله متمركزاً على بعـــض القوانين الأساسية الأقل شيوعاً؟ هل يطلب الله من شعبه المختار أكثر مـــن الأمـــم؟ هل يظهر محاباة نحو بعض من أبنائه بالمقارنة مع آخرين؟ هل سيؤســـس المسيا توراة جديدة؟ هل توجد اختلافات جوهرية بين توراة موسى وتوراة المسيا؟ إن مثل تلك الأسئلة يصعب حلها، وخاصة بالنسبة لليهود.

توراة المسيا ومستقبل الناموس

لقد شغل مستقبل الناموس بال الأحبار منذ أزمنة قديمة. وكانوا في بعض الأحيان يتساءلون، *"أيتها التوراة، ما الذي ستكونينه؟"* [٦١] كذلك، هناك مناقشة في التلمود حول المنزلة المحتملة للوصايا بحسب الأهمية:

"لقد أُعطي موسى ٦١٣ وصية؛ توجد منها ٣٦٥ (يجب عليك) وفقاً لعدد أيـــام السنة، و٢٤٨ (لا يجب عليك) وفقاً لعدد العظام في جسم الإنسان.. جاء داود وقللهـــا إلى ١١ .. عاد إشعياء وقللها إلى ٦.. وجاء ميخا وقللها إلى ٣.. ورجـــع إشـــعياء وقللهـــا إلى ٢ .. ثم جاء حبقوق وقللها إلى واحدة، كما هو مكتوب (حبقوق ٢: ٤)، "والبار بإيمانه يحيا"." [٦٢]

لقـــد أســـس بولـــس تعليمه عن التبرير بالإيمان جزئياً على هذه الكلمات لحـــبقوق عندما كتب: "لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا" [٦٣].

أتذكـــر ذات مـــرة أنني صادفت أحد معارفي في حديقة عامة بأورشليم، وهو عامل بناء من اليمن، وكنت أعرف عنه أنه شخص تقي لديه إلمام عميق بكلمة الله. فجلست بالقرب منه على مقعد الحديقة حيث كان جالساً، وفي سياق حديثـــنا أخبرنـــي أنه جاء في الأصل إلى إسرائيل "بالبُساط الطائر"، وكيف أن والـــده قـــال له قبل رحيله، "لن تتمكن أبداً يا ابني أن توفي كل المتطلبات التي ســـوف يضـــعها الناموس عليك في إسرائيل. تذكر فحسب كلمات حبقوق، أن

---

٦١ *Nazir* ٥٠
٦٢ *Makkoth* ٢٣ ٢٤
٦٣ انظر رومية ١: ١٧، غلاطية ٣: ١١ وعبرانيين ١٠: ٣٨.

"البار بالإيمان يحيا"." لقد ساعدت مشورة الأب الحكيمة صديقي كي يرى ما هو أساسي في الناموس.

إن الحكماء القدماء يرفضون من ناحية فكرة أن الوصايا التي تلقوها من آبائهم سوف تبطل، إلا أنهم من ناحية أخرى يؤكدون أحياناً على أن المسيا سوف يمنح إسرائيل توراة جديدة. يصرح رمبم في العقيدة الثامنة والتاسعة من عقائد إيمانه الثلاثة عشر أن *"التوراة التي نمتلكها الآن قد أُعطيت لموسى"* وأن *"هذه التوراة لن تتبدل كما أن الخالق تبارك اسمه لن يشرِّع توراة أخرى"*. على الرغم من ذلك فهو يشرح في أثره الأدبي "فرائض الملوك" أن الملك الممسوح باعتباره المسيا سوف *"يجلس على عرشه الملكي ويكتب لنفسه سفراً للناموس بالإضافة إلى الناموس المعطى لآبائنا"*، وأنه *"سوف يرغم إسرائيل على إطاعة هذه الوصايا"*. فإنه حتى العهد الجديد لا يتحدث عن إبطال التوراة بل بالأحرى "إكمالها". هل يمكن أن يكون ذلك نفس الأمر الذي تقول عنه البسيختا رباتي *Pesikhta Rabbati* أن "التوراة سوف ترجع إلى حالتها الأصلية"؟[٦٤] لقد "أوفى" يسوع عقاب الناموس بموته الكفاري.

وفقاً للأحبار سوف يتقلد المسيا مثل تلك السلطة. يصرح يلكوت إشعياء أن، *"القدوس تبارك اسمه سوف يجلس (في جنة عدن) ويسن توراة جديدة لإسرائيل سوف تُقدم لهم بواسطة المسيا"*[٦٥]. بل أن فكرة "النسخ" المخيفة تظهر في تقاليد الحكيم: *"سوف تبطل الوصايا في المستقبل"*[٦٦]. وفي مدراش مخيلتا منذ زمن التانيين Tannaites، أي من القرنين الأولين للمسيحية نجد تصريحاً بأن *"التوراة سوف تُنسى في النهاية"*[٦٧]. أما الحبر شيمون بن أليعازر، الذي كان ناشطاً من ١٧٠-٢٠٠ م، فهو يعلن أنه، *"هكذا سوف يكون في أيام المسيا؛ لن تكون هناك وصايا تبدأ "يجب عليك" و"لا يجب عليك (zechut ve-hovah)"*[٦٨] ويشرح كلوسنر في كتابه

---

[٦٤] *Pesikhta Rabbati* ٨٩, ٦.
[٦٥] *Yalqut Isaiah* ٢٦, *siman* ٢٩٦.
[٦٦] *Nida* ٦٦b.
[٦٧] *Mechilta, Masechet Piska*, ٢.
[٦٨] *Shabbath* ١٣٠a-b

"الفكـــرة المسيانية في إسرائيل" أن، *"التفسير الطبيعي لذلك هو أن التوراة والوصايا سيفقدون أهميتهم في أيام المسيا"* [٦٩].

بقــدر مـــا نفهم تاريخ الفداء على أنه عصور مختلفة، كما رأينا ما يفعله الحكماء السابقون، نستطيع أن نفسر التنويهات عن الألفي عام الخاصة بالتوراة والألفـــي عـــام المرتبطة بأيام المسيا باعتبارها كلية بشكل متبادل وتلك هي الكيفـــية التـــي فهمها بها كلوسنر وآخرون. *وهذا يعني عملياً أنه سوف تكون هناك قوانين مسيانية في العهد المسياني.*

يصر رمبم على الصفة الطبيعية للعهد المسياني. فهو يكتب:

"لا تتأملوا في فكرة أن السياق الطبيعي لهذا العالم سوف يتغير في أيام المسيا، أو أن قوانين الطبيعة سوف تتعطل عندئذ. كلا. فإن العالم سوف يتبع سياقه الخاص" [٧٠].

يـــبدو أن ذلـــك يلمّح إلى أن العهد المسياني سوف يكون تاريخاً طبيعياً تماماً يحكم فـــيه المسيا بروحه هؤلاء الذين يؤمنون به. فمن الصعوبة أن يكون الحكماء قد قصدوا أن المســـيا ســـوف يعيش طوال هذه الألفي عام. كما أن نبوة إشعياء بخصوص السلام علـــى الأرض الذي سوف يتجدد فيه حتى العالم المادي وفيه "يسكن الذئب مع الخروف" (إشـــعياء ١١: ٦) قـــد تنطبق، وفقاً للحكماء، على الألف عام "السبت". إن هذه الصورة عـــن العهـــد الســـبتي الذي نرى لمحات منه هنا وهناك في أدب الأحبار تذكرنا برؤية الملـــك الألفـــي فـــي الإصحاح ٢٠ من سفر الرؤيا، حيث تظهر عبارة "ألف عام" ست مـــرات. كمـــا أن يوم الدينونة الحقيقي، والسماء الجديدة والأرض الجديدة بحسب الفهم المسيحي سيأتون بعد ذلك. فهل كان التلمود يشير إلى شيء مماثل عندما يقول:

"إن القدوس تبارك اسمه لن يجدد عالمه قبل أن ينقضي ٧٠٠٠ عام"؟ [٧١]

إن مفهوم "إبطال الناموس"، وهي عبارة استخدمها بعض الأحبار، كان له عواقب خطيرة بالنسبة لكل من اليهود والمسيحيين. هناك بالتأكيد اختلافات في التوكـــيد بين تعاليم موسى والمسيح، لكن كلاهما ناضل من أجل تحقيق مشيئة الله غـــير المتغيرة. يقول المدراش على سفر الجامعة أن، *"التوراة التي يتعلمها*

---

٦٩. **J. Klausner,** ***Ha-ra ayon ha-Meshihi be-Israel,*** **p٢٨٩.**
٧٠. ***Hilchoth Melachim*** **١٢, ١.**
٧١. ***Sanhedrin*** **٩٦b.**

الإنســـان في هذا العالم ليست سوى باطل بالمقارنة مع تعليم المسيا"[٧٢]. ويقول المدراش المطابق وهو يشير إلى مزمور ١٤٦: ٧:

"الرب يطلق الأسرى" .. ما الذي يعنيه "يطلق الأسرى"؟ يوجد هؤلاء الذين يقولون أن القدوس سوف يجعل كل الحيوانات النجسة صالحة للأكل في المستقبل"[٧٣].

فإن العهد القديم العبري يستخدم هنا "للأسرى" كلمة *asurim*، أي "أشياء محـــرمة" بـــدلاً من الكلمة العادية *asirim*، وهذا يثير المناقشة حول الأطعمة المحـــرمة. إنـــنا نـــتذكر كـــيف أن يسوع أكَّد أن "ليس ما يدخل الفم "ينجس" الإنسان. بل ما يخرج من الفم هذا "ينجس" الإنسان" و، "بهذا القول أعلن يسوع أن كـــل الأطعمة "طاهرة"" (متى ١٥: ١١ ومرقس ٧: ١٩). وفي الواقع فإن أنظمـــة العهد القديم المختصة بالطعام لا تشير بصفة خاصة إلى تلوث الجسد، مثلما يعلن سفر لاويين مرتين ١١: ٤٣-٤٤ في الترجمة العبرية الأصلية بشأن أكل الوحوش النجسة: *"ولا تنجسوا "أنفسكم"، eth naphshotechem' أي أنها ليست مجرد مسألة صحة بل أمراً جمالياً أيضاً.*

التوراة التي فسرها المسيا الكاذب شبتاي زيفي

وفقـــاً لتعليم جماعة الأفلاطونيين المحدثين اليونانية يُعتبر كل من الجسد والـــنفس متميزيـــن تماماً عن بعضهما حتى أن السلوك غير الأخلاقي لا يؤثر بالضـــرورة فـــي الإنســـان الداخلي. وقد زحفت هذه الطريقة في التفكير، في زمانهـــا، إلـــى كل من الأوساط اليهودية والمسيحية فكانت النتيجة أن مزمور ١٤٦، علـــى سبيل المثال، يُفسر بأن "الرب يطلقنا من المحرمات"، وهكذا كان الباب مفتوحاً لأحد أكثر ظواهر التاريخ الديني قبحاً.

يكتـــب الأستاذ جرشوم شولم، وهو مرجع في الصوفية اليهودية، في كتابه "الفكرة المسيانية في اليهودية" عن المسيا الكاذب شبتاي زيفي باستفاضة[٧٤]. إن اسم *شبتاي* يعني فـــي اللغة العبرية "كوكب زحل" لا عجب إذن أنه أصبح مسيا كاذباً، بالضبط مثل بار كوخـــبا، "ابن النجم"، الذي جاء قبله. لقد تنبأ بلعام بن بعور في زمانه بأنه، "يبرز كوكب

---

[٧٢] *Midrash Qoheleth* ٧١،٨.

[٧٣] *Midrash Tehilim* ١٤٦،٧.

[٧٤] جرشوم شولم، *الفكرة المسيانية في اليهودية*، نيويورك ١٩٧٤، ص٤٩-١٧٥.

من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل" مشيراً، وفقاً لكل من التفسير اليهودي والمسيحي، إلى المسيا (عدد ٢٤: ١٧). وعلى الرغم من هذا فإن بلعام ذاته أغوى إسرائيل إلى الزنا، إلا أن الطريقة التي ظهر بها شبتاي زيفي ومواطنه ينكيف فرانك وفسرا بها التوراة كانت أكثر مقتاً.

فبعد عام واحد فقط من إعلان شبتاي زيفي عن نفسه أنه هو المسيا في إسرائيل تحول إلى الإسلام، بعد أن أجبره السلطان التركي على القيام بذلك. كان ذلك في عام ١٦٦٦ م. إلا أن أتباعه شرحوا أن سيدهم قد "نزل إلى العالم"، *Klipot*[٧٥]، فحسب حتى يخلص هؤلاء الذين في العالم. وقد أصبح "مضروباً بالمرض" لأجلنا؛ وكان لابد له أن ينزل إلى مستوى هؤلاء الذين كانوا لا يزالون *ba-Hol* في عبودية الدورة اليومية والسطحية بدون قداسة. وقد شرح شبتاي نفسه في هذا الصدد: "مباركون أنتم الذين تحرروا من الممنوعات!" وقد ادعى أن المسيا كان سيباغت هؤلاء الذين آمنوا به عن طريق القيام "بأعمال غريبة". وأعلن أن "إنكار الناموس هو تحقيقه". وكان على أتباعه أيضاً أن ينحدروا إلى "التفاهات" و"ويفتحوا أبواب النجاسة" ويقترفوا الإثم كثيراً حتى لا يعود يزعجهم. لم يكن هناك شيئ ممنوع في "التوراة المهيبة". إن كلمة *atsilim* التي تعني حرفياً الأشخاص "المهيبين" أو "النبلاء" أصبحت كناية عن أتباع شبتاي. كان على أولئك المؤمنين أن يقوموا بأعمال مقززة تماماً في الخفاء. وللتوضيح، يكفي ما يلي: في تركيا كان أولئك الأتباع يعقدون طقوساً في الظلام حيث يتبادلون شركاءهم في العملية الجنسية، وهي عادة تعلموها على ما يبدو من طائفة إسلامية.

وكان على أعضاء الحركة أن يقسموا يميناً بالسرية يمنعهم من التحدث إلى الغرباء عن تعليمهم. ولم يكن باستطاعتهم أن يصلوا إلى مستوى "التوراة المهيبة" سوى بإنكار "توراة الخلق" وقوانين المجتمع. وقد ابتدعوا قانوناً للإيمان خاصاً بهم يحتوي على ١٣ مادة، وكان مشروحاً فيه أن الوصايا العشرة قد نُسخت، لكن لازال من المهم مراعاة الناموس الطقسي. وينتهي القانون بالتماس أن يعود المخلص والمسيا شبتاي زيفي "سريعاً في يومنا هذا".

---

[٧٥] إن كلمة **Klipoth** مشتقة من **Klipah**، أي "صدفة"، وهي تعني أي شيء سطحي أو ضحل.

إن المثال الأكثر قرباً لتابع شبتاي زيفي هو النازي *Ubermensch*، "السوبرمان" الــذي كـــان أيضـــاً فوق كل أخلاقيات. فقد قيل إن "الرجل المتمرد"، ضد المسيح، هو "المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً" (٢ تسالونيكي ٢: ٤).

نــتعلم مـــن حادثـــة شبتاي زيفي أن التدين المجرد بدون أي مفهوم عن القداســـة يفتح حقاً "أبواب النجاسة" على اتساعها. *ومع ذلك، فإننا نرى في هذا الخطـــأ بعض مظاهر التوقع المسياني اليهودي، وإن يكن قد تطور سلبياً*. فلو أنـــنا قارننا بين توراة يسوع وشبتاي سوف نلاحظ قبل كل شيء أن يسوع لم يأتِ "لينقض الناموس بل ليكمله". فقد صلى لأجل تلاميذه:

"لســـت أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. قدسهم في حقك" (يوحنا ١٧: ١٥ ١٧).

لقد لُقِّن أتباع شبتاي أن يفعلوا المجون في الخفاء، بينما علَّم يسوع تلاميذه أن يقومـــوا بأعمـــال صـــالحة في الخفاء. فإن الشجرة الجيدة وحدها هي التي يمكـــنها أن تحمـــل ثماراً جيدة. بل أن يسوع مضى إلى أبعد الحدود حتى أنه وضـــع تحديـــاً أمـــام ســـامعيه "من منكم يبكتني على خطية؟" يجب إذن على المسيحي أن يسير دائماً في النور.

يصـــح أن نقول إن الشرح اليهودي للتوراة بأكمله يُعنى به أن يكون أمراً خصوصـــياً لإســـرائيل وحدهـــا. فإن الحكماء يكررون كثيراً *"لم تُعط التوراة ســـوى لهـــؤلاء الذيـــن أكلوا المن في البرية"*. يمكن أن يُصوَّر الفهم اليهودي للـــتوراة باعتباره سلسلة من الحلقات المركزية: الحلقات الداخلية هي الوصايا العشـــرة؛ ثم تأتي الأوامر الستمائة وثلاثة عشر التارياج *taryag*؛ وبعد ذلك تأتي القواعد الإضافية، أي "السياج" حول الناموس؛ بالإضافة إلى كل ذلك فإن "الناموس" يعني تعاليم أسفار موسى الخمسة وأيضاً التفسير المعطى لها من كل مـــن علمـــاء الـــتلمود والعصور الوسطى. إلا أن كلمة "توراة" لا تعني سوى "التعليم"، بالرغم من أن الترجمة السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم الـــتي تمـــت عـــام ٢٠٠ ق.م، قد ترجمت الكلمة العبرية بكلمة *nomos*، أي نـــاموس. نصادف كثيراً التمييز الموجود بين الناموس الشفهي والمكتوب. فإن العلمـــاء أنفسهم لا يعتبرون أنه من الضروري شرح الأوجه المختلفة للناموس

لأنهــم يخاطبون على مثال بولس "العارفين بالناموس" (رومية ٧: ١). بالرغم من ذلك، فإن التوراة تكتسب، في سياق الفكرة المسيانية، أهمية عالمية وضَّحها إشعياء النبي: "لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب"[٧٦].

❑ أساس تفسير بولس للتوراة

نشأ تفسير بولس للتوراة من وعيه بأن تعاليم المسيح كانت موجهة إلى كل الأمــم. وبهذه الطريقة اضطر أن يقف في وجه ما كان مجرد "وصايا الناس" في التفسير اليهودي للتوراة. وباعتباره خبيراً متعمقاً في تراثه، فقد أدرك أن المسيا كان لديه الحق في أن يقدم "تفسيراً جديداً للناموس" بل وحتى أن ينزع "السياج". هــناك ادعــاء يُقال أحياناً في المعسكر المسيحي وهو أن منطق بولس "تزوي"، و"متناقض" داخلياً، و"متذبذب"[٧٧]. أما المعسكر اليهودي من جهته، فهو يعتقد أن موقف بولس من التوراة كان "سلبياً تماماً"[٧٨].

أحــد العوامل التي تساهم في سوء الفهم اليهودي لبولس هو الطريقة التــي تُرجمــت بهــا رومية ١٠: ٤ إلى كثير من اللغات الغربية على أنها "المســيح هــو نهاية الناموس!"[٧٩]، في حين أن الكلمة اليونانية المترجمة باعتــبارها "نهايــة"، وهــي *telos*، تعني أولياً "غاية"، كما في "الغاية تبرر الوسيلة". نفس هذه الكلمة *telos* نجدها في ١ تيموثاوس ١: ٥ وهي تُترجم في الطبعة العالمية الحديثة **NIV** على أنها "أما غاية الوصية فهي المحبة". لقــد أوضح يسوع هذه النقطة تماماً في الموعظة على الجبل عندما قال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل" (متى ٥: ١٧). مــن هــذا المــنطلق سوف يكون من الأفضل أن نترجم الآية في رومية المتعلقة بالمسيح على أنه هو "غاية" الناموس. وليس هناك أي شيء سلبي في ذلك.

مــا هو المنطق إذن من تفسير بولس للناموس، وكيف يتطابق شرحه العلمــي مع تعاليم العهد القديم ومع النقاط المستخرجة من التوقع اليهودي

---

[٧٦] انظر إشعياء ٢: ١-٣، ميخا ٤: ١ وزكريا ٨: ٢٠-٢٣.

المسياني المبكر؟ ربما يكون من الأفضل أن نقسم الإجابة إلى عدد من النقاط الأساسية بهدف التوضيح.

١. *أولاً، يجب علينا أن نرى أن الكتاب المقدس يصور الله باعتباره قدوساً وأنه يتطلب القداسة*. فقد تلقى موسى في عدة مناسبات الكلمات التالية، "إني أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين لأني أنا قدوس" (لاويين ١١: ٤٤، ١٩: ٢، ٢٠: ٢٦). لذلك كتب بولس أيضاً:

"لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم .. شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني" (رومية ١: ١٨ و٢: ٩).

عندما عبَّر أحد الرعاة ذات مرة عن أمنيته بأن يتثقل الشباب بالشعور بالذنب حتى يتم التعامل مع مشكلة الخطية، هاجمه الناس. ومع ذلك، فقد تحدث بالضبط كما فعل بولس:

"إذن الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة" (رومية ٧: ١٢).
"ولكننا نعلم أن الناموس صالح إن كان أحد يستعمله ناموسياً" (١ تيموثاوس ١: ٨).

كذلك فإن الناموس "روحي" (رومية ٧: ١٤). عندما يعلن لنا الله عن خطيتنا من خلال روحه القدوس، فإننا نُجبر على أن نقول مع بولس: "فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ أي في جسدي شيء صالح"؛ "إذاً أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندي"؛ "أرى ناموساً آخر في أعضائي .. يسبيني" (رومية ٧: ١٨، ٢١، ٢٣). *وحده الشخص الذي يد الله عليه "يعرف، ويجد، ويرى" حالته الحقيقية*. يتحقق ذلك أيضاً عن طريق الناموس، الذي أُعطي لكي "يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله" (رومية ٣: ١٩). "إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح" (غلاطية ٣: ٢٤). نرى هنا منطق تفسير بولس للناموس الذي يختبره كل مؤمن حتماً باعتباره حقيقياً.

---

[٧٧] مثلاً إي. ب. ساندرز وهيكي ريسانين في كتبهم.
[٧٨] مثلاً جوزيف كلوسنر، *الفكرة المسيانية في إسرائيل*، (عبري) ص٢٨٧.
[٧٩] **Des Gesetzes Ende, etc**

إن الفهم اليهودي العصري عن الإنسان يختلف تماماً عن ذلك الموجود في العهد الجديد. إذ يقرأ اليهودي التقي كل صباح في كتاب صلاته، ***Sidur***، الكلمات التالية، *"إلهي، إن النفس التي أعطيتني إياها طاهرة"*. وقد أعلن ذات مــرة الحــبر الأكثر شعبية في تليفزيون إسرائيل في خدمته صباح السبت، *"يوجــد فينا نور أكثر من الظلام، وصلاح أكثر من السوء أما المسيحيون فــإنهم يعلِّمــون بخلاف ذلك"*. وقد علم يسوع في الواقع أنه "من الداخل من قلــوب الــناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل"، أي السلسلة الكاملة لإثمــنا (متى ١٥: ١١ ومرقس ٧: ٢١-٢٢). إن الخطية المتوارثة أفسدت الإنسان تماماً. لذلك فهو يحتاج إلى غفران وتكفير عن الخطية. لكن اليهودية ترفض بصفة عامة فكرة الخطية الأصلية وتدَّعي أن متطلبات الله ليست غير متكافئة. ومن هنا تسأل صلاة الصباح المذكورة بأعلى:

"لا تدع التصور الشرير (*yetser ha-Ra* بالعبرية) يسود علينا. انقذنا من الأشرار والرفقاء الأشرار ودعنا ننخرط في التصورات الصالحة".

بمعنى آخر، فإن الشر يرقد منتظراً الإنسان كما لو كان خارجياً بالنسبة له. مع ذلك، فإن تكوين ٦ يحتوي على رواية عن جيل نوح تستخدم فقط تلك الكلمــة ***yetser***: "ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر على الأرض. وأن كل تصــور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم". كما يسأل سفر الأمثال ٢٠: ٩: "من يقول إني زكيت قلبي تطهرت من خطيتي؟" ليس هناك سوى قداسة الله هي التي تقود إلى التبكيت على الخطية وأخيراً إلى التوبة الصادقة.

٢. *ثانــياً، إن مشيئة الله هي بشكل ظاهر أبسط من مئات الطقوس والوصايا البشــرية التي ابتكرها التقليد اليهودي*. علاوة على ذلك، فإن التمييز بين آكلي المن الحقيقيــن والأمميــن فــي علاقــتهم مع الله ينتج عنه محاباة روحية. فقد صرخ عــاموس النبي: "ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب .. هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة" (عاموس ٩: ٧-٨).

ســبق أن رأينا البحث الموجود في التلمود حول التقليل الممكن لوصايا التوراة الستمائة وثلاثة عشر إلى وصية واحدة، "والبار بإيمانه يحيا". حتى موسى قد أشار إلى القصد البسيط والجوهري للناموس في تثنية ١٠: ١٢:

"فـــالآن يـــا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك".

كما أكد ميخا النبي على بساطة العلاقة مع الله:

"قـــد أخـــبرك أيهـــا الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك" (ميخا ٦: ٨).

كذلك يسوع نفسه أظهر أن أهم الأشياء في الناموس هي *"الحق والرحمة والإيمان"* (متى ٢٣: ٢٣). لعل موسى كان يدرك أيضاً الميل البشري لابتكار نواميس بشرية بما أنه أكد مرتين عند إعطاء الناموس، "لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه" (تثنية ٤: ٢ و١٢: ٣٢)؟

وقد خاف النبيان إشعياء وإرميا من *إمكانية أن تصبح وصايا الناس بديلاً لكلمـــة المصـــالحة الحقيقية أو نوعاً من الملجأ الكاذب*. وبدلاً من موقف "أمر علـــى أمـــر" قال الله، "هذه هي الراحة، أريحوا الرازح" و"هذا هو السكون"". لكنهم الآن بدلاً من ذلك سوف "يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء وينكسروا" وسوف "يُصـــادوا فـــيؤخذوا". فهـــم في الواقع يقتربون إلى الله "بشفاههم"، أما "قلوبهم" فمبتعدة عنه، و"صارت مخافتهم من الله وصية الناس معلمة". إلا أن ما سيفعله الله هـــو أن "يبيد حكمة الحكماء ويرفض فهم الفهماء". وقد اقتبس بولس أيضاً هذه الكلمات القاسية لإشعياء[٨٠].

وبـــنفس الطـــريقة فإن نبي العهد القديم الباكي إرميا الذي كان ناشطاً قبل خراب أول هيكل (٥٨٦ ق.م) يشكو من أن الناس يعتمدون على هيئة خارجية للعـــبادة بينما هم يتبعون من ناحية أخرى "مشورات وعناد قلبهم الشرير": "لا تـــتكلوا علـــى كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو!" أو "كـــيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً أنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب .. ها قد رفضوا كلمة الرب". فإن الناس يجعلون اعتمادهم على الختان بالرغم من أن "كل بيت إسرائيل غلف القلوب"[٨١].

---

[٨٠] إشعياء ٢٨: ١٠-١٣ و٢٩: ١٣-١٤. وأيضاً ١ كورنثوس ١: ١٩.

[٨١] إرميا ٧: ٤، ٨: ٨ و٩: ٢٤-٢٦.

تنطــبق هذه التوبيخات النبوية على كل العصور على حد سواء. *فكم هو ســهل أن يصبح تقليد ديني متعلم أكثر أهمية من الطاعة الشخصية للإيمان*. قد يقــول المسيحي أيضاً، "لدينا الكنيسة، لدينا التعليم الصحيح ولدينا المعمودية ونحــن نفعلهــم بالطــريقة الصحيحة أيضاً! يستخدم بولس نفس الصيغة ثلاث مــرات: "لــيس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً" بل أ) "حفظ وصايا الله" ب) "الإيمان العامل بالمحبة" ج) "الخليقة الجديدة"[٨٢]. إن بولس لم ينتقص من الختان لكنه أراد أن يضع الأمور في نصابها الصحيح. وباتباع نفس إطار بولس يمكن أن يُقــال أن "معموديــة الأطفال ليست شيئاً ومعمودية الكبار ليست شيئاً"، بل الحياة المُعاشة وفقاً لمشيئة الله، والإيمان العامل بالمحبة، وتجديد الذهن المتاح لــنا فــي المســيح إلا أننا من خلال المعمودية نتحد بموت المسيح وعمله الكفــاري. لقد كانت المعمودية على الدوام أمراً ثميناً جداً لي بصفة شخصية، وخاصة بالنسبة لشخص دفن ابنه الوحيد الذي كان تلميذاً مكرّساً تماماً للمسيح فــي أرض إســرائيل. لقد كان بولس ثابتاً على مبدأه تماماً في تطبيق طريقة تفكيره المتمركزة حول المسيح في كل نواحي الحياة المسيحية.

٣. *لــم يكــن الناموس بالنسبة لبولس هو الغاية في حد ذاته بل "مؤدب" يقودنــا إلى المسيح*. فإن الناموس يظهر للإنسان حالته الروحية الحقيقية وبهذه الطــريقة يولّد فيه اشتياقاً للمصالحة. إن المسيح هو غاية الناموس. وهو بذلك الــنهاية للعلاقــة الرســمية والقانونية مع الله والبداية لعلاقة شخصية جديدة. وباعتــباره المســيا، فــإن المســيح له الحق في إعطاء الناموس "أسساً جديدة للتفســير" من خلالها "ترجع التوراة إلى حالتها الأصلية". ومع ذلك، فإن الفداء المســياني، أي شفاء "عائق الخطية" الخاص بالبشرية، يعني أن المسيح سوف يكفر عن خطايانا. وبهذه الطريقة يكون قد "أكمل الناموس" بالنيابة عنا.

يتحدث بولس عن المسيح باعتباره غاية الناموس "للبر". وهو يؤسس ذلك علــى كلمات الإصحاح ٣٠ من سفر التثنية المألوفة بالنسبة لكل يهودي تقي، *والتــي يوجــد فيها أيضاً أصل فكرة الكفارة البديلة*. إن المسيح بالنسبة له هو "غاية الناموس للبر لكل من يؤمن".

---

[٨٢] ١ كورنثوس ٧: ١٩. غلاطية ٥: ٦ و٦: ١٥.

وهــو يكمل، "لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس إن الإنسان الذي يفعلهــا ســيحيا بهــا. وأما البر الذي بالإيمان فيقول هكذا لا تقل في قلبك من يصــعد إلى السماء أي ليحدر لنا المسيح. أو من يهبط إلى الهاوية أي ليصعد المسيح من الأموات. لكن ماذا يقول. الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها" (رومية ١٠: ٦-٨)

إلــى جانب الآية التي يقتبسها بولس، يذكر النص العبري في تثنية ٣٠: ١٢-١٣ مرتيــن هذه الكلمات *"yaaleh lanu* و *yered lanu"* ، *أي "لنا" أو "بالنيابة عــنا"*. وهما يؤكدان على حقيقة أن الوصية، "ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها. ولا هي في عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها؟"

إن المــنطق وراء هذه الآيات التي نجد فيها عقيدة الفداء الوليدة في العهد القديــم هو أنه أ) في العهد القديم أُعلن الناموس للناس حتى يعملوا به، أما الآن ب) فقد أكمل المسيح في العهد الجديد كل متطلبات الناموس عن طريق نزوله *بالنــيابة عنا* إلى الهاوية وقيامته إلى السماء، ونحن نعلن هذا العمل الكامل. لقد كانت البشرية عاجزة عن تتميم مشيئة الله المقدسة مما جعلها لا تستحق سوى العقاب، لكن المسيح قد كفَّر الآن عن خطايانا، ويرتبط التبرير بغفران الخطايا.

إن *أفضــل تعــريف للتــبرير* يوجد في إشعياء ٥٣: ١١ حيث قيل عن المسيح، "عبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وخطاياهم هو يحملها". يُعرِّف تعليم لوثــر الشفهي التبرير بالكلمات التالية: "عندما نقبل المسيح فادينا بالإيمان، فإن الله لا يمســك خطايانا ضدنا لكنه يغفرها لأجل خاطر المسيح. وهو يعزو إلينا طهــارة وقداســة المسيح. وبهذه الطريقة يبررنا الله". وقد استخدم لوثر تعبيره المفضل *opus alienum*، أي "عمل قام به شخص آخر"، ليصف ذلك: هناك شــخص آخر أكمل مطالب الناموس، شخص آخر تألم لأجل خطايانا، شخص آخــر حمــل آثامنا. ويُوضِّح كل ذلك من عبارة العهد القديم العزيزة جداً على قلب بولس *pro nobis* ، أي لأجلنا.

٤. مــع ذلــك، فإن هذا الدور المسياني يتضمن وصف بولس "لصعود" و"هــبوط" المسيح، (*anabesetai* و *katabesetai* باليونانية) وقد وعظ بذلك

أيضاً شبتاي زيفي بالرغم من أنه فرض عليه أن يؤيد "أعماله الغريبة" وإنكاره للناموس. إن هذا النوع من الاستنتاج المشترك على وجه التحديد هو الذي يشهد لأصالة الأفكار. وحتى لو كانت مثل هذه الأفكار غريبة تماماً بالنسبة للقارئ العصري فليس باستطاعتنا وضع شروط جديدة لأسس التوقع المسياني. يقول بولس في الرسالة إلى أفسس: "وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات *لكي يملأ الكل*" (*ta panta"* باليونانية، أي كل شيء) (٤: ٩-١٠)

وقد فهم بطرس هذا السر على أنه يعني أن المسيح "أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن" .. "لأجل هذا بُشر الموتى" (١بطرس٣: ١٩و٤: ٦). تتفق العقيدة الرسولية مع ذلك عندما تؤكد أن يسوع "قد هبط إلى هادس".

يقول ترجوم أورشليم فيما يتعلق بالإصحاح ٣٠ من تثنية:

"هل لنا بنبي مثل موسى يصعد إلى السماء ويعطينا التوراة ويعلن لنا متطلباتها!"

وتعد الآية ٤ من الإصحاح ٣٠ بأن الله سوف يجمع المبددين من إسرائيل حتى لو كانوا قد تبددوا إلى "أقصاء السموات". ويشرح ترجوم يوناثان أن هذا سوف يحدث "من خلال جهود رئيس الكهنة إلياس، وهو سوف يستردهم من هناك من خلال المسيا الملك". أما مدراش رباه فإنه يرفض فكرة أنه سيأتي "موسى ثاني ومعه توراة أخرى من السماء". فهل يمكن أن يكون ذلك رد فعل للكنيسة المسيحية الأولى التي كانت ترى في المسيح النبي الموعود الذي سيكون مثل موسى!

لقد ناقشنا في سياق حديثنا عن الحية النحاسية وصف "علامة الخلاص" في حكمة سليمان، وكان المقطع الذي اقتبسناه ينتهي بالكلمات التالية: "أنت تقود الناس لأسفل إلى هادس ورجوعاً مرة أخرى". ويسأل أمثال ٣٠: ٤: "من صعد إلى السموات ونزل؟ من جمع الريح في حفنتيه؟ .. من ثبت جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت" وهكذا فإن فكرة "الصعود والهبوط بارزة حتى هنا في هذا المقطع الذي يتحدث عن عمل الخلق وابن الله.

يعبر بولس عن هذا الإذلال والإعلاء بشكل جميل في نشيده الموجود في الرسالة إلى فيليبي:

"فليكـــن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله لم يحســـب خلســـة أن يكـــون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعـــه الله أيضـــاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في الســـماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ٥-١١).

٥. *كانـــت الوصايا العشرة تُقرأ كل سبت في المجامع القديمة باعتبارها أساساً من أسس الإيمان. ومع ذلك، ففي عام ٩٠ م، قرر مجمع يبنة العظيم أن يهجـــر هذه الممارسة*. فوفقاً للتلمود، ربما يفترض أحد الأشخاص عن طريق الخطـــأ أن الله لم يعطِ سوى هذه الوصايا العشرة على جبل سيناء. وقد تسبب نفـــس هـــذا المجمع في توقف استخدام "الترجمة السبعينية" باعتبارها المصدر الرسمي للمجمع، وذلك لأن المسيحيين الأوائل استندوا عليها بدلاً من الترجمة العـــبرية الأصـــلية لإثـــبات أن يسوع هو المسيا. ولنفس هذا السبب فإنه حتى التوكيد على الإيمان بالقيامة قد قل جداً. وقد رأينا كيف أن حركة شبتاي زيفي رفضت الوصايا العشرة، إلا أنها قبلت القانون اليهودي الطقسي.

لقـــد كانـــت القـــرارات المتخذة في يبنة ذات نتيجة بالغة الأهمية بالنسبة للـــتطور اللاحق لليهودية بأكمله. وهكذا فقد أصبحت أكثر فأكثر ديانة ناموس، وبـــدأت تفاصـــيل التفسير الفريسي للتوراة تحتكر موضع السلطة على حساب الفروع الأخرى للفكر اليهودي. لقد رأى بولس، الذي يخبرنا عن نفسه أنه كان عضواً من أعضاء أكثر طوائف الفريسيين تشدداً، هذا الخطر. وهو يكتب:

"وأمـــا الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف" (رومية ٧: ٦).

لقـــد برر الله إبراهيم في الأصل على أسس إيمانه. ولم تستطع الفرائض التي أُعطيت بعد ٤٣٠ عام إلى موسى أن تنسخ "عهداً قد سبق فتمكن من الله" (غلاطـــية ٣: ١٦-١٩). وإلى يومنا هذا، لا يزال المسيح باعتباره المسيا لديه الإجابة لمشكلة التوراة اليهودية.

إن "السياج" الذي يحيط بالناموس قد تمزق الآن بكل تقاليده وفرائضه. لازالت الوصايا العشرة بالطبع سارية المفعول باعتبارها "كلمات العهد" التي لا تُلغى. إن "السياج" المسيحي الحامي هو المسيح نفسه، وهكذا يستخدم بولس في رسالاته أكثر من ١٦٠ مرة عبارة "في المسيح". لو ضللنا عن المسيح، فإن "كلاب الناموس"، بحسب الكلمات التي يستخدمها لوثر، سوف تمزقنا إلى قطع. وبهذه الطريقة يخدم الناموس الإنجيل. هنا تكمن الخلفية والمنطق لتعليم بولس التوراتي.

ومع ذلك فإن أقوى شهادة ضد إضافة المزيد من الفرائض البشرية توجد في تصريح موسى الخاص في تثنية ٥: ٢٢ عندما كان يقدم الناموس: "هذه هي الكلمات التي كلم بها الرب .. ولم يزد". بهذه الطريقة فإن "كلمات العهد" والوصايا العشرة تكفي باعتبارها تعبيراً عن مشيئة الله المقدسة. وهذه الوصايا لم تبطل في الجلجثة.

المسيا، رئيس الحضرة

ربما تبدو لنا أبحاث الأحبار المسيانية نزوية وغير عقلانية في أغلب الأحيان. إذ تُوجَّه إشارات إلى مراجع مسيانية غامضة بلا توقف في أدب المدراش والتلمود، لكن معظمها على الأرجح هي في *الزُهار*، وهو تعليق صوفي على أسفار موسى الخمسة. يحتوي وصف المسيح في العهد الجديد كذلك على أوجه غير قابلة للشرح من وجهة النظر النبوية التاريخية وحدها. كما يتحدث بولس في الواقع عن سر المسيح "المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال" و"الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية" (كولوسي ١: ٢٦، ١ كورنثوس ٢: ٧، ورومية ١٦: ٢٥). ووفقاً لبطرس، فقد كان "معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم" (١ بطرس ١: ٢٠).

يعقوب يرى وجه الله

تتعلق إحدى الصور التوضيحية المفسرة مسيانياً الأكثر استقلالاً في أسفار موسى الخمسة بحادثة جرت في حياة يعقوب. هناك القليل نسبياً مذكور عنها في الأدب القديم حتى أننا نعرضها الآن فقط لدواعي الترتيب الزمني. فإننا نقرأ في الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين كيف أن يعقوب صارع عند مخاضة يبوق مع "إنسان" ما كان قد طلب منه بركته. وقد تلقى يعقوب الاسم الجديد *إسرائيل* الذي يعني "الذي يجاهد مع الله" وذلك لأنه قد "جاهد مع الله والناس" وغلب. وقد أطلق

يعقــوب على المكان اسم *فنيئيل* الذي يعني "وجه الله" وقال "لأني نظرت الله وجهاً لوجــه ونجيت نفسي". يُستخدم الاسمان *فنوئيل وفنيئيل* لهذا الظهور الليلي الغامض (تكويــن ٣٢: ٢٩-٣٠). يقــول مدراش رباه في تعليقه على ذلك أن يعقوب *"رأى وجه الله في الروح القدس"* ("في الشكينة" حرفياً).

لقد تسببت رواية مصارعة يعقوب مع الملاك في ظهور أفكار بين الحكماء لها مغزى مباشر على فهمهم للمسيا. *إذ يصرح ترجوم أونكيلوس أن يعقوب رأى فعلياً "ملاك* الرب". لكن من هو "ملاك الرب" هذا ومن هو "فنوئيل"؟ يعرض إشعياء ٦٣: ٩ لغزاً صوفياً يرتبط بشكل ما برواية نهر يبوق. إذ يقول إشعياء: "فــي كـل ضيقهم تضـايق ومـلاك حضـرته خلصــهم. بمحبته ورأفـته هـو فكهـم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة"

***يقــول الأحــبار إن "مــلاك حضــرته" هــذا يعني "ملاك العهد ورئيس الحضرة"*. إن العبارة في العبرية هي *Sar ha-Panim*، وهي تعني حرفياً *"أمــير الوجــوه"* أو *"الحضرة"*. يقول الحبر ديفيد كيمهي عن ملاخي ٣: ١، الــرب الــذي سوف "يأتي بغتة إلى هيكله"، أن *"هذا الرب هو المسيا الملك، وهو رب العهد"*[٨٣]. وحيث أن الأمر كذلك، فباستطاعتنا أن نستنتج أن يعقوب قد تلقى اختباراً مسيانياً، حيث أنه نظر وجه المسيا.**

المسيح باعتباره "رئيس الحضرة"

يحــتوي كتاب الصلاة اليهودي، Sidur ha-Shalem، في صلوات رأس الســنة المرتــبطة بصــوت الــبوق صـــلاة رائعة تتحدث عن "يسوع رئيس الحضــرة". إنني أعلم بأمر مناسبتين منفصلتين، فيما يتعلق بهذه الصلاة، طُرد فــيهما بعض الشباب من المجمع عندما سألوا من هو في الحقيقة يسوع. نقرأ في الصلاة: "لتكن مشيئتك أن النفخ من هذا البوق يصل إلى خيمة الله بواسطة مندوبــنا تارتيــيل الذي أعطاه اسمه إلياس تتبارك ذكراه، ومن خلال يسوع رئــيس الحضــرة والأمــير ميتاترون *Metatron*، ولتكن النعمة من نصيبنا. مبارك أنت يا رب النعمة".

---

[٨٣] **ميكراوث جيدولوث، ملاخي ٣: ١.**

يظهـــر اســـم يسوع في هذه الصلاة في شكله العبري الصحيح *Jeshua* الذي يعني "مخلص".

يمكنـــنا أن نلاحـــظ هنا أن Sidur (كتاب الصلاة) يطابق بين "المندوب تارتيـــيل"، و"يســـوع رئـــيس الحضرة"، و"ميتاترون". وأصل الاسم *"تارتييل"* *Tartiel* لـــيس معـــروفاً، لكـــن أحـــد التخمينات تقترح أنه مشتق من كلمات Tartei El، أو *"شـــكل الله الآخر" الذي يعلن به ذاته* وهو حتى عندما يتغير إلـــى اســـم يتبدل الحرف تاو *taw* إلى "التاء الأخرى" في الهجاء العربي، تيت *tet*. ويأتي الاسم الغريب "ميتاترون" من كلمة *metathronon* اليونانية، وهي تعنـــي، *"الجالس على العرش"*. يقول ترجوم يوناثان على تكوين ٥: ٢٤ الذي نقـــرأ فـــيه تـــرجمة أخنوخ (كيف أنه سار مع الله و"لم يوجد") أنه *"صعد إلى السماء ودعاه الله باسم ميتاترون الكاتب العظيم"*.

يبيـــن الأســـتاذ جوتليـــب كلاين، رئيس أحبار ستوكهولم سابقاً، في أثره الأدبـــي الـــذي نُشـــر عام ١٨٩٨، سمات ميتاترون الرئيسية كما صُورت في الأدب اليهودي:

"ميـــتاترون هو أقرب شخص إلى الله وهو يخدمه؛ من ناحية أخرى فهو حـــافظ ســـره ومندوبه، من ناحية أخرى فهو ممثل إسرائيل أمام الله .. يُعرف ميـــتاترون أيضاً باعتباره Sar ha-*Panim*، أي "رئيس الحضرة" أو باعتباره مجـــرد "الأمـــير"، وهـــو يجلس في غرفة لله الأكثر عمقاً (*penim*). والقيمة العددية لميتاترون هي نفس تلك التي لشداي *Shaddai*، أي "القدير". لذلك فهو مـــندوب القديـــر. Shaddai (١٠+٤+٣٠٠) = ٣١٤ و Metatron (٥٠+٦+٢٠٠+٩+٩+٤٠) = ٣١٤.

يكتب الأستاذ كلاين أيضاً باستفاضة عن كيف أن *ميتاترون* على ما يبدو فـــي اليهودية *يُعرَّف في أغلب الأحيان بالكلمة أو اللوجوس، ويظهر أن هناك خمســـة مـــن مثل هؤلاء الوسطاء في التلمود: "١. ميتاترون، ٢. كلمة يهوه، المـــيمرا، ٣. مجد الله الذي يرف، الشكينة، ٤. روح الله القدوس، Ruah ha-QodeshK، و٥. الصوت من السماء، Bath Qol. (بنت الصوت حرفياً)"*[٨٤]

---

[٨٤] **Gottlieb Klein , *Bidrag till Israels religionshistoria***

يعمـــل ميتاترون في المقام الأول *كشفيع للصلاة*. يقول التلمود إن الملائكة لا تفهـــم سوى العبرية[٨٥]. وميتاترون، المدافع عن إسرائيل، وحده يمكنه الاقتراب من عـــرش الله عندما يُدخِل أعمال إسرائيل الصالحة في حساباتهم[٨٦]. عندما بُني تابوت العهد الخاص بإسرائيل تلقت الملائكة تفويضاً ببناء منزل في السماء "من أجل الشاب الـــذي يُسمى ميتاترون، وكان سيُحضر في هذا المسكن أرواح المستقيمين إلى الله *للتكفير عن إسرائيل أثناء السبي*"[٨٧]. تظهر فكرة "التكفير" هذه في ملحق كتاب الصلاة الســـيدور Sidur، حيث يُقال إنه هكذا ترتفع الصلاة والنفخ في البوق *"أمام العرش وتتحدث بالنيابة عنا فتكفر عن جميع خطايانا"*.

ومـــع ذلـــك فإن أهم نقاط الاتصال التي يمتلكها هذا الاسم الغامض الذي ابتكره الأحبار هي مع "ملاك العهد" و"ملاك الرب". هناك رواية في الإصحاح ٦ مـــن سفر القضاة عن كيف أن ملاك الرب ظهر لجدعون. فإننا نقرأ "فالتفت إلـــيه الرب وقال"، و"فقال له الرب"، مطابقاً بذلك بين الملاك و"الرب". ويهتف جدعـــون، "آه يـــا سيدي الرب لأني قد رأيت ملاك الرب وجهاً لوجه" (الآيات ١٤، ١٦، و٢٢). لكـــن مـــا هو، في رأي الأحبار، الأمر الاستثنائي جداً في ملاك الرب هذا؟

عندما درس راشي، وهو أكثر الأحبار شهرة في العصور الوسطى، هذا الأمر، أشار إلى كلمات خروج ٢٣: ٢٠-٢١:

"هـــا أنـــا مرســـل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق .. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه .. *لأن اسمي فيه*".

يقـــترح راشي أن الكلمات في نهاية الآية *"لأن اسمي فيه"* تعني " هو وأنا نمتلك نفس الاسم"".

وهـــو يكمل "وقد قال أحبارنا أن ذلك هو ميتاترون، الذي اسمه هو نفس اسم الرب. فإن القيمة العددية "لميتاترون" تتطابق مع تلك التي "لشداي" اسم القدير".

وقد كان موسى يتحدث عنه عندما قال في خروج ٣٣: ١٥: "إن لم يسر *وجهـــك* فلا تصعدنا من ههنا". ويرى رمبم هنا وفي الآيات السابقة ميتاترون

---

٨٥ *Shabbath* ١٢b

٨٦ *Pesikhta* ٥٧a and *Bamidbar Rabbah* c٢١.

٨٧ *Bamidbar Rabbah*, par. Nassa ١٢.

وملاك العهد. لا عجب إذن أننا نجد *في وقت مبكر منذ التلمود العبارة البسيطة بأن ميتاترون هو أيضاً رئيس الحضرة*[٨٨].

مثل هذه المناقشات تقودنا إلى مساحات غريبة في الواقع، لكنها توضح الجذور غير المنطقية في أغلب الأحيان للمسيانية. فإن المسيح هو "طريقة الله الأخرى لإظهار نفسه"؛ وهو يجلس "على العرش" ويعمل كمحامٍ عنا؛ إنه حقاً الرب و"اسم الله فيه"؛ فإننا نرى في المسيح وجه الله.

المسيا، الميمرا أو "كلمة" الله

عندما نظرنا إلى الإنجيل البدئي رأينا كيف أن الحية النحاسية التي رفعها موسى في البرية كانت، وفقاً لحكمة سليمان، "علامة للخلاص". وهنا يقول ترجوم يوناثان بن عُزيل أن "كل من كان يحوّل قلبه إلى كلمة الرب Mimra كان يُنقذ". وقد طابق الأستاذ جوتليب كلاين ميتاترون، المستخدم كنعت للمسيا، وMimra أي "كلمة" يهوه. ففي رأي كلاين كانت هذه الكلمة الآرامية بالتحديد هي التي شكلت الأسس للاعتقاد بأن المسيح هو "الكلمة أو لوجوس الله الذي صار جسداً".

أما الفيلسوف اليهودي فيلو، الذي عاش في نفس زمان يسوع تقريباً، فقد اعتبر أن اللوجوس هو مندوب الله، ومبعوثه وملاكه الذي "يصلي كرئيس كهنة أمام الله بالنيابة عن العالم"[٨٩]. *ويظهر مفهوم الميمرا المرتبط بالله وظهوراته ٥٩٦ مرة في التراجم لكن ولا مرة واحدة في التلمود*[٩٠]. ويستخدم ترجوم أونكيلوس الكلمة ١٧٩ مرة، وترجوم يروشالمي ٩٩ مرة، وترجوم يوناثان ٣٢١ مرة. كما أن ما يزيد على النصف في هذه الإشارات إلى الميمرا يفهمها باعتبارها "مشخصة"[٩١]. *ربما كان غياب "الميمرا" من التلمود رد فعل لتفسير المسيحيين الأوائل لها باعتبارها تشير إلى يسوع*. لكن هل هناك حقاً أسس لفهم أن "الميمرا" هي نفسها "لوجوس" العهد الجديد؟

هناك سبب وجيه في الإجابة على هذا السؤال للجوء إلى طريقة الأحبار في تبويب الكتابات القديمة وفقاً لقيمة مصادرها: *"إن العهد القديم يقود إلى التراجم،*

---

٨٨. *Hagigah* ١٣.
٨٩. **Gottlieb Klein's *Sex foredrag*, p٨٨.**
٩٠. ألفرد إدرشيم، *حياة وأزمنة يسوع المسيا* ١، ص ٤٦-٤٨.
٩١. **Ibid vol ٢ pp٦٥٩-٦٦٤.**

والــتراجم تقود إلى المشناه، والمشناه إلى التلمود، وهكذا دواليك"[٩٢]. باتباع هذه الطريقة نجـد أن الــتراجم تقدم معلومات تتقدم على تفسير الأحبار من المشناه ذاتها، التي تُعتبر الجــزء الأقــدم من التلمود. لذلك يجدر بنا، من وجهة نظر موضوعنا، أن نعوِّد أنفسنا على هذه الجذور لإيماننا المسيحي المخبئة في التراجم.

يظهــر المــيمرا في التراجم في السياقات التالية: يقول الترجوم عن خلق الإنســان فــي تكويــن ١: ٢٧: "وقــد خلــق ميمرا الرب الإنسان" (ترجوم يروشــالمي)؛ وفــي تكوين ١٦: ١٣ *تتحدث هاجر مع "ملاك الرب" و"يدعوه مــيمرا الــرب"* (يروشالمي)؛ وفي تكوين ٢٢ حيث *يتحدث إبراهيم مع ملاك الــرب، الــذي سُــمي "ميمرا الرب"*، وفي الآية ٨ *"ميمرا الرب نفسه يرى له الخــروف للمحــرقة"* (يروشــالمي)؛ وفي تكوين ٢٨: ٢٠ ينذر يعقوب نذراً ويقول، *"إن كان ميمرا الرب معي .. يكون ميمرا الرب لي إلهاً"* (أونكيلوس)؛ ويفسر الترجوم تكوين ١٥: ٦ كما يلي: *"فآمن إبراهيم بميمرا الرب فحسبه له بــراً"* (أونكيلوس)؛ ومع إعطاء الناموس في خروج ٢٠: ١ نقرأ في الترجوم، *"ثــم تكلــم ميمرا الرب بجميع هذه الكلمات"* (يروشالمي)؛ وفي عدد ١٠: ٣٥ يصــلي موســى، *"قــم يــا رب .. قــم يا ميمرا الرب ..عُد يا ميمرا الرب"* (يروشــالمي)؛ وعــندما يُقــال لنا في خروج ١٤: ٣١ أن الشعب آمن بالرب وبعــبده موسى، ونقرأ ذلك في التلمود كالتالي *"آمنوا بميمرا الرب وبنبوة عبده موســى"* (أونكيلوس)؛ وتؤكد بداية الإصحاح ٢٨ من سفر التثنية أنه لو سمع إســرائيل لصــوت الله، ســوف تأتي عليه جميع البركات التي قيلت، ويفسر الــترجوم ذلــك علــى أنه: *"لو أنك قبلت ميمرا الرب حتى يكون ميمرا الرب إلهــك"*، عندئذ يتحقق كل ذلك (أونكيلوس)؛ ويقول إشعياء ٤٥: ١٧ و٢٥ *"أما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبدياً" "بالرب يتبرر ويفتخر كل نسل إسرائيل"*. يفســر الــترجوم ذلك على أنه *"إسرائيل سوف يخلص بميمرا الرب" و"سوف يتبررون بواسطة ميمرا الرب"* (يوناثان)؛ ويعد هوشع ١: ٧: "وأما بيت يهوذا فــأرحمهم وأخلصــهم" يقول الترجوم: *"وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بــإلههم مــيمرا الــرب"* (يوناثــان)؛ كما أن تثنية ٣٣: ٢٧، "الإله القديم ملجأ

---

[٩٢] *Sifrei Shoftim*, piska ١٦٠a.

والأذرع الأبديـــة من تحت" يفسرها الترجوم على أن "*هذه الأذرع هي الميمرا الذي خلق العالم من خلاله*" (أونكيلوس).

هــناك ملاحظـــة خاصة في هذه المقاطع من التراجم وهي أنه في أغلب الأحـــيان يـــبدو أن المـــيمرا يتطابق مع اسم الله: "يكون ميمرا الرب لي إلهاً"؛ "فأرحمهم وأخلصهم بإلههم ميمرا الرب"؛ وقد تبرر إبراهيم من خلال الميمرا؛ وأعطى الميمرا لإسرائيل الناموس؛ وصلى موسى للميمرا؛ وتبرر إسرائيل من خـــلال وســـاطة المـــيمرا بل وأن الميمرا خلق العالم. لو اقترنت هذه الأفكار بالـــتوقع المســـياني، وهـــي رابطة قام بها الأحبار، فإنها سوف تحظى بأهمية جديدة بالنسبة للمسيحيين أيضاً.

بالرغم من أن بحث مفهوم اللوجوس اليوناني سوف يُترك للجزء الخاص بـــالعهد الجديـــد على الآيات الافتتاحية لإنجيل يوحنا، إلا أنه تجدر الملاحظة حـــتى عند هذه النقطة أنه *كان هناك لاهوت مشابه للاهوت "الكلمة"، مثل ذلك الموجود في ارتباط مع الميمرا، متداولاً جزئياً فيما بين الأسينيين المقيمين في قمـــران قـــبل ميلاد المسيح بوقت قليل*. يؤكد أولئك المنتمون إلى هذه الطائفة، الذيـــن كـــانوا في معظمهم كهنة سابقين للهيكل، في مخطوطاتهم أن *كل شيء تلقـــى بدايـــته مـــن خلال قصد الله المتعمد* و"*بغيره لم يكن شيء مما كان*" "*بكلمـــتك تلقـــى كل شيء بدايته، وبغيرك لم يكن شيئاً مما كان*"[٩٣]. تتكرر هذه الصيغة ذاتها إلى اليوم عندما يبارك أحد اليهود الأتقياء شراباً مأخوذاً على حدا مـــن وجبة فعلية. فهو يتلو صلاة مأخوذة من التلمود: "*مبارك ملك العالم: فكل شيء كان بكلمته*" (*ha-Kol nihyah bi-Dvaro*).

لقـــد أدرك الأســـتاذ الـــيهودي جوتليب كلاين أن بعض المسيحيين كانوا يـــنظرون إلـــى "ميتاترون، وميمرا، والإنسان الأول (adam ha-Qadmon) وموسى الثاني" على أنهم مرتبطون بالتفكير الكريستولوجي[٩٤]. يقول التلمود أن اســـم ميـــتاترون مساوٍ "للرب"، وهو يجلس في قدس الأقداس ويعمل كمبعوث لله[٩٥]. وهـــو يُدعى "ملاك الرب"، و"ملك الكون"، و"رئيس الحضرة" بل وأيضاً

---

[٩٣] Eg. *Megilath ha-serachim* ١ QS XI,١٠ and Hodayoth ! QH I, ١٩.

[٩٤] G. Klein, *Sex foredrag*, p٩٥..

[٩٥] *Sanhedrin* ٣٨b, *Hagigah* ١٥a and *Avoda Zara* ٣b.

باسم "شكينة" أي حضور الله[96]. ويجمع الزهار، الذي يركز في آلاف الصفحات على وصف طبيعة الله الجوهرية، هذه الشظايا المتناثرة معاً فيقول:

"إن ميتاترون هو الملاك المدعو "رئيس الحضرة"، و"رئيس التوراة"، و"رئيس القوة"، و"رئيس المجد"، و"رئيس القدس"، و"رئيس الملائكة"، و"رئيس الملوك" (قضاة ٥: ٣)، و"رئيس الأمراء"[97].

ويجب على إسرائيل أن تقدم صلواتها في اسم رئيس الحضرة هذا. باستطاعتنا أن نذكر كذلك أن الكلمة العبرية "لملاك" تعني "مبعوثاً" وليس بالضرورة مجرد "ملاك".

إن الأستاذ الراحل يجيل يادين، وهو عالم الآثار وخبير بمخطوطات البحر الميت، الذي مات في ربيع عام ١٩٨٤، لفت انتباه العالم العلمي إلى حقيقة أن الرسالة إلى العبرانيين في العهد الجديد تتحدث عن عالم الملائكة بنفس طريقة أسينيين قمران. وهو يقول:

"تعتبر الرسالة إلى العبرانيين إحدى أكثر الرسائل تشويقاً في العهد الجديد وهي تختلف في محتواها عن جميع الكتابات المسيحية المبكرة الأخرى التي يتضمنها العهد الجديد".

فإن الكاتب في رأيه يتمنى أن يشهد عن المسيح. "حيث أن الموضوع الرئيسي يسير هكذا: "صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم" (١: ٤). وهو يواصل، "هذه الرسالة تتمنى أن تقول أن يسوع هو كاهن ممسوح، كاهن ليس من نسل هارون بل من نسل أكثر نبلاً جداً". ويوجه الكاتب "كلمات توبيخ قوية" إلى قارئيه ويركز رسالته حول شخص المسيح مبرهناً على أنه رئيس الكهنة الموعود. يعتقد يادين أن هذه الرسالة كانت موجهة إلى الأسينيين:

"لقد تمكن كاتب الرسالة بالكاد حقاً أن يختار أمثلة أكثر قرباً إلى قلوب جمهوره، وهو جمهور يتطابق مع طائفة البحر الميت بحسب فرضيتي"[98].

تصف بداية الرسالة إلى العبرانيين المسيح باعتباره ابن الله، "الذي به عمل العالمين". كما أن المسيح هو "بهاء مجد الله ورسم جوهره وحامل كل

---

[96] *Tos. Le-Hulin* ٦٠a and *Yebamoth* ١٦b.

[97] يقدم الزهار هذا الوصف في اسم الحبر أكيبا.

[98] الكتاب العبري *دراسات على مخطوطات البحر الميت*، دار نشر هيشال هاسفير، ص ١٩١-٢٠٨.

الأشـــياء بكلمـــة قدرته". تنبع هذه الأفكار أيضاً من أنماط فكرية يهودية وهي ترتبط بلاهوت الميمرا، أي مع المسيح باعتباره كلمة الله الذي صار جسداً.

رسالة المشورة الروحية المرتبطة بفنوئيل

إن قصـــة يعقـــوب لديها أيضاً كلمة علاجية عميقة لنا. فقد كتب دكتور فرانك ليك دراسة نفسية هامة بعنوان "اللاهوت الإكلينيكي"[٩٩]. وهو يصف فيها الصـــراعات الداخلـــية والكآبـــة الخاصة بالإنسان العصري، مقارناً بينها وبين صـــراع يعقوب مع فنوئيل؛ إذ يجب علينا أن نحظى بالسلام في تعاملاتنا مع الآخريـــن وفـــي علاقتنا مع الله. فإننا نشتاق في هذه الصراعات إلى أن نرى وجه الله، كما أننا نطلب بالضبط كما فعل يعقوب، "لا أطلقك إن لم تباركني" إذ أننا غير قادرين على أن نُشفى داخلياً ما لم نجد وجه الله الذي هو محبة.

ربمـــا يكون فرانك ليك قد بالغ قليلاً عندما قال أن كلا من خبرة الوجود في رحم الأم قبل الولادة ثم صدمة الولادة نفسها لديهما تأثير على حياة الطفل. لا يجب على أية حال تجاهل هذه العوامل. ومع ذلك، فإن العام الأول من حياة الطفـــل هـــو على الأرجح الأكثر أهمية بالنسبة لتطوره المستقبلي. فإن لم يجد الصـــغير وجوه أبويه المُحبة والمُحفزة قد يصبح عالمه ميتاً وقاحلاً. لو لم تكن هـــناك محـــبة في البيت ولو لم يُعط للطفل أي اهتمام سوف تظل حياته باردة وبلا معنى. قد يتحول الفراغ الموجود في البيت إلى فراغ داخلي بل وحتى إلى حالـــة من الكرب. فإن "الوجوه النابضة بالحياة" تعطي طعماً للحياة، أما الوجوه غير المعبرة فإنها لا تتسبب سوى في الاكتئاب.

لكن ما الذي سيحدث لو أن الطفل تلقى جرحاً عميقاً في المراحل المبكرة من تطوره؟ هل سيكون مقدراً له التعاسة؟ هل سيكون مجبراً على الهروب من طفولته كما فعل يعقوب؟ من أين سيحصل على السند الذي كان يفتقر إليه على الدوام من أجل تطوير شخصيته؟ في هذه المواقف بعينها يمكن للمحة من وجه الله المحـــب أن تشـــفي جروحـــنا النازفة. إن الروح القدس يمجد يسوع. فمن ضـــمن كلمـــات يسوع الفاصلة تلك الموجهة إلى فيلبس: "الذي رآني فقد رأى

[٩٩] فرانك ليك، اللاهوت الإكلينيكي.

الآب" (يوحنا ١٤: ٩). كما أنه وعد كذلك أن، "كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٤٠). إن حياة كثير من الشباب من مدمني الخمور والمخدرات قد تحولت في لحظة عند مقابلتهم وجهاً لوجه مع يسوع. إذ ليست هناك متطلبات لمحبته، ليس هناك شيء مفروضاً عليك، وهكذا فإن اختبار رؤية وجهه يقدم لنا شفاءاً داخلياً. وقد صرح عالم النفس ك. ج. يونج في عدة مناسبات أن *كل كرب يتعرض له الشخص البالغ من العمر ٣٥ عاماً "يتضمن عاملاً دينياً يتطلب علاجاً". وهؤلاء وحدهم من زبائنه الكثيرين الذين اختبروا نوعاً من النهضة الروحية "ظلوا أصحاء بشكل دائم". ومن هنا قد يكون استنتج أن الصحوة الدينية الصحية تساعد كثيراً في الشفاء الداخلي*.

لقد ظن يعقوب قبل اختباره عند نهر يبوق أنه بإمكانه أن يهرب من مشاكله. فقد وجد في طفولته أن أباه اسحق قد "أحب عيسو. وأما رفقة فكانت تحب يعقوب" (تكوين ٢٥: ٢٨). وذلك تطور إلى أزمة حياته. فقد أصبح "إنساناً كاملاً يسكن الخيام" تستخدم اللغة العبرية عبارة yoshev ohalim، كان "يمكث في الخيام". وهكذا تُرك يعقوب ليكبر بشكل أو بآخر "مع النساء". ومع ذلك، فقد كان يشتاق إلى أن ينال استحسان والده وذلك قاده إلى أن يغش أخاه بخصوص بكوريته ويسرق بركة والده. ولم يكن سوى بعد ٢٠ عاماً من تحوله إلى لاجئ ذاق خلالها الجانب الشاق من الحياة وخداع حميه لابان، حتى أصبح مستعداً لأن يواجه نفسه، وأخاه، وإلهه. وقد كان عيسو في الواقع مملوءاً بنية القتل عندما جاء للقائه، لكنه عندما رأى أخاه، "عانقه ووقع على عنقه وقبله. وبكيا" (تكوين ٣٣: ٤). لقد ذابت في لحظة السنوات المكبوتة من الغضب والمرارة وتحولت إلى تناغم. كان يعقوب مشتاقاً أيضاً إلى غفران الله وبركته. وقد تلقى كل ذلك عند مخاضة يبوق.

لقد تلقى يعقوب الذي كان يعاني من أزمة إيمان اسماً جديداً. فقد قال له فنوئيل: "لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت" (٣٢: ٢٨).

لقد أُزيل الآن المعنى الثانوي "للخداع" في اسم يعقوب وأصبح "مجاهد الله". فقد ضُرب في الموضع الذي كان أكثر صلابة لديه وكان هو حقويه في الواقع! حتى أنه بدأ يعرج ظاهرياً منذ ذلك اليوم، لكنه أصبح كاملاً داخلياً. فإننا نقرأ أنه عندما كان يعقوب يصلي عند مخاضة يبوق قال:

"صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك"

إن الكلمة العبرية المستخدمة "لصغير" هي *qatonti*، وهي تعني حرفياً "لقد انكمشت!" لقد تذلل يعقوب وأُجبر على استصغار نفسه، وذلك بالتحديد هو الذي حرره إلى درجة أنه توقف عن الهروب من نفسه ومما صنعه. لقد أصبح الآن "مصارعاً" ووصل إلى الرجولة الحقيقية. إننا نختبر أمراً مماثلاً عندما نتلاقى في المسيح مع وجه الله الذي هو محبة.

كذلك تحتوي بركة هارون، في الموضع التي تتحدث فيه عن وجه الله، نفس رسالة الشفاء الروحي:

"يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً" (عدد ٦: ٢٤-٢٦).

منذ زمن ليس ببعيد، اكتُشفت تميمة في إسرائيل يرجع تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد. وعندما تمت دراستها تحت الميكروسكوب كشفت عن كلمة "الرب" مكتوبة ثلاث مرات بحروف صغيرة جداً من اللغة العبرية القديمة ثبت فيما بعد أنها بركة هارون. قد تُفهم هذه البركة على أنها تخفي باعثاً مسيانياً. وذلك ما توحي به عبارة الكتاب المقدس نفسه: "فيجعلون اسمي على بني إسرائيل" (آية ٢٧)، أي اسم "يهوه"، الذي يُعتبر بالنسبة لبعض الأحبار اسماً غامضاً للمسيا كما رأينا من قبل. يقول ترجوم أونكيلوس بخصوص الوجه "المضيء": *"يضيء الرب بروحه القدوس ("الشكينة" حرفياً) عليك"!* فبالحقيقة، وحده حضور الله وروحه القدوس باستطاعتهما أن ينيرا ويشفيا قلوبنا المجروحة.

زمن مجيء المسيح

سألني ذات مرة صديق يهودي ما هو أفضل برهان على مسيانية يسوع. وقد توصلنا معاً إلى نتيجة وهي أنه ينبغي علينا أولاً أن نقرر ما إذا كان المسيا سوف يجيء في زمن معين وما إذا كان هذا الزمن قد مر بالفعل.

ثانياً، ومع وضع ذلك في الاعتبار، يجب علينا أن نسأل ما إذا كانت اليهودية تستطيع أن تقترح أي مرشح آخر لديه مؤهلات جيدة مثل تلك التي ليسوع لمنصب المسيا.

هناك نبوتان في أسفار موسى الخمسة تثيران الأسئلة بخصوص زمن مجيء المسيا. وتُعتبر رؤية دانيال عن "الملك الممسوح" الذي سيجيء جزءاً من نفس الموضوع. كذلك يمكن لأبحاث الأحبار بخصوص هذه الأمور أن تساعد على فهم جذور إيماننا.

المسيح المرئي من بعيد

سبق ورأينا أنه حتى التفسير النقدي للكتاب المقدس يفهم المقطع المعروف ببركة بلعام على أنه يؤذن بمجيء العصر المسياني. يحتوي عدد ٢٤: ١٣ على رواية بلعام ابن بعور الذي قال، "الذي يتكلمه الرب إياه أتكلم". وقد قدم نفسه باعتباره الرجل "المفتوح العينين" و"الذي يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلي". "وهو يواصل، "هلم أنبئك بما يفعله هذا الشعب بشعبك *في آخر الأيام* .. أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً: يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل".

تتعلق هذه النبوة "بآخر الأيام"، وهو مفهوم يشير إلى المستقبل المسياني فيما بين الأحبار. وهنا، كما في بركة يعقوب ، سوف يمسك الحاكم الذي سيأتي "قضيباً" في يده. تنطبق كلمات حزقيال ٢١: ٢٧ أيضاً على كلا البركتين:

"هذه لا تلك. ارفع الوضيع وضع الرفيع. منقلباً منقلباً منقلباً أجعله. هذا أيضاً لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم فأعطيه إياه"

إن القضيب المذكور هو السمة المميزة للحاكم والمشرع. كما أن بركة بلعام تتحدث أيضاً عن رؤية "كوكب"، وهو شيء تكثر الإشارات إليه في كل من العهد الجديد والأدب اليهودي.

يقول ترجوم أورشليم الآرامي عن بركة بلعام أن الله سوف *"يقيم ملكاً من بيت يعقوب، ومدمراً وحاكماً من بيت إسرائيل"*. *وتصف الألفاظ الآرامية "مدمر" و"حاكم"* دور *المسيا*. وقد أعلن يسوع بالمثل أن "كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلع" (متى ١٥: ١٣). ويذكر ترجوم أونكيلوس المعترف به

رســمياً مــن المجمــع اليهودي، "*عندئذ ينهض ملك من يعقوب ويُمسح مسيا إسرائيل*". لقد جمع أدولف جيلينك مجموعة من قصص المدراش القديمة يدرس فــيها "بــركة أبيــنا يعقوب"، و"حروب المسيا الملك"، و"علامات المسيا"[١٠٠]. وعــندما يصل إلى "أسرار الحبر شيمون بن يوهاي" المختصة بالمسيا، يتحدث جيليــنك عن كيف أن "*ميتاترون، رئيس الحضرة*"، يكشف أن "*أيام المسيا التي ستستمر ٢٠٠٠ عام*" سوف *تأتي كما سبق وقيل "ثم يشرق كوكب في الشرق، مــع قضيب، وسوف يكون كوكب إسرائيل كما هو مكتوب، "يبرز كوكب من يعقــوب"*. كذلــك يذكر رمبم أيضاً بمنتهى الوضوح في حديثه عن رؤية بلعام أن، "*هذه النبوة تشير إلى أيام المسيا*".

يشــير العلمــاء اليهود إلى الدهور التي ترى "عين بلعام المكشوفة" فيما ورائهــا. يقول *ابن عزرا*، الذي تتبع تفسيره التعليقات الأكثر شمولاً، *أن بلعام يتحدث أولاً عن "داود، لأنه قيل "ليس الآن لكن في المستقبل البعيد، بعد ٤٠٠ عــام"*. ثــم *يقول أن هناك "كواكب في السماء لا يعرفها التاريخ ولن يعرفها"*. "*كثــيرون فســروا ذلك باعتباره يشير إلى المسيا"، لكن في غضون ذلك ظهر الموآبــيون، والعماليق، وآشور ... "ويظن الجاهل لو أن تفسير الكوكب يُعنى بــه داود*، عندئذ سوف *يُنكر مجيء المسيا. لكن يجب التخلص من هذا الفكر، لأنه قيل بشكل واضح عن المسيا في نبوة دانيال، كما شرحت من قبل، أنه تنبأ عن قيام ملوك يونانيين، وسيادة الحشمونيين، والبناء، والسياج، وخراب الهيكل الثاني، والخلاص اللاحق..*"

سوف نتحدث في الجزء الخاص بالعهد الجديد عن النجم الذي ظهر عندما وُلــد المسيح. أما هنا، عندما نركز انتباهنا على زمن ظهور المسيا فإننا يجب أن نــأخذ فــي اعتبارنا ما يقوله التلمود والمدراش بخصوص العهد المسياني المكون من ألفي عام وأن الأحبار بحثوا في سفر دانيال عن إيضاح على مسألة مجــيء المسيا، بالإضافة إلى أن احتمال الظهور الثنائي للمسيا يظهر أيضاً في هذه المناقشات. يحتوي كتاب الصلاة اليهودي الرسمي، السيدور *Sidur*، على هذه الصلاة مرتين على الأقل:

---

[١٠٠] **Adolf Jellink, *Beth ha-Midrash*, sifrei Wahermann I-vi. Jerusalem ١٩٦٧.**

"لتكن مشيئتك أيها الرب إلهنا وإله آبائنا أن نحفظ وصاياك في هذا العالم ونكسب، ونعيش، ونرى، ونرث الجزء الصالح والبركة في يومي المسيا وفي الحياة الأبدية الآتية"[١٠١].

إن كتاب الصلاة نفسه لا يظهر ما الذي يعنيه "يومي المسيا". لقد فهم بلعام أن المسيا سوف يأتي في الأيام الأخيرة". كما أن الرسالة إلى العبرانيين تفهم هذه الأيام باعتبارها تبدأ مع المسيح"[١٠٢].

مجيء المسيح الأول

لقد قال يسوع فيما يتعلق بمجيئه الثاني، "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده" (متى ٢٤: ٣٦). ويقول ميمونيدس في مادته الثانية عشر التي تذيل كتاب الصلاة السيدور، "أؤمن إيماناً كاملاً بمجيء المسيا، ولو أنه تأخر، فسوف أنتظر مجيئه كل يوم" إن فكرة أننا لا يمكننا أن نتنبأ بزمن مجيء المسيا هي نوعاً ما مغروسة بعمق لدينا في اللاوعي حتى أننا نضلل بسهولة في التفكير بأن الكتاب المقدس لا يذكر شيئاً محدداً بشأن مجيئه الأول. لكن هل الأمر كذلك؟

لقد صرح ابن عزرا أن "هناك رواية واضحة عن المسيا في نبوة دانيال. وفي الحقيقة فإن دانيال ٩: ٢٤-٦ يقدم تعريفاً عن *زمن مجيء المسيا، وعمله الرئيسي، وماذا سيحدث في أورشليم والقدس في ذلك الوقت*. فإننا نقرأ:

"سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً يعود ويُبنى سوق وخليج في ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعاً يُقطع المسيح وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس"

إن هذا الكلام عن "أسابيع السنة" التي سيأتي بعدها المسيا بسيط جداً حتى أن الأطفال اليهود يفهمونه على الفور. ويُعنى بالأسبوع سبع سنوات. عند أي مرحلة إذن أعطيت الكلمة "لتجديد أورشليم وبنائها"؟ نقرأ في نحميا ٢: ١-٨ عن مرسوم

---

١٠١ ***Sidur ha-shalem, Shaharith lahol and minha leshabat.***

"الملـك أرتحشسـتا". فقد فوّض أرتحشستا لونجيمانوس (٤٦٥-٤٢٤ ق.م) عزرا الكاهن لإعادة بناء مدينة أورشليم في السنة السابعة لملكه، أي عام ٤٥٧ ق.م (عزرا ٧: ٧-٨ و ١١-٢٦). ويتفق معظم النقاد على هذا العام تقريباً.

تـتحدث النـبوة أولاً عن سبعة أسابيع السنة التي سوف يعاد بناء الهيكل فـيها، كما أن سفري عزرا ونحميا يصفان حقاً مرحلة البناء هذه المكونة من تسـع وأربعيـن سنة "في وسط أزمنة مريعة". وبعد ذلك هناك اثنان وستون أسبوعاً أخرى حتى مجيء المسيا. ٦٢ x ٧ = ٤٣٤ عام. إذن فالوقت إجمالاً مـن إصـدار مرسـوم أرتحشستا إلى مجيء المسيا هو ٤٩ + ٤٣٤ = ٤٨٣ عامـاً. يحلـل بعض الكُتّاب نبوة دانيال وهم يحصون السنوات الكبيسة وحتى الأيـام، لكـن مهما بدأنا بأي نظرية، يجب الاعتراف بأن النبوة تلائم الأحداث المحـيطة بيسوع. فبحساب بسيط ٤٨٣ ٤٥٧ = ٢٦، كما أن إجماع الآراء العام يتفق على هذا العام تقريباً باعتباره العام الذي بدأ فيه يسوع خدمته العلنية بعد حصوله على معمودية يوحنا.

تظهـر مخطوطـات البحر الميت أنه قبل زمان يسوع بوقت قصير كان هـناك اشـتياق مسـياني يجتاح الأرض بأكملها، وهي حقيقة يشهد لها أيضاً الإصـحاح الثانـي من إنجيل لوقا. فقد كان كلٍ من سمعان التقي المسن وحنة النبـية الـبالغة مـن العمر أربعة وثمانين عاماً ينتميان إلى هؤلاء الذين كانوا ينتظرون في الهيكل "تعزية إسرائيل" و"فداء أورشليم". كما أننا نقرأ في رسالة غلاطية أن الله قد أرسل ابنه إلى العالم "في ملء الزمان" (غلاطية ٤: ٤-٥).

ومـاذا كان دور المسيا الرئيسي وفقاً لدانيال؟ *تستخدم النبوة ثلاث مرات كلمة "يمسح"، وهي التي تشتق منها كلمة "المسيا": قدوس القدوسين سوف يكون "ممسوحاً"، "المسيح الرئيس" سوف يجيء، وسوف يُقطع "المسيح"*. وبالرغم من ذلـك فهـو سيأتي "لتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي". وهكذا فـإن تحقـيق النـبوة يتثبـت "بختم". كما أن فكرة "القطع" المستخدمة لتدمير "المسـيح" أو "المسـيا" هي الكلمة المستخدمة في كل من العبرية والعربية من أجـل قطع عهد. فإن المسيا سوف يقدم عهداً جديداً عن طريق موته الكفاري. كان ذلك هو القصد الرئيسي من مجيء المسيح الأول.

إن رمبم، الحبر موسى بن ميمون، المعروف "بميمونيدس"، وهو أكثر المفسرين اليهود قبولاً، قد كتب لأصدقائه نفس النوع من الرسائل المشجعة التي كتبها الرسول بولس. وهو يقول في رسالته IGERET TEIMAN ذلك عن موضوعنا:

"لكن دانيال أوضح لنا أعماق المعرفة الخاصة بالأزمنة الأخيرة. ومع ذلك، حيث أنها سرية، فقد شطب الحكماء، تتبارك ذكراهم، حساب أيام مجيء المسيا حتى لا يضل عامة الناس غير المتعلمين عندما يرون أن الأزمنة الأخيرة قد جاءت بالفعل لكن ليس هناك أثر للمسيا. لهذا السبب حكم الحكماء، تتبارك ذكراهم بأنه: ملعون من يحسب الأزمنة الأخيرة .. لكن ليس باستطاعتنا أن نؤكد أن دانيال كان مخطئاً في حسابه .."[١٠٣]

وفي كتيبه "قوانين وحروب المسيا الملك" يقدم رمبم وصفاً مفصلاً للتوقع المسياني في القرون الوسطى ويعرض مبدأه العام الراسخ:

"ليس باستطاعتنا أن نعرف، في كل هذه المسائل وما يشابهها، كيف ستتحقق حيث أنها محجوبة حتى عن الأنبياء. إن معلمينا ليس لديهم معتقدات خاصة بشأن هذه الأمور، لكنهم يتبعون ببساطة الميل الخاص لعدة آيات الذي لا يقدم تعليماً موحداً. على أية حال، فإن الأمر الرئيسي هو عدم التصريح بأية ادعاءات بشأن دقة ترتيب هذه المسائل العقائدية .. حيث أن ذلك لا يقود إلى مخافة الله أو المحبة. دعونا إذن لا نفكر في الأزمنة الأخيرة. فإن الحكماء يقولون: "ملعون هؤلاء الذين يتنبأون بالأزمنة الأخيرة"[١٠٤]

ومع ذلك، فعلى الرغم من هذه التحذيرات، بإمكاننا أن نجد عشرات التنبوءات عن عام مجيء المسيا في الأدب اليهودي. بل أن رمبم نفسه كان

---

١٠٣ *Igeret Teiman*, chap. ٣ p٢٤.

١٠٤ RaMBaM, *Hilchot ha-Melachim*, chaps. ١١ and ١٢.

مخطـئاً فـي كتيـبه IGERET TEIMAN بسـبب تحديده "لعام الخلاص" باعتباره ١٢١٢، لكنه لحسن حظه مات قبل هذا الوقت.

إن الحبر يهوذا، وهو جامع المادة الرئيسية للتلمود، الذي كُرِّم بشكل عام لهذا السبب بإعطائه لقب "الحبر" ببساطة، كما لو لم يكن هناك شخصاً يستحق أن يُقـارن بـه، يقول عن الأزمنة التي تشير إليها نبوة دانيال أن *"هذه الأزمنة مرت منذ وقت طويل"*[١٠٥]

إن هاتيـن الوجهتيـن من النظر الاستثنائيتين بشكل متبادل وهما من ناحية أن زمن مجيء المسيا قد مر إلا أنه يُنتظر من يوم إلى آخر تتواجدان جنباً إلى جنب في تناغم ملحوظ. وهناك مقاطع في التلمود تؤكد على المفاجئة الـتامة للظهـور المسـياني: *"ثلاثـة [أشياء] تأتي بدون تحذير: المسيا، الكنز المخفـي، والعقـرب"*[١٠٦]. وقد قال بعض العلماء، على مثال الحبر هيليل: *"لن يكون هناك مسيا لإسرائيل، لأنهم سبق وتمتعوا به في أيام حزقيا"*[١٠٧]. كما أنه وفقـاً للـبعض *لن تحظى إسرائيل بملك من بيت داود "حتى يقوم الموتى مرة أخـرى ويجيء المسيا ابن داود"*[١٠٨]. *"لكن لو تمكنت إسرائيل من حفظ وصايا السـبت لمـدة سبتين، فإنهم سوف يخلصون على الفور"*[١٠٩]. *إلا أن العلماء قد رأوا وراء كـل هذه الهمهمة والمراوغة، تقليد إيليا الذي يجب أن يأتي المسيا وفقـاً له بعـد الألفي عام من سيادة الناموس، "لكن بسبب خطايانا التي كانت عظـيمة انقلبت الأمور على ما هي عليه"*[١١٠]. وحتى في الصلاة الشهيرة ليوم الكفـارة العظـيم الذي سندرسه عندما نلقي نظرة على المسيا المتألم، نجد هذه

---

١٠٥ *Sanhedrin* ٩٨b. and ٩٧a.
١٠٦ *Sanhedrin* ٩٧a.
١٠٧ *Sanhedrin* ٩٩a.
١٠٨ *Sutta* ٤٨b.
١٠٩ *Shabbath* ١٠٨b.
١١٠ *Sanhedrin* ٩٧a.

الكلمـــات "إن المســـيا، برنا، قد ابتعد عنا؛ لذلك فإننا مهتزون للغاية كما أننا لا نعرف أين يمكننا أن نجد شخصاً ليفدينا .."[١١١]

هـــناك بحـــث مطـــول فـــي التلمود عن مجيء المسيا يبدأ بتأكيد "الحبر" أن "هذه الأزمـــنة قـــد مرت منذ وقت طويل". لكن لب المشكلة يكمن فيما إذا كان ظهور المسيا يعـــتمد على التوبة أو حفظ السبت. وأخيراً يشير أحد الحكماء إلى كلمات إشعياء ٤٩: ٧ : ".. فيســـجدون . لأجل الرب الذي هو أمين وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك". *لقد لاذ الحـــبر ألـــيعازر بالصمت لأن "ذلك يعني أن الخلاص سوف يأتي على أية حال حتى بـــدون توبـــة"*[١١٢]. بل أن الأحبار قد فهموا هذا النص، الذي يتبعه بحث عن عبد الرب باعتباره "عهداً للشعب"، مسيانياً.

وقـــد كـــان دمار الهيكل وتشتيت اليهود بالنسبة للحكماء نكسة لمعتقداتهم القومية، حيث أن المسيا كان يتعين أن يكون قد جاء أثناء زمان الهيكل الثاني. فـــإن حجي ٢: ٩ يعد بأن: "مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول" (الترجمة وفقاً للغة العبرية). كذلك يقول ملاخي ٣: ١: "ويأتي بغتة إلى هيكله الســـيد الـــذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرون به". يقول ديفيد كيمهي، "إن السيد، ملاك العهد، هو المسيا". كما أن زكريا ١١: ١٣ يفترض وجود الهيكل عـــندما يتحدث عن الثلاثين من الفضة التي أُلقيت في "بيت الرب" والتي يُشار إلـــيها باعتبارها مرتبطة بيهوذا الإسخاريوتي. كذلك، فإن مزمور ١١٨: ٢٦، وهو وفقاً للأحبار، النشيد الذي سيُنشد للمسيا عندما يجيء، يقول: "باركناكم من بيت الرب". *لابد إذن أن يكون المسيا قد جاء قبل خراب الهيكل الثانـي.*

ومـــع ذلك فإن الكتاب المقدس يضع حداً أقصى آخر لزمن مجيء المسيا لا يخطـــر للذهـــن عادة. فإننا نقرأ في بركة يعقوب أن القضيب لن يزول من

---

١١١ *Mahzor le Yom Kippur.*
١١٢ *Sanhedrin* ٩٧b.

يهوذا "حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع الشعوب". وهذا يعني أن سبط يهوذا يجب أن يحتفظ بهويته حتى يظهر منه المسيا الذي سيكون "عهداً للشعب". ويظهر لنا سفر عزرا (١: ٥-٨) أن يهوذا وحتى مستشاره القانوني أثناء المنفى قد حفظوا الوعي بجذورهم طوال السبعين عاماً من السبي. لقد حفظ اليهود أنسابهم إلى زمن يسوع، ولم يفقدوها سوى عند خراب الهيكل. وعندما فتح الرومان الأرض كان لا يزال للمجمع العظيم أو السنهدريم الحق في إصدار الحكم بالإعدام لجريمة القتل. وفي طفولة يسوع المبكرة عام ٦ م، خُلع الملك أرخيلاوس جزاءاً لقسوته ومؤامراته. كما أن المؤرخ يوسيفوس يخبرنا أن هناك أسينيناً يُدعى سمعان قد تنبأ بأن هذا الحاكم الذي كان يهودياً اسمياً فقط، كان سيُطرد في العام العاشر من حكمه، وهذا هو ما حدث فعلياً. فقد أُجبر على الهروب إلى إقليم الغول، كما أن كيرينيوس المذكور في بداية إنجيل لوقا قد باع ممتلكاته باعتبارها مخزوناً إمبراطورياً[١١٣]. وهكذا عُين كوبونيوس حاكماً ليهوذا وفقد السنهدريم معظم سلطته.

كان ذلك هو ما يشير إليه يوحنا ١٨: ٣١ عندما أُخبر بيلاطوس: "لا يجوز لنا أن نقتل أحداً". كان تحديد الحكم الذاتي للأمة وحقوق إصدار الحكم محنة مفجعة. يقول الحبر رحمون:

"عندما اكتشف أعضاء السنهدريم أن حقوق الحياة والموت قد انتُزعت من أيديهم استولى عليهم ذعر عام. فغطوا رؤوسهم بالرماد وأجسادهم بالأسمال صائحين، "الويل لنا! لقد أُخذ منا قضيب يهوذا كما أن المسيا لم يأتِ بعد"."[١١٤]

---

[١١٣] Josephus, *Antiquities*, XVII, ١٣.
[١١٤] مثلاً. فريد، جون ميلدو، *المسيا في كلا العهدين*، دنفر ١٩٥٦، ص ٣٠.

فـــي ضوء ذلك نرى أن تخمين الأحبار بشأن المجيء الأول للمسيا غير منطقـــي علـــى الإطلاق إذ لابد أنه قد جاء بالفعل. لقد رأى الحبر رحمون الحدود القصوى لزمن الكتاب المقدس.

خراب أورشليم والهيكل كعلامة على مجيء المسيا

يخـــبرنا الإصـــحاح التاسع من نبوة دانيال أنه عندما يُقدم المسيا للموت، فإن "شـــعب رئـــيس آت يخـــرب المديـــنة والقدس". يقول يوسيفوس أن ذلك يشير إلى الرومان. علاوة على ذلك، فإن المؤرخ يستفيض في شرح هذه النبوة في فصلين: "لقـــد تنـــبأ دانيال وكتب عن كل ذلك منذ عدة سنوات. كذلك يمكننا أن نقرأ بالمـــثل فـــي كتاباته بشأن الطريقة التي أصبح بها شعبنا تحت نير العبودية الرومانية وكيف دمر الرومان أمتنا. لقد ترك دانيال كل هذه الكتابات بأمر من الله وذلك ليقدم لقراء ودارسي التاريخ برهاناً للشرف العظيم الذي منحه الله إيـــاه وأيضـــاً ليقنع المتشككين الذين يشككون في كل احتمالية للإرشاد من الحياة، وأن الله لا يزال يهتم بمجرى التاريخ"[١١٥].

كان خراب الهيكل يعني بصفة خاصة انقطاع الذبائح. وقد تنبأ النبي هوشع بذلك: "لأن بني إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس .. بعد ذلك يعود بـــنو إســـرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام" (٣: ٤ ٥).

ولو أنه، قبل ذلك، سوف تتحقق نبوة زكريا: "وأزيل إثم تلك الأرض في يوم واحد" (٣: ٩). لكن هل هناك أية تلميحات في الأدب اليهودي عن أن الذبائح سوف تفقد فعاليتها؟

---

[١١٥] Josephus, *Antiquities*, X. ١٠ and ١١.

نعـــم هناك في الحقيقة! إذ يتحدث كل من سنهدريم المشنا Mishna Sanhedrin والأفودا زارا Avoda Zara عن أن الذبائح فقدت قوتها قبل خـــراب الهيكل بأربعين عاماً وأن أبواب قدس الأقداس قد انفتحت من تلقاء ذاتها. كذلك يقول تلمود ماسيخيت يوما Masekhet Yoma:

"قبل أربعين عاماً من خراب القدس .. انطفأ مصباحه الغربي وانفتحت أبواب القدس من تلقاء ذاتها. عندئذ وبخها الحبر يوحانان بن زكاي (الذي مات عام ٩٠م) قـــائلاً، "يا هيكل، أيها الهيكل، لماذا تحزن هكذا؟ إنني أعرف هذا عنك أنـــك سوف تُدمر. لقد تنبأ زكريا النبي يرغم كل شيء عنك؛ افتح أبوابك يا لبـــنان فتأكل النار أرزك (١١: ١). وقد قال الحبر يشتاق بن طابلاي، "لذلك دُعي اسمه لبنان، لأنه يبيّض آثام إسرائيل""١١٦.

إن هذا الاسم الغامض "البـنان" المستخدم للهيكل مشتق من الأصل laban أو "أبيض".

يكتب العالم اليهودي المشهور يعقوب نوسنر في كتابه عن يوحانان بن زكـــاي أن الأحداث التي يشير إليها كانت نتيجة للفساد الأخلاقي العام وكانت إنذاراً بالكارثة القادمة. وهو يضيف في وصف هذه الأحداث:

"لقد سجل يوسيفوس طالعاً مشابهاً بشأن البوابة النحاسية الشرقية الضخمة لفـــناء الهـــيكل الداخلي. فبالرغم من أن تلك البوابة كانت مغلقة بمزلاج حديدي بإحكام، إلا أنها انفتحت من تلقاء ذاتها في منتصف الليل. فركض حارس الهيكل ونقل الخبر للقائد، فحضر ونجح بصعوبة في غلقها"١١٧.

يعـــتقد نوسنر أن رواية يوسيفوس قد أثرت على يوحانان بن زكاي الذي حاول عندئذ من ناحيته أن يقدم شرحاً للأحبار. ومع ذلك، فإن يوسيفوس لم يبدأ بالكتابة عن الحروب اليهودية حتى عام ٧٧ م، مما يجعل الاعتقاد بالأحرى بعيد الاحتمال بأنه أثر في فكر يوحانان بن زكاي لكن العكس هو أكثر احتمالاً. من

---

١١٦ *Yoma* ٣٩b.

١١٧ يعقوب نوسنر، *يهودية القرن الأول في أزمة*، ص٧٣-٧٥ كذلك انظر يوسيفوس، *الحروب اليهودية*، VI؛ ٥، ٣.

ناحية أخرى، فإن هذا التقليد الخاص بتغيير طبيعة الذبيحة، الذي توقف تبعاً له تحويل "القماش الوضاء" من اللون الأحمر إلى الأبيض، وهو أمر يشير إليه التلمود في ثلاثة مواضع منفصلة، هو مفصل للغاية على أن يكون قد جاء بفعل تأثير يوسيفوس. يذكر راشي أن هذه الأحداث البارزة كانت إظهارات للشكينة، أي حضور الله، وكان الأمر وكأن الروح القدس يغادر الهيكل[١١٨].

توجد الخلفية الحقيقية لهذه المعجزة التي يتحدث عنها يوسيفوس والتلمود في العهد الجديد. إذ يقول متى، ومرقس، ولوقا أن "حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل" في لحظة موت يسوع[١١٩]. كما تشير الرسالة إلى العبرانيين ثلاث مرات إلى نفس الحدث وهي تقدم له تفسيراً روحياً[١٢٠]. فإننا لدينا الآن مرساة مؤتمنة وثابتة للرجاء "تدخل إلى ما داخل الحجاب"؛ وقد دخل يسوع بالنيابة عنا "مرة واحدة إلى الأقداس"؛ وبهذا فإننا "لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس"، الذي هو "طريقاً حديثاً حياً" مفتوحاً لنا. وبحسب كلمات سفر دانيال، فإن الخطية الآن قد "تممت"، وكُفر عن الإثم وأتى البر الأبدي.

وحيث أننا نعلم أن تيطس قد استولى على أورشليم ودمر الهيكل عام ٧٠ م يمكننا إذن أن نفهم أنه عندما يتحدث التلمود عن الأحداث التي وقعت قبل ذلك بأربعين عام فإنه يشير إلى عام ٣٠ الذي اشتهر عموماً بكونه عام موت يسوع.

لقد ناقشنا زمن مجيء المسيا الأول في سياق أسفار موسى الخمسة، حيث أن الإنجيل البدئي، وبركة يعقوب، ورؤية بلعام في كتابات الأحبار القديمة تتضمن إشارات إليه. وفي قرابتها لتلك تأتي نبوة دانيال دائماً في المقدمة. تتحدث الرؤية المسيانية لأسفار موسى الخمسة عن زمن بعيد في الأيام الأخيرة بالرغم من أنها يجب أن تتحقق عندما يكون لا يزال ممكناً إثبات أن المسيا من سبط يهوذا. *فعند الزمن الذي يتم فيه تدمير مدينة أورشليم والهيكل الثاني، لابد أن يكون المسيا قد جاء بالفعل.*

[١١٨] انظر تفسير التلمود في *Shabbath* ٢٢b and *Minhoth* ٨٦b.
[١١٩] متى ٢٧: ٥١، مرقس ١٥: ٣٨ ولوقا ٢٣: ٤٥.
[١٢٠] عبرانيين ٦: ١٩، ٩: ١٢ و١٠: ١٩.

الفصل الرابع

المسيا في المزامير

تحظـــى المزامير بأهمية خاصة باعتبارها براهين مسيانية في وعظ كلا من يسوع والتلاميذ الأوائل. إذ يخبرنا لوقا ٢٤: ٤٤ عن قول يسوع لتلاميذه بعد القيامة:

"هـــذا هـــو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير".

ولـــو أننا فحصنا بشكل إحصائي أهمية المزامير بالنسبة لكتاب العهد الجديد فسوف نـــندهش. هناك قائمة "للمقاطع ذات الكتابة الغامقة هي اقتباسات مباشرة من العهد القديم" فـــي تـــرجمة Nestle للعهد الجديد اليوناني. تظهر هذه القائمة أن العهد الجديد يستعير ٢٢٤ مقطـــع منفصل من ١٠٣ مزموراً مختلفاً، وبالإضافة إلى أن نفس المقاطع تظهر فـــي مواضع مختلفة فإن ذلك يعطي إجمالاً ٢٨٠ اقتباساً من المزامير في العهد الجديد. تعالج ٥٠ منها تقريباً الآلام، والقيامة، وصعود المسيح، وانتشار الإنجيل إلى جميع الأمم. أما باقي الاقتباسات فأكثرها تعليمي أو ذو طبيعة معزية.

عـــلاوة علـــى ذلك، لو أننا فحصنا علاقة الحكماء اليهود مع المزامير لكونها تعكـــس الفكـــرة المسيانية فسوف نرى أنهم في الواقع يقرعون الرجاء المسياني في المزامـــير أكـــثر ممـــا يفعل المسيحيون. يرتبط هذا التطلع بالملك داود. لقد كرس الكاتـــب البارز جوزيف كلوسنر خمس صفحات فقط من كتابه "الفكرة المسيانية في إسرائيل" للمزامير. وهو يقول عن خلفيتها:

"لـــيس هناك سفر آخر في الكتاب المقدس تختلف المعلومات الخاصة بشأن زمان كتابته وتركيب أجزائه المختلفة عن بعضها على نحو واسع كما في سفر المزامير". "في حيـــن نظر النقاد الأوائل إلى السفر باعتباره في مجمله أثراً أدبياً لداود ملك إسرائيل، فإن معظم النقد الأكثر حداثة لا يرون أي مزمور من المزامير يسبق عهد السبي البابلي".

يذكر كلوسنر أن الفكرة المسيانية في حد ذاتها ليست هي الموضوع الرئيسي، بل بالأحرى "الدافع المسياني". لذلك "إذا فُهم كل مزمور من المزامير بمعناه الواسع، فسوف نجده مملوءاً من بدايته وحتى نهايته بصبغة التوقع المسياني". كما يعتقد كلوسنر أن المزامير لا تتحدث كثيراً عن مسيا شخصي بل عن "تعزية صهيون وجمع اليهود من شتاتهم"[١].

ينبع موقف كلوسنر، الشائع جداً فيما بين اليهود، من حقيقة أنه ينتمي إلى أهاد هاآم Ahad ha-Am وهم أتباع آشير جينسبرج أبي الصهيونية النبوية. وقد كانت هذه الجماعة تنتظر فجر عصر ما من العصور الاشتراكية الذهبية – بل أن الشيوعية كذلك يمكن أن تكون قد تأسست على الفكرة المسيانية. فهناك الافتراض التالي في التلمود:

"إن قال لك أحد "اشترِ لك هذا الحقل بدينار" وكانت قيمته ألف دينار .. فلا تشتريه"،

وذلك لأنه قد يأتي المسيا في ذلك العام، وعندئذ تُوزع الحقول دون تكلفة[٢]. لذلك ربما لا يكون من قبيل المصادفة أن ينصّب ماركس اليهودي المولد، ولاسال، وتروتسكي أنفسهم أنبياء الشيوعية في المراحل الأولى لنشأتها – فمن السهل أن يولِّد الرجاء المسياني بدون شخصية المسيا جبهات تحرير شعبية.

ينسب التقليد ٧٣ ضمن المزامير المائة وخمسين إلى الملك داود. كما يُشار إلى المسيا باستمرار في أدب الأحبار باعتباره "ابن داود". لهذا السبب، رأى الحكماء في كل المواضع التي توصف فيها البركة المستقبلية لبيت داود مادة مسيانية. بل أن السر العرسي في مزمور ٤٥ يُرى أيضاً من منظور يهودي باعتباره تعبيراً عن العلاقة بين المسيا وإسرائيل. فعندما يقول هذا المزمور "متكلم أنا بإنشائي للملك" أو "من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد"، فإن الأحبار يرون المسيا. لكن العهد الجديد كذلك يستخدم تعبيرات مرتبطة بالعرس في وصف العلاقة بين المسيح والكنيسة[٣].

ويجد اليهود مادة مسيانية في "مزامير المراثي"، التي يعاني فيها إنسان الله البريء والتقي من كراهية الناس. ليست المسألة هنا مجرد صورة مسيانية بل أن إسرائيل ذاتها بمجملها تساهم في "المخاض المسياني"، tsirei أو hevlei ha-Mashiah. وهكذا

---

[١] **Joseph Klausner, *Ha-Ra ayon ha-Meshihi*, pp٨٧-٨٨ and ١٣٥-١٣٦**

[٢] أفادو زارا ٩أ بحسب تفسير راشي.

[٣] انظر على سبيل المثال يوحنا ٣: ٢٩. متى إصحاحات ٢٢ و٢٥، ٢ كورنثوس ١١: ٢ ورؤيا ١٩: ٧.

تصبح هذه "الآلام من أجل الملكوت" أو yisurei ha-Malkhut نصيباً لكل شخص أخذ على عاتقه نير ملكوت الله.

إن الكلمـــة العبرية "لمزامير" هي tehillim وتعني "أناشيد الحمد". إلا أن المزامير تتضـــمن أيضاً كثير من "الصلوات"، tephilloth، و"تراتيل" مباشرة، mizmorim. لا عجـــب إذن أن تُدعـــى المزامـــير "سفر الترتيل الخاص بيسوع" وأنها تشكل إلى اليوم الأساس لليتورجية وكتاب الصلاة اليهوديين.

٢ الذي لدى المزامير لتقوله عن المسيح

قبل النظر بالتفصيل فعلياً على المزامير ذاتها، يجدر بنا تعديد رسالتها الأساسية في العهد الجديد. وعند مناقشة موضوعنا، يجب أن يُفهم لفظ "المسيا" باعتباره يعني المخلص الـــذي يتوقعه شعب إسرائيل. إلا أننا عندما نتحدث عن "المسيح"، فإننا نعني دائماً فادينا المقام يسوع المسيح.

إن العهـــد الجديد يشرح فعلياً تاريخ الخلاص بأكمله على ضوء سفر المزامير. فقد كـــان المسيح محتقراً، مزمور ٢٢: ٦، ٦٩: ١٩-٢٢؛ ومرفوضاً، مزمور ١١٨: ٢٢؛ وكـــانوا يهزءون به، مزمور ٢٢: ٧-٨، ٨٩: ٥١-٥٢؛ وقد جُلد، مزمور ١٢٩: ٣؛ وتعرض للسخرية، مزمور ٦٩: ٨، ٢٠؛ وعُلق على صليب، مزمور ٢٢: ١-٢، ١٤-١٧؛ وعطـــش، مزمور ٢٢: ١٦؛ وقُدم له خلاً ممزوجاً بمر على الصليب، مزمور ٦٩: ٢٠-٢٢؛ وأُلقيت قرعة على لباسه، مزمور ٢٢: ١٨-١٩؛ وواحدة من عظامه لم تتكســـر، مـــزمور ٣٤: ٢١؛ وقـــام من بين الأموات، مزمور ١٦: ١٠؛ وصعد إلى الســـماوات، مزمور ٦٨: ١٩؛ وهو يجلس عن يمين الله، مزمور ١١٠: ١ و٨٠: ١٧؛ وهـــو رئيس كهنة، مزمور ١١٠: ٤؛ وهو سيدين الأمم، مزمور ٨٩: ٣-٥؛ وملكوته أبدي، مزمور ٨٩: ٣٥-٣٧؛ وهو ابن الله، مزمور ٢: ٧؛ وقد تكلم بأمثال، مزمور ٧٨: ٢؛ وهدّأ العاصفة، مزمور ٨٩: ١٠؛ وأنشد الناس له أوصنا، مزمور ١١٨: ٢٥-٢٦؛ وهو مبارك إلى الأبد، مزمور ٤٥: ١-٤، ٨، ١٨؛ وسيأتي في مجده في الأيام الأخيرة، مزمور ١٠٢: ١٦-٢٣.

إن نـــبوات الكـــتاب المقدس عن المسيح تشبه لعبة البازل. فإن صورة الفادي المـــتألم تتبيـــن تدريجـــياً عندما توضع القطع الفردية معاً. إذ إن تلك المقاطع من

المزامــير التــي ذكــرناها تواً تكمل الصورة التي رسمتها أسفار موسى الخمسة والأنبياء. لا يجب أن نندهش إذن من أن يحاضر لوثر مبكراً في عام ١٥١٣ – أي في بداية مشواره – عن المزامير التي وجد فيها توكيداً على بر ونعمة الله. لقد وجد فــي المزامــير فكره المتمركز حول المسيح جاهزاً. وهو يفضي بسر في مقدماته التمهــيدية لتعليقه على غلاطية فيما بعد: "إن هذه العقيدة – الإيمان بالمسيح – تأسر قلبي، فمنها وبواسطتها وإليها تتبع كل أفكاري اللاهوتية وتعود ليلاً ونهاراً".

اليهود يرون المسيا في المزامير

فــي نفــس الســياقات تقريباً التي يراه فيها المسيحيون. لكن حيث أنهم يتواصــلون بــنفس اللغــة الخاصة بالمزامير فإنهم يجدون فيها إشارات سرية يطــبقونها بعدئــذ على تصورهم الخاص بالمسيا. لكن قبل أن ننظر بالتفصيل علــى المزامــير يجــدر بــنا أن نجمع بضعة أمثلة عن الطريقة التي فهم بها الحكماء توقعهم المسياني الخاص.

أ) لا يُعتبر مزمور ٢١ عادةً مسيانياً في الدوائر المسيحية. أما المدراش، مــن ناحــية أخــرى، فإنه يرى المسيا الملك في الآيات الأولى والرابعة منه؛ ويُلحــق راشي نفس التفسير بالآية ٧، كما يلحقه الترجوم بالآية ٨. نحن نقتبس هنا الآيات التي يرتبط بها هذا التوقع المسياني:

"يــا رب بقوتــك يفرح الملك .. لأنك تتقدمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجاً من إبريز. حياة سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدهر والأبد. عظيم مجــده بخلاصك جلالاً وبهاءً تضع عليه. لأنك جعلته بركات إلى الأبد. تفرحه ابتهاجاً أمامك. لأن الملك يتوكل على الرب. وبنعمة العلي لا يتزعزع".

يقول المدراش على المزامير عن هذا الملك:

"هــذا هــو المسيا، ابن داود، الذي خُبأ حتى الأيام الأخيرة. ويقول الحبر تانهومــا، "ســوف يأتي المسيا الملك فقط ليعطي العالم ست وصايا، مثل عيد المظــال، و(اســتخدام) سعف النخيل، والتمائم، لكن كل إسرائيل سوف تتعلم التوراة .. ولماذا يكون الأمر كذلك؟ لأن الأمميين سيفتشون عنه"".

ثم يسأل المدراش بعد ذلك:

"من هو هذا الملك؟ .. إن الله لن يتوج ملكاً من لحم ودم، لكن القدوس تبارك اسمه سوف يعطي تاجه للمسيا الملك، لأنه قيل عنه، "وضعت على رأسه تاجاً من إبريــز". كمــا أن الله لن يُلبس ملكاً أرضياً رداءه الأرجواني الخاص، لكنه أعطاه بالحــري للمسيا الملك، لأنه قيل، "جلالاً وبهاءً تضع عليه" .. وسوف يدعو المسيا الملك باسمه، لأنه قيل، "وهذا ما تتسمى به: الرب برنا".

وحتى المدراش على سفر الخروج يتحدث عن نفس التاج عندما يقول:

"وأخذ موسى عصا الله في يده": إن الله لن يزين ملكاً أرضياً بتاجه، كما أن القدوس – تبارك اسمه – سوف يضع تاجه على رأس المسيا الملك"[٤].

كما يقول الترجوم بشأن الآية ٨ أن "المسيا الملك" يثق في الرب. إنه أمر ذا مغزى أن يكون الرداء الأرجواني والتاج جزءاً من لباس المسيا وفقاً للأحبار. إلا أن الحبر الشاب الذي من الناصرة قد أُعطى هذا الرداء وتاج من الأشواك للسخرية منه فقط.

ب) *يُلحق الأحبار بحثاً مجازياً جميلاً على حد سواء بالتأمل العرسي في* مزمور ٤٥. إذ يتفق أشهر المفسرين على أن هذا المزمور يتحدث عن *"المسيا الملك"*. ربما تكون نكهته المسيانية ظاهرة أكثر وضوحاً في الترجمة الأصلية عن الترجمات الإنجليزية، لذلك سوف نقدم إعادة من العبرية هنا للآيات التي تتعلق بهذا التوقع للخلاص الآتي:

"ترنيمة محبة: فاض قلبي بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد .. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك .. أذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد" (مزمور ٤٥: ٢-٣، ٧-٨، ١٨).

---

[٤] انظر مدراش شيموث مقطع ٨ Va-era والوصف المطابق من المدراش على سفر العدد. توجد المناقشة الأساسية في مدراش تيهيليم ٢١.

من الرائع أن نرى كيف يربط المدراش هذه الترنيمة لمديح الملك بأجزاء أخرى من رسالة العهد القديم. إذ يذكر المدراش على المزامير:

"وهكذا فإن هؤلاء الذين يؤمنون بالمسيا (حرفياً بالعبرية "الأبرار المنتمون إليه هو الذي سيأتي") سوف يمدحون يوماً ما مجد حضور الله ولن يتأذوا (من قداسته)، لأنه مكتوب: "أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد" (مزمور ١٦: ١١). وقد سأل الإسرائيليون .. "متى ستفدينا؟" فأجابهم: "عندما تعانون من أشد الضيق، عندئذ سوف أفديكم"، لأنه مكتوب: "ويجمع بنو يهوذا وبنو إسرائيل معاً ويجعلون لأنفسهم رأساً واحداً" (هوشع ١: ١١) .. قال "لأن أنفسنا منحنية إلى التراب" (مزمور ٤٤: ٢٦) .. كما تتفتح الزهرة وتفتح قلبها إلى أعلى، هكذا يصير معكم عندما تتوبون أمامي، سوف تتحول قلوبكم إلى أعلى مثل قلب الزهرة، وفي ذلك الوقت سوف آتي بالمسيا لكم، لأنه قيل: "أكون لإسرائيل كالندى" (هوشع ١٤: ٥).."

يستمر المدراش في وصف الكلمات "متكلم أنا بإنشائي للملك"، فيقول:

"إنها نبوة عن الآتي، كذلك تقول حنة أيضاً "الرب يميت ويحيي؛ هو يُنزل إلى القبر ويقيم". وبهذه الطريقة فإنهم سوف يُنزَلون حتى تطأ أرجلهم القبر، وسوف أقيمهم على الفور؛ لذلك يقال، "هو يُنزل إلى القبر ويقيم""[٥].

هناك صورة مماثلة في تلمود عن خلاص إسرائيل في الأيام الأخيرة من "ضيقهم العظيم".

ج) في أحيان كثيرة جداً، وبالنظر من منظور المزامير، نرى أقدم المصادر الخاصة بالأحبار سمات "فوق تاريخية" في المسيا. كمثال لهذا النوع من التفسير بوسعنا أن نذكر مزمور ٧٢. فكلا من الترجوم والمدراش يفهمان المزمور بأكمله مسيانياً. سوف نقدمه هنا في جوهره:

"اللهم أعط أحكامك للملك وبرك لابن الملك .. يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر .. لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس ويخلص

---

[٥] Sanhedrin ٩٧a.

أنفس الفقراء .. يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل الأمم الأرض يطوبونه" (مزمور ٧٢: ١، ٧-٨، ١٠-١٣، ١٧).

يظهر أسلوب العهد القديم "الترابطي" الذي تحدثنا عنه في بداية الكتاب بوضوح في شرح هذا المزمور.

إن الملك الذي ينجي الفقير والمسكين هو المسيا وفقاً للمدراش، "لأنه مكتوب: "ويخرج قضيب من جذع يسى، يقضي بالعدل للمساكين" (إشعياء ١١: ٤). ويقول المدراش أن المزمور بأكمله هو "تسبيحة للمسيا الملك". كما نقرأ في الترجمة العبرية للآية ١٧، "قدام الشمس يمتد اسمه *Yinnon*"، الذي يعني "لينبت" وهو أحد الأسماء الثماني التي تعني "قضيب"، كما في آية إشعياء. كذلك يفهم المدراش هذا الاسم باعتباره معيَّن للمسيا "قبل خلق العالم".

يشير راشي إلى مزمور ٧٢ في شرحه للآية ٢ من ميخا ٥، التي تقول عن متسلط إسرائيل الذي سيولد في بيت لحم أن "مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل". وهو وفقاً لراشي:

"المسيا، ابن داود، كما يقول مزمور ١١٨، إنه "الحجر الذي رفضه البناءون، ومخارجه منذ القديم، "لأنه قدام الشمس يمتد اسمه Yinnon".

أما الحبر ديفيد كيمهي، الذي وفقاً للحكماء "ما كان ليوجد تفسير كتابي صحيح بدونه" فيقول على غير توقع:

"سوف يُقال في الزمن المسياني أن "مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل"؛ "من بيت لحم" تعني أنه سيكون من بيت داود، لأنه توجد فترة زمنية طويلة بين داود والمسيا الملك؛ وهو إيل El (الله)، وبذلك فهو "منذ القديم منذ أيام الأزل"."[٦]

يخبرنا مزمور ٧٢ علاوة على ذلك أنه سوف تُقدم هدايا للمسيا، ويلتقط التلمود هذا التفسير قائلاً أن *"مصر ستقدم هدايا للمسيا"*[٧]. يظهر نفس السر في بركة يعقوب مرتبطاً باسم *شيلون*. يحتوي مزمور ٧٦: ١٢ على عبارة تشبه

---

[٦] يمكن إيجاد تفسيرات كل من راشي ورداك في تعليق *الميكراوث جيدولوث*.
[٧] *Pesahim* ١١٨b.

هذا الاسم، *shai lo*، أو "هدايا له": "ليقدموا هدية للمهوب". وبهذه الطريقة يبني التفسير الكتابي اليهودي جسوراً داخلية من مرجع مسياني خفي إلى آخر.

د) بالإضافة إلى هذه السمات "فوق التاريخية" كثيراً ما رأى الأحبار تلميحات خفية من الصعوبة أن يُقال أن الكتاب المقدس نفسه سمح بها، لكنها مع ذلك تمتلك منطقها الداخلي الخاص في العالم الفكري للحكماء. فهناك وعد في المزمور الطويل ٧٨: *"أفتح بمثل فمي. أذيع ألغازاً منذ القدم"*. كما تضع الآية ٤١ الآتي في اعتبارنا: *"رجعوا وجربوا الله وعنوا قدوس إسرائيل"*. تظهر هذه العبارة المحددة "قدوس إسرائيل" ١٥ مرة في إشعياء. فمثلاً يقول إشعياء في وصفه "لعهد النعمة" القادم:

"ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل *لأنه قد مجدك(بالعبرية)*" (إشعياء ٥٥: ٥).

يشرح الحبر ديفيد كيمهي، الذي يُعتبر ممثلاً للتفسير الكتابي "الصحيح"، هذه الآية وتلك التي في مزمور ٧٨ باعتبارها تشير إلى المسيا:

"أميلوا آذانكم؛ "إن الرحمة الموعودة لداود" تشير إلى المسيا، لأنه يُدعى داود .. سيكون معلماً للأمم كما قيل في بداية إشعياء (٢: ٤) "فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين".

إن لفظ "عنّوا" قدوس إسرائيل، hitvu، الذي يستخدمه المزمور يُستمد من كلمة tav التي تعني "علامة". كذلك يذكر المدراش أن "الضربات تركت علامات على الجسد"، بالضبط كما يتحدث حزقيال ٩: ٤ عن وضع "سمة" على جباه كل الذين يئنون ويتنهدون على إسرائيل. وبنفس الطريقة يرى راشي hitvu *باعتبارها تعني "رسم علامة"*.

هناك حبر مسيحي معين درس ما ذُكر بأعلى ثم أعطى حله الخاص لهذا "اللغز القديم". فقد أشار إلى *أن الحرف الأخير من الأبجدية العبرية، tav، كان مكتوباً على النقوش والأختام الحجرية القديمة على شكل صليب. وعن طريق فهم الآية بهذه الطريقة، نجدها أنها تشير إلى صلب "قدوس إسرائيل"*. يتحدث إشعياء عن عبد الرب الذي تلقى "علامات الضرب":

"بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق .. لا أخجل".

كما يذكر مزمور ١٢٩: ٣ بجلاء:

"على ظهري حرث الحراث. طوّلوا أتلامهم".

يقول المدراش عن ذلك بشكل مبهم:

"غداً، عندما تأتي الأزمنة الأخيرة، لن يقول القدوس – تبارك اسمه – لأمم العالم، "لقد صنعتم هذا وذاك بابني". لا، لكنه بالأحرى سيكسر النير ويقصِّر الأعنة على الفور، كما قيل: "وقطع قيود نيركم" (لاويين ٢٦: ١٣).

هل يجوز أن بولس كان في ذهنه أفكاراً مشابهة شديدة التعقيد عندما قال في ١ كورنثوس٢: ٦: "لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر"!

إن مثل هذه السمات المبهمة هي جزء من سر المسيح وهي كذلك بالنسبة للفكرة المسيانية اليهودية على وجه الخصوص.

لقد رأينا فيما سبق أنه حتى المزامير التي لا يعتبرها المسيحيون "مسيانية" قد تلمِّح في رأي العلماء اليهود إلى المخلص الآتي. من ناحية أخرى، فإن أولئك العلماء يتخذون رسالة العهد القديم بأكملها باعتبارها لوحة الألوان الخاصة بهم ويرسمون بها سمات المسيا المبهمة وفوق التاريخية. ومع ذلك، فإن التوقع المسياني اليهودي السائد يُرى أكثر ما يُرى في نفس المزامير التي يستند عليها المسيحيون بشكل تقليدي للغاية في توضيح جذور إيمانهم.

مزمور ٢ ومزمور ١١٠

لقد اعتُبر المزموران ٢ و١٠ منذ القديم زوجاً تقريباً. كما أن الرسالة إلى العبرانيين بشكل خاص تقتبس منهما جنباً إلى جنب[٨]، كذلك فإن أعمال الرسل اكتسب قوته من هذه المصادر[٩].

النغمة المسيانية في المزمور الثاني

---

[٨] عبرانيين ١: ٥ و١٣، ٥: ٥ و٦ أو ٧: ١٧، ٢١.
[٩] انظر مثلاً أعمال ١٣: ٣٣-٣٦، ٤٧.

إن موضوع المزمور الثاني يسير كما يلي:

"لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما .. أما أن فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. إني أخبر من جهة قضاء الرب. *قال لي أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك .. قبلوا الابن* لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق".

يهتم هذا المزمور "بالمسيح"، أي "المسيا" بالعبرية. ويُشار إليه مرتين باعتباره "الابن". وسوف تُعطى كل الأمم ميراثاً له. وسوف يُرحب به بقبلة مثل الملك أو المعلم – كما يشرّع التلمود بالضبط؛ فإنه عندما يقابل الطالب معلماً يجب عليه أن يقبّله على يده.

عندما نقرأ شرح المدراش للمزامير لا يمكننا سوى أن نتعجب من حجم الشرح الذي يستخرجه العلماء القدماء منها. على الرغم من هذا، فإن نفس الآيات المقتبسة في هذا السياق تُقبل بشكل عام باعتبارها إشارات مسيانية. *يتحدث المدراش أولاً عن "الآتي"، أي "المسيا الملك"، الذي سيسجد أمامه الجميع، كما قيل في إشعياء ٤٩: ٢٣ "بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك". هناك العديد من المقاطع في العهد القديم مرتبطة بعبارة "إني أخبر من جهة قضاء الرب" التي تحمل بالنسبة للمسيحيين على وجه الخصوص رسالة خاصة. ويعرضها المدراش كما يلي:*

"القضاء هو ذلك الخاص بالأنبياء، لأن إشعياء ٥٢: ١٣ يقول "هوذا عبدي يعقل ويتعالى ويرتقي" ويضيف إشعياء ٤٢: ١ "هوذا عبدي الذي أعضده"؛ وهو قضاء المزامير، حيث أن مزمور ١١٠: ١ يقول "قال الرب لربي اجلس عن يميني"، ويقول مزمور ٢: ٧ "قال لي أنت ابني"؛ كما أنه مكتوب في موضع آخر (دانيال ٧: ١٣)، "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى". لقد قال الرب "أنت ابني". الأقضية هي تلك الخاصة بالملك، ملك الملوك، أن ذلك سوف يُعمل للمسيا الملك .."

بعد ذلك يصرح المدراش أيضاً:

"يقول الحبر هونا: "تنقسم آلام العالم إلى ثلاث قرعات؛ وقد مُنحت القرعة الأولى إلى الآباء والأجيال المختلفة، والثانية إلى جيل الخراب، والثالثة إلى الجيل المسياني".

يقول المدراش أيضاً أن مزمور ٢ يتحدث عن سليمان، والملك آحاز، والمسيا:

"آحاز، لأن إشعياء ٧: ١١ يقول، "اطلب لنفسك آية من الرب إلهك"، والمسيا، لأنه مكتوب، "فأعطيك الأمم ميراثاً" .. كما أن مزمور ٢١: ٥ يقول، "حياة سألك فأعطيته"."

يمكن أن ينقسم التفسير اليهودي لمزمور ٢ تقليدياً إلى ثلاثة مجاري: أ) يشرح راشي "*لقد علمنا أحبارنا أن ذلك يختص بالمسيا الملك، ويمكن تطبيقه في تناغم مع هذا التفسير على داود نفسه* .. ب) يعتقد ابن عزرا أن المزمور يشير إلى "مسح داود ملكاً، *ولهذا السبب فإنه مكتوب؛ "أنا اليوم ولدتك"، فيما عدا ذلك فهو يختص بالمسيا* .." ج) أما الشروح الشعبية، مثل متسودات داود *Metsudat David*، فإنها تميل إلى تأكيد أن *الكلمات " أنت ابني" يُقصد بها الإشارة إلى إسرائيل*. وفي الحقيقة، فإنه منذ العصور الوسطى المبكرة يُشرح العبد المتألم في إشعياء ٥٣ باعتباره صورة توضيحية لضيق إسرائيل. إلا أن رمبم يوضح أن الأحبار ليس لديهم عموماً تفسير لاهوتي مشترك، لكنهم بالأحرى يتبعون "التوكيدات الخاصة للآيات الفردية، لهذا السبب فإن تعليمهم على هذه الأمور غير متماسك بعض الشيء".

إن أقوى برهان على الطبيعة المسيانية لهذين المزمورين يوجد في مقطع المدراش السابق باقتباساته الكتابية السبع، وجميعها مسيانية بشكل تقليدي. تكفي هذه الملاحظات في حد ذاتها كخلفية لتفسير مسيحي، لكن بدرجة أكبر لو أننا أضفنا إليها البحث التلمودي عن نفس الأشياء وإشارات أدب الزُهار الغامضة. هناك تعبير باللغة اللاتينية، non multa sed multum، لا ينبغي على الشخص وفقاً له أن يعرض "براهين متعددة كثيرة" بل بالأحرى "كمية محددة" من نفس الأمثلة النادرة. حكى أستاذ موسيقى في إحدى المرات قصة عن مُعلم مشهور عالمياً اشتغل مع تلميذه المفضل على نفس الأوبرا عاماً بعد عام. وفي النهاية سأل الشاب المايسترو، "إن زملائي لديهم بالفعل ذخيرة فنية من عدة أوبرات،

متى سأكون مستعداً للأداء؟" فاستمع المُعلم مرة أخرى للأوبرا المفضلة لديه وقال، "أنت مســتعد الآن! إن هذا العمل يحتوي على المادة لكل الموسيقى الأخرى". وقد أصبح هذا الشاب مشهوراً حقاً بين ليلة وضحاها. وسوف يفعل المسيحي حسناً بأن يعوِّد نفسه على مجال التوقع المسياني اليهودي الأقدم على أساس عدد صغير من الأمثلة التي يتم التعامل معها بشكل كلي.

إن الــتلمود أيضاً لديه شيئاً ليقوله عن الطبيعة المسيانية لمزمور ٢. فهو يشرح فيما يتعلق بكلمة "مسيحه" في الآية ٢:

"عــندما تكــون حرب جوج وماجوج على مرأى البصر سوف يُسألون، "لمــاذا أتيــتم؟" وســوف تكــون الإجابة: "لقد أتينا ضد الرب ومسيحه"، لأنه مكتوب: "لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل؟""[١٠].

كما أننا نقرأ في بحث آخر:

"لقــد قال الأحبار أن ذلك يعني المسيا، ابن داود، الذي سيأتي سريعاً في زماننا. سوف يقول القدوس له: "اسألني فأعطيك"، كما هو مكتوب، "إني أخبر مــن جهــة قضاء الرب". "أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك". وحيث أنه رأى المسيا، ابن يوسف، الذي قُتل .. لن أسألك شيئاً أكثر من الحياة .. لأنه مكتوب (مزمور ٢١: ٥)، "حياة سألك فأعطيته"."[١١]

مــن العجيب أن نرى أن التلمود يقتبس في هذا البحث مزمور ٢١ الذي ربــط الأحــبار بــه صورة *المسيا المتوج* واللابس رداءاً أرجوانياً *الذي كان ســيُجعل "بركات إلى الدهر والأبد"*. وهو يتعشّق هنا بالتأكيد مع التقليد الخاص بالمســيا، ابــن يوسف، الذي وفقاً له لاقى، افرايم، ابن يوسف هذا، موته أثناء محاولة قهر أرض كنعان قبل زمان موسى.

عــندما صــنع شعب إسرائيل سلاماً قبل بضعة سنوات مع مصر اقتبس بعض القادة القوميين كلمات الإصحاح ١٩ من إشعياء التي تذكر أنه في يوم ما ســتكون هــناك "سكة من مصر إلى أشور" وأنه "في ذلك اليوم يكون إسرائيل

---

[١٠] ***Avoda Zara* ٣b.**
[١١] ***Sukka* ٥٢a.**

ثلـثاً لمصر ولأشور بركة في الأرض". كما تقول بداية نفس الإصحاح "هوذا الـرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر". *يربط تقليد الزهار كلمات* *av qal*، *التـي تعنـي* حرفياً *"السحابة الخفيفة"*، مع *الآية ١٢* من مزمور ٢، *"قـبلوا الابن"*. كما أن القيمة العددية للكلمة الآرامية التي تعني "ابن"، أي *bar*، فـي *Gematria*، هـي ٢٠٢، وبنفس الطريقة فإن مجموع الحروف العبرية لكلمـة *av qal* يصل سوياً إلى ٢٠٢. إن هذه المقارنات لا تمتلك بالطبع أي قـيمة جوهـرية، لكـنها تساعد على تذكيرنا بتماسك الكتاب المقدس الداخلي. وعندما يصف الزهار هذا الابن، *bar*، فإنه يذيل الوصف بتصريح ثالوثي:

"أنت الراعي الصالح؛ قيل عنك، "قبّلوا الابن". أنت عظيم هنا بأسفل، معلم إسرائيل، رب الملائكة الخادمة، ابن العلي، ابن القدوس، يتبارك اسمه وروحه القدوس"[١٢].

عـند هـذه النقطة تجدر ملاحظة أن العلماء اليهود كانوا مدركين لطبيعة الوحي السماوي الخاصة. فحيث أن اسم إلوهيم *Elohim*، أي "الله"، هو فعلياً فـي صيغة الجمع منذ بداية الكتاب المقدس بينما نجد الفعل المصاحب له دائماً فـي صـيغة المفـرد، كانت هناك محاولات، وخاصة في تقليد الزهار القديم، لشرح "الأوجه" المختلفة لكينونة الله. *يستخدم الزهار خمس تعبيرات تشير إلى عقـيدة التثليـث: tlat rishin، أي "ثلاثـة رؤوس"؛ tlat ruhin، أي "ثلاثة أرواح"؛ tlat havayot، أي "ثلاثـة أشـكال للإعلان"؛ tlat shmehin، أي "ثلاثـة أسماء؛ وtlata gvanin، أي "ثلاثة ظلال للتفسير"*. تعبر هذه الكلمات الآرامية عن "كينونة" الله، بالضبط كما تُستخدم كلمة "الألوهية" في الإنجليزية.

يسأل الزهار:

"كـيف يمكـن لأولئك الثلاثة أن يكونوا واحداً؟ هل هم واحداً لمجرد أننا ندعوهم واحداً؟ أما كيف أنهم واحد فذلك ما لا يمكننا أن نعرفه سوى بتحريض الروح القدس وبعيون مغلقة عندئذ"[١٣].

---

[١٢] الزهار، الجزء الثالث، ص ٣٠٧، "طبعة أمستردام".
[١٣] *Ibid* II p٤٣.

يجـب أن يُشار إلى أن كلمة "الثالوث" لا تظهر حتى في العهد الجديد. بل أن عقـيدة "ثلاثة في واحد" هي قبل كل شيء "افتراض للمنطق العملي" وذلك بحسـب تعبـير الفيلسوف عمانوئيل كانط. كذلك فإن الزهار أيضاً يقوم بنوع مشابه من الاستدلال.

يشـير الزهار إلى هذه المشكلة عن إعلان الله عن نفسه باسم *razei de-Shlosha* أو *"سـر الرقم ثلاثة"*. فهم كما قال الأحبار مثل *"القشرة الخارجية لحقيقة داخلية"*. *وسوف يكشف المسيا يوماً ما عن هذا السر*:

"وهـذا هـو الـروح الذي سيطلع من الحكمة المخفية، وهو يُسمى روح الحـياة؛ وذلك الروح مستعد لأن يعطي هذه الحكمة في وقتها من خلال المسيا الملـك، حيـث أنـه مكتوب (إشعياء ١١: ٢): "ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم""[١٤].

نـرى من هذه الاقتباسات أن الزهار يشير إلى الابن المذكور في مزمور ٢ باعتـباره "ابن العلي" وابن "القدوس"، وأن هذا "الراعي" و"المعلم" الممسوح هـو أيضـاً "رب الملائكـة الخادمـة" – الذي يرتبط التوكيد عليه بالمسيا في الرسـالة إلـى العبرانيين وفي مخطوطات البحر الميت. كما أن المسيا سوف يكشـف فـي أحـد الأيام عن سر الثالوث. علاوة على ذلك، فإن الزهار يبني جسوراً بين هذا المزمور ونبوات إشعياء المسيانية على سبيل المثال.

لابـد أنني كنت أحفظ في ذهنيَ الطبيعة المسيانية لمزمور ٢ عندما زار الـبابا بولس السادس إسرائيل في بداية إبريل ١٩٦٤. فقد كان الناس يقفون في جماعـات على جانبي الطريق في انتظار لمجرد إلقاء نظرة خاطفة عليه، لكن تمت دعوة أساقفة المدينة إلى الكنيسة الكاثوليكية على جبل صهيون. وقد كنت راعياً ضمن هذه المجموعة المختارة وكنت أرتدي ثوبي الكنسي الفنلندي الذي يشـبه كثيراً ثياب الأسقف الكاثوليكي، وقد وقفنا ننتظر دورنا لتحية البابا عند المذبـح الأمامي للكنيسة. وعندما ركع أحد زملائي اليهود المسيحيين أمام هذا المشـرف الأكـبر بدأت أتساءل كيف يجب أن يتصرف الراعي اللوثري وفقاً

---

[١٤] *Ibid* III p٢٨٩.

للقواعد في مثل هذا الموقف. ثم تذكرت كلمات مزمور ٢: "قبِّلوا الابن!" وذلك يعني المسيح! كنت قد تعلمت في البيت كصبي أنه عند تعريفي بأحد الأشخاص يجب عليَّ أن أثني ركبتي معاً وأصافحه بقوة، وهكذا بينما كان الآخرون يقبِّلون خاتم البابا أخذت أقرر ما سوف أقوم به. وعندما مد شخص البابا المقدس الواهن يده أمسكت بها وانحنيت وضغطت عليها بقوة – ومن المحتمل أن أكون قد بخست من قدر القوة التي تعاملت بها. فقد تغضنت الأصابع المقدسة في يدي ورأيت شيئاً ليس مغايراً لتعبير وميض عبد الرب المتألم في عيني البابا. فقد تأمل للحظة هذا الممثل للفايكنك الشماليين وبدا وكأنه يقول لنفسه، "لا يمكن أن يكون ذاك واحداً من أساقفتنا. ثم تلقى المساعد الذي على جانبه أمراً باللغة الإيطالية كي يقدم لي وساماً تذكارياً، وهو عبارة عن عملة نحاسية كبيرة لا زالت باقية على مكتبي تشهد لي بأنني حصلت بذلك على غفران لجميع خطاياي سواء الماضية أو الآتية. لو كان الفهم الكاثوليكي القروسطي يستحق أي شيء لكان بإمكاني أن أضيف إلى هذا الاستحقاق حقيقة أن خطاياي قد غُفرت أيضاً بسبب العيش في الأرض المقدسة. لابد أنه كان هناك بريق خفيف من الفكاهة في عيني البابا مع ذلك – فقد كان ذلك اختباراً إضافياً له أيضاً.

- **صورة الجالس عن يمين الله في مزمور ١١٠**

إن مزمور ١١٠، الذي يُعتبر كما لاحظنا قبلاً في أحيان كثيرة "توأماً" لمزمور ٢، يُعطى له أيضاً من الحكماء تفسيراً مسيانياً، لدرجة أنه ليس هناك تنافر جوهري بين تفسير الأحبار والتفسير المسيحي لكلا المزمورين.

إن المزمور في خطوطه العريضة هو كالتالي:

"مزمور لداود. *قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك*. يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط في وسط أعدائك .. أقسم الرب ولن يندم. *أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق*"

يرى العهد الجديد في هذا المزمور إشارة إلى المسيح. ويشهد كل من أعمال الرسل، ورسائل بولس، وخاصة الرسالة إلى العبرانيين باستخدامه

المسـيانيّ[١٥]. وقـد استشـهد يسـوع أيضـاً بهذا المزمور عندما طرح على الفريسيين سؤالاً صعباً لم يستطع أحد منهم الإجابة عليه. فقد قال:

"مـاذا تظنون في المسيح. ابن من هو. قالوا له ابن داود. قال لهم فكيف يدعـوه داود بالـروح ربـاً قائلاً قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه"[١٦]

إن الشروح الأكثر شهرة التي تابعناها هي تعبيرات متأخرة نسبياً لمنظور الأحـبار. ولنأخذ مثلين؛ راشي، سليمان يارشي، الذي مات عام ١١٠٥م وابن عزرا، ابن إبراهيم مائير الذي مات نحو نهاية نفس القرن. لو أننا لا زلنا نجد فيهما، بالرغم من كل معارضتهم للمسيحية، بعض التنويه إلى الطابع المسياني لمقطـع معيـن، فذلك سيكون له وزن استثنائي باعتباره شاهداً لقضيتنا. فهما يقولان أن مزمور ١١٠ يشير أولاً إلى إبراهيم. *يقول راشي عن المزمور أنه من الأصلح أن نفسره باعتباره يمس إبراهيم، "لكن هناك صعوبة في حقيقة أنه يتحدث عن صهيون التي كانت مدينة داود"*.

يقول المدراش على المزامير عن الآية "اجلس عن يميني"، أنه *"يقول هذا للمسـيا؛ وعرشـه معداً بالنعمة وهو سيجلس عليه"*. يشير التلمود إلى مزمور ١١٠ عـند بحـث زكـريا ٤: ١٤ – "هذان هما ابنا الزيت الواقفان عند سيد الأرض كلها" – ويعلن:

"يعنـي بذلـك هـارون والمسيا، ولست أعلم أي منهما يجب أن أفضّل. فعندما يُكتب "أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد"، نعلم أن المسيا الملك هو الأكثر قبولاً من كاهن البر"[١٧].

وقـد اسـتأنف الأحـبار هذا البحث وصولاً إلى القرون الوسطى. فإن الحبر شيمون الواعظ (*ha-Darshan*)، الذي عاش نحو نهاية القرن الثاني عشر وجمع وعظ وأساطير التلمود القديمة معاً، يلخص الفهم التقليدي لمنزلة المسيا كما يلي:

---

[١٥] أعمال ٢: ٣٤، ١ كورنثوس ١٥: ٢٥، أفسس ١: ٢١-٢٢ ومثلاً عبرانيين ١: ١٣.
[١٦] متى ٢٢: ٤١-٤٦.
[١٧] ***Avoth, Rabbi Nathan,*** **chap. ٣٤.**

"يقــول الحــبر يودان باسم الحبر آهان بار حنينان أن "القدوس سوف يُجلس المســيا الملك الآتي عن يمينه وإبراهيم عن يساره"؛ وهكذا فإن وجه إبراهيم سوف يبــيَّض مــن الحسد، ويقول، "ابن ابني يجلس عن يمينك في حين أنني اجلس عن يسارك؟" عندئذ سوف يهدئه القدوس قائلاً، "إن ابنك عن يمينك وأنا عن يمينك""[١٨].

يقول الأحبار في أبحاثهم أنه، وفقاً لمزمور ٧٢: ١٧، هذه *المنزلة مُنحت للمسيا قبل الخلق*.

مــن البارز أن فكرة منزلة المسيا الخاصة تأتي أيضاً في مقدمة شرح الأحبار لمزامير أخرى. هناك ثلاثة منها يجدر بنا ذكرها مبدئياً: أ) يقول مزمور ١٦: ١١

"تعرفني سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد".

يبنــي المــدراش الخاص بمزمور ٤٥ جسراً بين "الأبرع جمالاً من بني البشر" (مزمور ٤٥: ٢) ومزمور ١٦، قائلاً:

"وهكــذا فــإن مــن يؤمنون بالمسيا سوف يعبدون يوماً ما مجد حضور الله ولن يتأذوا (من النظر إليه) كما هو مكتوب: "أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد"."

ب) كما يعد مزمور ١٨: ٣٥

"وتجعل لي ترس خلاصك و*يمينك* تعضدني"

يشرح المدراش هذه الترنيمة الداودية قائلاً *أنها تشير إلى "مجيء المسيا"*، ويضيف:

"لو كان التحرير قد أتى في موجة واحدة لأصبح الناس غير قادرين على تحمــل مــثل هــذه الحــرية العظيمة، وهكذا فإنه سوف يكون مصحوباً بآلام عظيمة، لذلك السبب فإنه سيقترب بالتدريج .. مثل الفجر".

ج) المــرجع المنعزل الثالث عن منزلة المسيا يوجد في مزمور ٨٠ وفي الآية ١٧ التي يرى فيها الأحبار الدافع المسياني:

"لتكن يدك على *رجل يمينك* وعلى ابن آدم الذي اخترته لنفسك"

---

[١٨] *يلكوت شيموني* مزمور ١١٠، *نيداريم* ٣٢ب و*سنهدريم* ١٠٨ب. يطرح الموضوع أيضاً في الكتب التالية: دفيد م. هاي، *المجد على اليمين، مزمور ١١٠ في المسيحية الأولى*، نيويورك ١٩٧٣؛ جاك دوبون، *جالس على يمين الله، تفسير مزمور ١١٠: ١*، الفاتيكان ١٩٧٤، ٣٤٠-٤٤٢.

تتحدث الآية ١٥ عن "الكرمة" التي غرستها "يمين" الله. يشرح ابن عزرا هــذا باعتباره تشابه فيه "ذلك الذي تتم مقارنته يختص بإسرائيل وبالمسيا، ابن إفــرايم". وكمــا رأيــنا مــن قبل، فإن فكرة المسيا المتألم كثيراً ما ترتبط في اليهودية بإفرايم ابن يوسف.

وهكــذا فإن كلمات "يمين" الله، و"تعضيد اليمين"، و"رجل اليمين" تقترن بطريقة ما بالمســيا، ويجــب أن يُنظر إليها في اتحاد مع مزمور ١١٠. إن تفسيرات الأحبار هذه تقــدم شرحها الجلي للخلفية الفكرية لقانون الإيمان الرسولي الذي نعترف فيه بأننا نؤمن أن المسيح "يجلس عن يمين الله الآب الكلي القدرة".

عــندما تحتم علينا أن نتحدث، فيما يتعلق بالمزمورين "التوأم"، عن المسيا باعتباره ابــن الله، وحتى عن "سر الرقم ثلاثة" في الزهار المرتبط بهذه المزامير، تجدر الإشارة إلــى مثل تلك الأفكار، التي ترتبط في العادة باللاهوت المسيحي، كما أنها جزء طبيعي أيضــاً مــن الــيهودية الأكثر قدماً. أي أنها ليست مجرد إبداعات الكنيسة. علاوة على ذلك، فإنها تبرز أحياناً من أكثر المقاطع الكتابية إدهاشاً.

الآيــة الأخيرة في مزمور ٢، *"طوبى لجميع المتكلين عليه"*، تظهر أيضاً في مزمور ١٨، وهو مزمور آخر يحتوي على الدافع المسياني (آية ٣٠). *أما كلمــة "صخرة" المذكورة في الآية ٣١ فإنها تُفهم في التلمود عند بحث ترنيمة موســى فــي تثنية ٣٢، على انها تعني "المسيا، ابن داود" (تثنية ٣٢: ١٥)*[١٩]. وهــذا "الملجــأ" في مزمور ٢ يتصل "بالابن" الذي قُدم له الإجلال عن طريق التحــية بقــبلة. أتذكر كيف أنني ظللت أراقب فراش ابْني المريض في أسبوع القيامة بأورشليم عام ١٩٥٩. فقد ظل فاقداً للوعي لمدة أربعة شهور، لكن قبل هذه المرحلة الأخيرة وقبل أن يفقد الوعي رأى مخلصنا وعلم أنه كان يحتضر. وفــي غضون ذلك جاء لزيارتنا في المستشفى صديق يهودي جامعي. وقد علم بتعلقــنا باليهود وحثنا على أن نتحول مع ابننا البالغ سبع سنوات إلى اليهودية. فقلــت لهــذا العالم المتخصص في اللغات الذي كان حسن النية أننا ليس لدينا سبب لأن نقوم بذلك حيث أننا نؤمن بأن يسوع قد أكمل الناموس وأنه هو ابن

---

[١٩] **Sanhedrin ٣٨a.**

الله. وقد أوضحت، "هذا هو ما أؤمن به أنا نفسي وهذا هو ما يؤمن به ابني". فاعـترض صديقي وهو يخرج الكتاب المقدس من حقيبته، "لكن الله ليس لديه ابن. أريني أين يقول ذلك".

فصـليت صلاة صامتة، وذلك لأن الإجابة العفوية ما كانت لتشبع شخصاً يبحـث بـإخلاص. فظهـرت آيـة من مكان ما من اللا وعي لم أكن أتذكر معرفتها. قلت له، "اقرأ الآية ٤ من أمثال ٣٠، فقرأ:

"من صعد إلى السموات ونزل .. ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت"

فقال صديقي، "هذه الآية سوف تحتاج إلى الشرح، لا يمكن أن تؤخذ كما هي مكتوبة". فطلبت منه أن يكمل القراءة:

"كل كلمة من الله نقية. *ترس هو لجميع المحتمين* به. لا تزد على كلماته لئلا يوبخك فتُكذب"

وقـد بـدا الأمر بطريقة ما أن الكلمات قد حققت المراد منها. إن هذه الآيات تـتحدث أيضاً، كما رأينا عند مناقشة أسفار موسى الخمسة، عن "نزول المسيا إلى الهاوية" و"صعوده إلى السماوات" وذلك يخص دوره باعتباره مكمل للناموس.

تشغل الرسالة إلى العبرانيين نفسها مطولاً بالوصف الموجود في مزمور ١١٠ عن رئيس الكهنة: "أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق". وهكذا فـإن المسـيح "في أيام جسده قدم صراخ شديد ودموع" بالنيابة عنا. كان هناك احتياج "لكاهن آخر على رتبة ملكي صادق"، كاهن "كهنوته لا يزول"، لأنه لم يكن ممكناً الوصول إلى الكمال "من خلال الكهنوت اللاوي". "فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عـن الخطـاة وصـار أعلى من السماوات". لقد دخل المسيح "مرة واحدة إلى الأقداس ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه، فوجد فداءً أبدياً"[٢٠]. ماذا يهم لو أن مثل هذه الاقتباسات هي بلا معنى بالنسبة للقارئ العصري؟ إنها على الأقل تظهر أن إيماننا متأصل في فكر العهد القديم.

---

[٢٠] انظر عبرانيين ٥: ٦-١٠، ٦: ٢٠، ٧: ١١-١٧، ٢٤-٢٧ و٩: ١٢.

فمن الرائع أن نلاحظ العقائد المركزية للمسيحية معلنة في التفسير اليهودي للمزمورين ٢ و١١٠.

مزمور ٢٢ باعتباره المفسر للمسيا المتألم

كثيراً ما تصف المزامير التجارب التي يعاني منها الشخص التقي في مشاركة "مخاض ملكوت الله". وهي كثيراً ما تُشرح على أنها "مخاض مسياني" عندما تتصل بداود. تلك هي الطريقة التي يشرح بها الترجوم مزمور ٢٠، حيث تتحدث بدايته عن "يوم الضيق"، وتقول الآية ٦ أن *"الرب مخلص مسيحه"*. وقد رأينا أن الترجوم يتحدث بنفس الطريقة عن المسيا في سياق مزمور ٢١، وأن المدراش يضيف بحثاً عن "تاجه" وثوبه الأرجواني.

إن مزمور ٢٢ يكشف لنا منظوراً أوسع، وهو في التفسير المسيحي جزء من صورة المسيا المتألم. وقد قيل عن هذا المزمور كما عن الإصحاح ٥٣ من إشعياء أنه قد كُتب عند قدمي الصليب. تتحدث بداية المزمور عن آلام المسيا، وتتحدث نهايته عن وليمة العهد.

يبدأ المزمور بصرخة: *"إلهي إلهي لماذا تركتني؟"* ويروي كاتب المزمور:

"أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب. كل الذين يرونني يستهزئون بي. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين اتكل على الرب فلينجه. *لينقذه لأنه سُر به* .. كالماء انسكبت. انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي. يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي وإلى تراب الموت تضعني. لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. *ثقبوا يدي ورجلي*. أُحصي كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ. *يقسمون ثيابي وعلى لباسي يقترعون*".

يبدو أن الجزء الأخير من المزمور يؤكد على أهمية عمل عبد الرب المتألم: إذ أنه يبدأ بالتسبيح، ثم يتحدث عن نوع ما من وليمة العهد، وعن كيف أن "الذرية تتعبد له" وكيف أن بره سوف يُعلن "لشعب سيولد". *يقول راشي عن هذه الكلمات، "يأكل الودعاء ويشبعون" (آية ٢٦)، أن هذا سيحدث في "زمن التحرير، أي أيام المسيا"*. وبهذه الطريقة يتعشق المزمور نفسه مع المهمة المسيانية.

ينتهي المزمور بتدفق من التسبيح:

"من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدام خائفيه. *يأكل الودعـــاء ويشـــبعون*. يسبح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد. *تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض*. وتسجد قدامك كل قبائل الأمم. لأن للرب الملك وهـــو المتسلط على الأمم. أكل وسجد كل سميني الرض. قدامه يجثو كل من يـــنحدر إلى التراب ومن لم يحي نفسه. الذرية تتعبد له. يخبر عن *الرب الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل*".

يحق أن نقول أن الأحبار لا يرون الطبيعة المسيانية لمزمور ٢ سوى في المقطـــع الأخير، أي "التسبيح أو *shevah*، الذي يشير إلى *"زمن التحرير، أي أيـــام المســـيا"*. إلا ان كلمات بداية المزمور تظهر من حين لآخر في أوصاف عـــبد الـــرب المتألم. إن أدب المدراش *Pesikhta Rabbati* مثلاً، الذي ربما يكـــون قد جرى جمعه في القرن الثامن أو التاسع لكنه يتأسس على مادة تراثية ترجع إلى فترة أبعد، يصور المسيا إفرايم، ابن يوسف، كما يلي:

"لقد علَّم أحبارنا أنه في أحد الأيام، في شهر نيسان (وقت الفصح)، سوف يأتـــي الآبـــاء إليه ويقولون: "إفرايم، مسيا، برنا. بالرغم من أننا آباؤك إلا أنك أعظم منا لأنك تألمت من أجل خطايا أبنائنا ومررت بتجارب عظيمة وعسيرة .. لقـــد أصبحت موضوعاً للازدراء والتهكم في وسط الأمم من أجل إسرائيل، وقـــد جلست في الظلمة وفي الأعماق .. وقد انتزع جلدك، وييس جسدك مثل الخشبة .. وقوتك مثل الشقفة. لقد عانيت كل هذا بسبب خطايا أبنائنا"."[٢١]

يقـــول ابن عزرا عن الآية ١٨، التي قُسمت فيها ثياب عبد الرب المتألم ووقعت قرعة على لباسه، أنها *"أردية ملكية؛ لو لم يكن ملكاً لما كان هناك أي معـــنى لهـــذه الكلمـــات. كما أنه توجد إشارة خفية هنا"*. *وهو يقول في شرحه للآيـــات الختامـــية: "وفي النهاية، في الأزمنة الأخيرة، سوف يأتون ويسجدون أمام الملك الذي سيجمع النفوس معاً"*[٢٢].

---

[٢١] *Pesikhta Rabbati* ٣٥-٣٧.
[٢٢] *Mikraoth Gedoloth*, Ps.٢٢.

يربط المدراش على المزامير موضوع مزمور ٢٢ بأستير بالرغم من أنه لا توجد رابطة مباشرة بين الاثنين. إن الأستاذ م. د. كاسوتو، المعروف بتعليقاته على كل العهد القديم، يقول عن هذا المزمور أنه *"يصور رجلاً قد تعذب في كلا من جسده وروحه"*. أما كلمات المقدمة التي تقول أن المزمور يُرنم على لحن "إيلة الفجر" فهي تشير، في الروايات التقليدية، إلى أستير – بالرغم من أن الكلمة الغريبة المستخدمة لآلة موسيقية وطريقة في الغناء معينة تعني في العبرية *"بهاء الفجر"*. هذا البهاء هو بالتأكيد أكثر ملائمة كإشارة إلى المسيا، "نور العالم"، والذي يقول عنه المقطع المفهوم مسيانياً في هوشع (٦: ٢ -٣) أنه سيقوم *"في اليوم الثالث"* وأن *"خروجه يقين كالفجر"* – لدينا هنا نفس الكلمة العبرية ***shahar***، "الفجر" كما في الآيات السابقة.

فيما يتعلق بالآية ١٦ "ثقبوا يديَّ ورجليَّ"، يقدم أحد الهوامش في بعض الترجمات (مثلاً NIV وRSV) ترجمة بديلة:

"جماعة من الأشرار أحاطت بي، أحاطت بيدي ورجلي *مثل* الأسد".

كان الأحبار على علم بهاتين القراءتين في النص الأصلي. فقد قال الحبر ديفيد كيمهي أن *"الأغلف يفسر هذا المزمور باعتباره يشير إلى يسوع"*. وهو يقول فيما يتعلق بالآية ١٦ أنهم يقرءون الأصل باعتباره ***Ka'aru***، أي "ثقبوا"، بدلاً من ***Ka'ari*** البديل، "مثل الأسد"، ويفهمونه على أنه يعني المسيح، *" الرب الذي ينبغي أن يجثو أمامه يوماً ما كل من ينحدر إلى التراب"*. وقد ذكر راشي بخشونة أن ذلك يصور في الواقع شخصاً *"وكأن يديه ورجليه قد تمزقا في فم أسد"*. وقد علم لوثر أيضاً بهذه الصعوبة، كما أن الكتاب المقدس الألماني يتبع قراءة ***Ka'aru*** أو "ثقبوا".

لو أن تنويه اللباس الذي أُلقيت عليه قرعة في المزامير يحتوي على "إشارة خفية"، إذن فالوليمة أيضاً التي يصفها تثير أسئلة كثيرة. فهي تشير وفقاً لراشي إلى *"زمن التحرير، أي أيام المسيا"*. لكن ما هي نوعية الأفكار التي تثيرها هذه الوليمة المرتبطة بمجيء المسيا؟

إن العواطف الأولى التي تنشأ عن التفسير السابق ترتبط بالتناول المقدس الذي أسسه الرب مع وليمة عيد الفصح، والذي فيه "تنحني كل ركبة أمامه" في

الكنائس الرفيعة على الأقل. فإننا عندما نتناول "في ذكرى" موت المسيح، تتحقق كلمات مزمورنا التي تقول "تذكر كل أقاصي الأرض"، وعندما "نبشر بموت الرب" فإن المزمور يقول أنه يوماً ما يخبرون "ببره" "بأنه قد فعل". تُستخدم في الآيات الختامية أربع مرات كلمة رب للمتألم القدوس، ويُضاف إلى ذلك أن "الذرية تتعبد له". إن كلمة "تتعبد" في العبرية بهذه الآية، *avad*، تعني العبادة كما لله.

يبدأ مزمور ٢٢ بصرخة وينتهي بكلمات "إنه قد فعل". تستخدم العبرية كلمة *asah* التي وفقاً لبعض المعلقين تتصل بالآية الأخيرة من رواية الخلق في تكوين ٢: ٣[٢٣]. وهكذا يبدو الأمر وكأن مزمورنا يمثل "إتمام" العمل الكفاري. لو كان يسوع قد تحدث بالآرامية هنا، كما في الجزء الأول من المزمور، فعندئذ كانت صرخته *Kullah*، "قد أُكمل"، ستتطابق مع محتوى الفعل اليوناني. فإن هذه الكلمة تُستخدم في العبرية والآرامية في سياق الذبائح. وبهذه الطريقة يكون يسوع قد قدم "ذبيحة كاملة" بالنيابة عنا، وهذه الذبيحة هي التي نتذكرها في التناول.

إن البحث الأكثر بلاغة الذي يتعلق "بوليمة المسيا" وبالتناول يوجد في مدراش سفر راعوث. لو كان حقاً "جميع الأنبياء لم يتنبأوا سوى لأيام المسيا" فسوف يكون لائقاً أن نشير إلى جانب المزامير إلى شيء من الأدب اليهودي الأول عما يقوله سفر راعوث فيما يتعلق بالمسيا. يخبرنا راعوث ٢: ١٤ عن بوعز، الذي قال لراعوث جدة الملك داود "تقدمي إلى ههنا وكلي من الخبز واغمسي لقمتك في الخل". *يقول مدراش راعوث أربع مرات في شرحه لهذه الآية أنه لو "اشترك أحد في الوليمة المسيانية في هذا العالم فإنه يأكل للعالم الآتي". يؤكد المدراش أربع مرات أن هذا الخبز هو "خبز الملكوت"، كما أنه قيل أربع مرات أن كل من يأكل من هذا الخبز هو "قريب من الملكوت". علاوة على ذلك، يتم التوكيد ثلاث مرات على أن هذا "الخل" يتحدث عن الألم، كما أن بعض الأحبار يقولون، وهم يتكلمون "بالروح القدس"، أن "هذا الخل هو*

---

[٢٣] انظر مثلاً كيل ديليتش، *تعليق على العهد القديم V*، ص٣٢٧-٣٢٨.

أحــد الآلام التـــي يــتحدث عــنها إشعياء ٥٣ عندما قيل أنه "مسحوق لأجل آثامــنا"[٢٤]. ســوف نتحدث في الجزء الخاص بالعهد الجديد بتفصيل أكثر عن خلفــية التناول المقدس وبعض "الولائم المسيانية" الأخرى. إلا أننا نجد بالفعل في مزمور ٢٢ وليمة العهد هذه الخاصة "بزمن التحرير".

لقــد رأينا أن مزمور ٢٢ يرتبط أيضاً بآلام المسيا في التفسير اليهودي. فهــو يبدأ بصرخة الألم الصادرة من يسوع ويصور موته على الصليب، الذي ينتهـــي بكلمة *Kullah*، "قد أُكمل". كذلك فقد تمت الإشارة إلى "وليمة المسيا"، مما يقدم سنداً لإدراك أن عشاء الرب يوجد في العهد القديم.

مزمور ١١٨ و"الحجر الذي رفضه البناؤون"

نحـــن نـــدرك أن هناك جسر طبيعي للتفسير المسياني للمزامير قد تكوَّن بشـــكل خـــاص في تلك التي تشير إلى الملك داود. إلا أن مزمور ١١٨، الذي يرتـــبط تقليدياً فيما بين اليهود بتدشين الهيكل، يقدم معلومة إضافية عن التوقع المســـياني واسع المجال لدى الأحبار. كما أن هذا المزمور المشهور هو أيضاً أحـــد المزامـــير المفضـــلة لـــدى لوثر، حيث أنه قد ساعده "في الخروج من المصـــاعب التـــي لم يكن ملك أو سيد" ليحرره منها. يتحدث الجزء الأول من المزمور عن كيف أن أبناء هارون، الكهنة، يتقون في الرب:

"مـــن الضـــيق دعوت الرب فأجابني من الرحب. الرب لي فلا أخاف .. قوتي وترنمي الرب وقد صار لي خلاصاً".

أمـــا الجزء الثاني من المزمور الذي يبدأ عند الآية ٢٠ فهو يتصل بالوصف الموجود في عزرا ٣: ١١ عن وضع حجر الأساس للهيكل. وهو جزء من *Hallel* أو "مزامـــير التسبيح"، ١١٣– ١١٩، التي لعبت دوراً خاصاً في كل الأعياد الكبيرة للهيكل. والمقطع الختامي لهذا المزمور هو الذي يُرنم بشكل معتاد أثناء الاحتفالات المسائية للرابع عشر من نيسان؛ وفي احتفال الفصح العائلي في نفس الليلة؛ وفي يوم الفصـــح الفعلـــي؛ وفي يوم الخمسين وهو اليوم الذي أُعطي فيه الناموس؛ في "يوم أوصنا" العظيم أثناء عيد المظال؛ وأثناء *Hannukah*، أي الاحتفال بإعادة تكريس

---

[٢٤] ***Ruth Rabbah*, V parasha.**

الهيكل عام ١٦٤ ق م. وهكذا فإن كل طفل تقي يحفظ هذه الآيات عن ظهر قلب منذ حداثــته، وقد رنمها تلاميذ يسوع باعتبارها اختتام لعشاء الرب المقدس (متى ٢٦: ٣٠ ومرقس ١٤: ٢٦).

يُعنى التفسير المسياني التقليدي قبل كل شيء بالآيات ٢٠-٢٦:

"هــذا الــباب للــرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لي وصــرت لي خلاصاً. *الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية*. من قِـبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبــتهج ونفرح فيه. *آه يا رب خلِّص*. آه يا رب أنقذ. *مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب*".

إن شرح الأحبار للمزامير يجعل هناك ترابطات مسيانية بين المقاطع التي لا يــتوقع التفســير المسيحي أن يجد فيها أية علاقة. فقد رأينا كيف أن راشي يضم المقطع الموجود في الإصحاح الخامس من ميخا، الخاص بالمتسلط الذي سيولد في بيت لحم، مع "حجر الزاوية" في مزمور ١١٨، وأيضاً مع "القضيب" في مزمور ٧٢: ١٧ الذي كان قدام الشمس، والقمر، والنجوم بالطبع.

والأكــثر فظاعــة هي حقيقة أن الأحبار يعتبرون من الممكن أن لا يقبل الشــعب المختار مسياه، كما رأينا في شرح بركة يعقوب. ومع ذلك، فإن هذه الفكــرة تظهــر في الصدارة بأكثر وضوحاً في المقطع الخاص بحجر الزاوية المرفوض. لكن هل تقترن أيضاً بالمسيا ببعض الطرق الأخرى؟

يصف كلا من المدراش على المزامير والتلمود كيف كانت الآيات الآنفة تُــرنم تجاوبــياً بشــكل معتاد: *فقد كان سكان أورشليم يقولون داخل الجدران، "أوصنا* (التي تعني "خلصنا) *يا رب"، وكان رجال يهوذا في الخارج يقولون "يا رب امنحنا النجاح"، وسكان أورشليم، "مبارك الآتي باسم الرب" الخ*[٢٥]. كما أننا نــتذكر أنه عندما ذهب يسوع في بداية أسبوع الآلام إلى أورشليم فرش الناس ثــيابهم وسعف النخيل على الطريق وكانوا ينشدون: "أوصنا لابن داود. مبارك

---

[٢٥] انظر *مدراش وبيساهيم* ١١٩أ.

الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي" (متى ٢١: ٩، مرقس ١١: ٩-١٠، لوقا ١٩: ٣٧-٣٨ ويوحنا ١٢: ١٣-١٥)

يشرح الحبر أكيبا في التلمود أن الروح القدس هو الذي اعطى هذه الترنيمة، وأن الإسرائيليين كانوا يرنمونها وهم يعبرون البحر الأحمر[٢٦]. يرتبط التقليد هنا باسم الحبرين يهوذا وشموئيل اللذين قالا أن، *"الأنبياء قد أوصوا إسرائيل بأنهم يجب أن يرنموا ذلك لمخلصهم في يوم خلاصهم"*[٢٧].

يربط الزهار موضوع مزمور ١١٨ بخروج إسرائيل من مصر. إذ يبدأ الإصحاح ١٥ من الخروج بالكلمات "حينئذ رنم موسى"، ويصف إنقاذ إسرائيل من البحر الأحمر. يشرح الزهار أنه "توجد *إشارة هنا إلى "الآتي" .. لذلك ينبغي أن ترنم إسرائيل ذلك لمن سيأتي"*. وأيضاً *"سوف يمد الرب يده مرة أخرى ليخلص بقية شعبه"*. عندئذ *فإن "من ماتوا بسبب لدغة الحية سوف يقومون ويصبحون مشيرين للمسيا الملك". إن هذه الترنيمة هي ترنيمة "ملكية"* وهي تتحدث عن *"مجتمع الإيمان ومجيء المسيا"*. يستخدم الزهار للمسيا بشكل متكرر اسم *"الملك العلي والقدوس"*. وفي المستقبل، *"في أيام المسيا ملكهم، سوف يمتدح إسرائيل حقيقة أنهم سوف يشعرون بالفرح لأن يجتمعوا معاً في بيت القدوس". "تشير الكلمات "وقد صار خلاصي"إلى المسيا الملك". فعندما يأتي الملك القدوس "سنتهلل ونفرح بخلاصه؛ وخلاصه يعني بالطبع خلاص الرب الذي رجع إلى صهيون"*[٢٨]. إن شرح الزهار، الذي لم يعانِ من الرقابة الداخلية للمجمع لدرجة بليغة، يمثل الموقف المعياري المقبول عموماً بالنسبة لليهود الأرثوذكسيين.

إن راشي، الذي رأى الطبيعة المسيانية للمزمور، يقول أيضاً عن *إشعياء ٢٨: ١٦ أنه يشير إلى "المسيا الملك الذي سيكون حجر الزاوية لصهيون"*. تذكر الآية في الواقع أن الله سوف

---

[٢٦] *Sutta* ٦b.

[٢٧] هناك بحث واسع النطاق عن ذلك في *Beit Ya'akov* مثلاً بكتاب الصلاة السيدور، وارسو ١٨٨٠، ص٥٢٠-٥٢١.

[٢٨] الزهار، *be-shallah* parasha، الذي يبدأ في تكوين ١٣: ١٧، ٢١٦-٢٢٧.

"يؤســس فــي صـــهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً. من آمن لا يهرب"

تعنـــي الكلمة العبرية المترجمة "يهرب"، *yahish*، "الإسراع" أو "الاندفاع" – فالمســيحي لا يــندفع. لقد جاء المسيح حقاً "كحجر زاوية" لإسرائيل. كان القديس ســمعان واحداً من أوائل الذين رأوا ذلك عندما قال، في الإصحاح ٢ من لوقا، أن المسيح الطفل "قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة لا تُقاوم".

تســتخدم اللغة العبرية كلمتين "لحجر الزواية": *even pinnah* أو *rosh pinnah*، أي "حجــر الــزاوية" أو "رأس الزاوية". تقول الميسودات داود أن، *حجــر الزاوية المرفوض هذا "سوف يوضع كذلك في أكثر الأماكن المشتهاة" حتى يراه الجميع.*

لقد تحدث يسوع بكلمات قاسية في متى ٢١ بخصوص مالك الكرمة الذي أرســل ابــنه لينظر ماذا حدث لعبيده. وقد قال في نفسه، "يهابون ابني". لكنهم "أخــذوه وأخــرجوه خارج الكرم وقتلوه". عندئذ تحدث يسوع بكلمات يعتبرها الأســتاذ ديفــيد فلاســر من الجامعة العبرية بأورشليم الأكثر قسوة في العهد الجديــد. فقــد حاضر ذات مرة قائلاً، *"إنها قاسية للغاية حتى أنه من الصعوبة على الأرجح أن يكون يسوع قد نطق بها"*. لكن يسوع قالها بالفعل:

"أمـــا قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الــزاوية. مــن قــبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكــوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضــض ومــن سقط هو عليه يسحقه. ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم".

ربمـــا يكون بولس قد قال أنه سيتوجه إلى الأمم (أعمال ١٣: ٤٦) وهو يضع هذه الكلمات نصب عينيه.

لكن هل يمكن ليسوع أن يكون قد قال ذلك؟ هناك مقطع في التلمود على إرمــيا ١٣: ١٧ الذي يتحدث عن روح النبي التي "تبكي في أماكن مستترة من أجــل الكبرياء" الذي لن يعطي المجد لله، والذي ستكون نتيجته أن "يُسبى قطيع

الـــرب". *يقـــول الحبر شموئيل بار يتشاق أن هذه هي نتيجة "كبرياء إسرائيل، لذلك سوف تؤخذ التوراة منهم وتُعطى للأمم"*[٢٩]. هكذا يمكننا أن نفهم أن يسوع كان قادراً إلى حد بعيد أيضاً على استخدام مثل هذه اللغة القاسية.

يقصـــد العلماء اليهود "بالبنائين" بشكل عام "المعلمين". كذلك يشير العهد الجديـــد فـــي مناســـبات مـــتعددة إلى "البناء" في المسيح. إذ يُقال لنا في نهاية الإصحاح ٢ من أفسس أننا:

"مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح حجر *الزاوية* .. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح"

ويشجعنا بطرس بنفس الطريقة:

"إذ تـــأتون إليه حجراً حياً مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم *كونـــوا أنـــتم أيضاً* مبنيين *كحجارة حية بيتاً روحياً* .. لذلك يتضمن أيضاً في الكـــتاب هاأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يخـــزى. فلكـــم أنتم الذين تؤمنون الكرامة وأما للذين لا يطيعون فالحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة. الذين يعثرون غير طائعين للكلمة .." (١ بطرس ٢: ٤-٨).

يجب أن يُبنى المسيحي "كحجارة حية". لكن كيف يمكن للحجارة أن تحيا؟ اعـــتدنا أن نلعـــب في طفولتنا لعبة تخمين باستخدام البطاقات البريدية القديمة. كانـــت الصـــور تمثل إما "حيوان، أو نبات، أو معدن"، وكان صاحب التخمين الصـــحيح يكسب البطاقة ليحتفظ بها. كانت كل الأشياء الميتة "معادن". إلا أنه مـــن الممكن الحديث في اللغة العربية عن كلا من الأحجار الميتة والحية. فقد شـــرح لـــي راعـــي عربي ذات مرة بينما كنا نسير على طريق بيت لحم أن الحجـــارة التي بلا شكل وغير مصنّعة التي لم تمسكها بعد يدا السيد هي دائماً *حجارة ميتة*، لكن عند تشكيلها فإنها *تحيا*. وهكذا يصبح لها *شكل "يسند ويحمل الأحجار الأخرى"* وهي *"تركب في موضعها"*. ولو أن البناء انهار أو هُجر لأي ســـبب، فإن هذه *"الحجارة الحية"* التي صاغها البنّاء يمكن أن تُستخدم في بناء

---

[٢٩] ***Hagigah* ٥b.**

آخر. وبهذه الطريقة فإن الحجر الذي رُفض يمكن أن يصبح الحجر الأعلى في البناء الجديد. وقد بُنيت قناطر في الشرق منذ زمن حمورابي بطريقة ما تجعل جدرانها تنفجر باطنياً لو أُخذ منها حجر الارتكاز.

بمــا أن مزمور ١١٨ يُشرح في ضوء إشعياء ٢٨: ١٦ في كلا من أدب الأحبار والعهد الجديد، يجدر بنا إذن أن نقدم مثالاً للكيفية التي فهم بها العلماء اليهود كون المسيا "محك الذهب لصهيون":

"يمــثل "محــك الذهــب" هنا ثلاثة شروط: ١. أولاً، سوف يكون محكاً قوياً ومجرَّباً ومســبوكاً بقــوة، وذلــك لأنه حجارة حقيقية غير مكونة من رمال أو مواد غريبة؛ ٢. ثانياً يكــون لديه قيمة وشكل يسمحا له بأن يوضع كحجر زاوية ثمين مثل الياقوت، باعتباره حجر كــريم، حــتى أنه يمكن أن يصبح حجر زاوية ثمين؛ و٣. يجب أن يوضع على أساس متين لأن البــناء بأكملــه يســتند علــيه. فسوف يكون أساس الأساسات وسيدعم البناء بأكمله. إن التشــابه يعنــي مــن ناحــية أن هذا الملك قد امتُحن هو ذاته ووُجد باراً، وبلا خطية تماماً، وواضــح فــي تفكــيره. إن كلمــة *yahish* (يهرب) تعني أنه سوف يصبح فيما بعد حجر الــزاوية مما يثبت أنه النسل الثمين لبيت داود وأساس الأساسات .. "من آمن لا يهرب" تعني أن ذلك لن يحدث على الفور، لكن سوف تكون هناك ضيقات عظيمة أولاً"[٣٠].

يثبــت مزمور ١١٨ في الحقيقة أنه عامل حاسم في فهم تاريخ الخلاص. فهــو يتحدث بشكل لا لبس فيه عن حقيقة أن المسيا سوف يُرفض بالضرورة لكــنه سوف يُرفع يوماً ما إلى مكانته الملكية الشرعية. وحسبما يمكننا أن نرى من الحالة التالية، فإن الفرد المسيحي اليهودي ربما يجد تعزية في هذا:

صــادف أحد الطلاب الصغار أن وجد، أثناء مراقبة مبنى خط كهرباء عالي الجهــد على منحدرات جبل الكرمل، كتاب عهد جديد ممزق أُلقي به بين الأشجار المتشابكة. وقد كان والده معلماً للتلمود في كلية محلية وهكذا كان الابن أيضاً مطلعاً إلــى حــد بعيد على أدب الأحبار. وقد أدرك تواً منذ قراءته الأولى أن يسوع هو المحــرر الذي كان يبحث عنه في العهد القديم وفي كتابات والده، واعترف بإيمانه لوالــده بعد أسبوعين فقط. فعندئذ عرض عليه الأخير مالاً، وبيتاً، بل وحتى زوجة

---

[٣٠] انظر التعليق العبري *Malbi'm*، *Biur ha-Inyan*، إشعياء ٢٨: ١٦.

حتى يتخلى عن قناعته. (ففي العائلات اليهودية التقية يختار الأهل شركاء حياة أبنائهم؛ إذ أن لديهم برغم كل شيء خبرة أكثر من ذريتهم!)

لم يكن هذا الطالب قد غادر المنزل بعد في وقت الفصح. وقد كانت العادة بعد تناول وليمة الفصح، *seder*، أن يرنموا مزامير التسبيح، وحينما رنموا مزمور ١١٨ سأل أصغر عضو في العائلة، وهو صبي يبلغ التاسعة عشر، والده، "ما هو هذا الحجر؟" فصمت الأب تماماً. "أبي، ما هو الحجر الذي رفضه البناؤون؟" ومرة أخرى ظل رب العائلة صامتاً بالرغم من أنه كان يجيب دائماً عن أسئلة عشية الفصح. فسأل الصبي مرة ثالثة، "أبي، ما هو الحجر الذي أصبح رأس الزاوية؟" وعندئذ طلب الطالب المؤمن الإذن بأن يجاوب، فأومأ له والده. كانت إجابة الشاب مبهمة: "إنه ما بين الأب والابن". وحيث أن بقية العائلة كانت معتادة على الأحجية القبالية فقد فهموا على الفور من الذي كان يتحدث عنه. فإن "حجر" بالعبرية هو *even*: قراءة الجزء الأول من هذه الكلمة المكونة من ثلاثة أحرف (بالحروف العبرية) تعطي كلمة *av*، أي "أب"، وقراءة الجزء الأخير من النصف يعطي *ben*، أي "ابن". لقد كان الجميع يعلمون بالطبع أن يسوع قد جاء بين الأب وابنه البكر. وقبل أن يمضي وقت طويل كان على الابن أن يترك عائلته ويغير اسمه. أما اسمه العبري الجديد الذي يعني "مستقل" فهو يتحدث عن التغيير العظيم الذي حدث له. وباعتباره خبير في اللغات الشرقية مع معرفته باليونانية فقد أوكلت إليه المسئولية الرئيسية في ترجمة العهد الجديد إلى اللغة العبرية الحديثة.

يبلغ مزمور ١١٨ ذروته في تحية موجهة إلى المحرر:

"آه يا رب خلص (*hoshiah-na* بالعبرية أي "أوصنا") .. مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب".

سبق ورأينا كيف أن كلمة "الرب"، يهوه، في أدب الأحبار ترتبط بالألقاب المسيانية. بنفس الطريقة، ووفقاً لسفر دانيال، سوف يأتي المسيا حين يكون الهيكل لا يزال قائماً، وقبلما يؤخذ "قضيب" سبط يهوذا من ناحية أخرى. بما أن الأمر كذلك، فإن يسوع قد رُحب به حقاً "من بيت الرب".

سبق ورأينا أن المزامير ترسم صورة واضحة تماماً لآلام المسيا ومجده عن يمين الله، ورأينا كيف أن "بره" سيُذاع لشعب لم يولد. كما أن مزمور ٨٩: ٤-٥، ٢١-٢٢ و٢٦-٢٧ يصف *التحقيق المسياني من وجهة نظر العهد*:

"قطعت عهداً مع مختاري .. رفعت مختاراً .. بدهن قدسي مسحته .. هو يدعوني أبي أنت. إلهي وصخرة خلاصي"

تنضم رسالة هذا المزمور الذي يُفسَّر مسيانياً بطريقتها الخاصة إلى البحث الخاص برفض المسيا. يقول المتسودات داود في شرحه للمزمور أن *هذا عهد نعمة، وأنه، "قد أُعطي لنسل داود إلى الأبد، وهو لن يُنسخ حتى في تشتتهم، حيث أنه سيرجع في أيام المسيا ولن ينقطع مرة اخرى"*[٣١].

مزمور ١٠٢ وعودة المسيا في مجده

بصرف النظر عن الأطروحة الأنيقة لعصرنا التي تصرح بأنه من غير اللائق بناء جسر تحقيق مسياني صناعي بين العهدين القديم والجديد، إلا أننا قد رأينا بالفعل إلى أي مدى يتعشق التفسير الكتابي اليهودي والمسيحي معاً. ففي ضوء كلا من المزمور ٢ ومخطوطات البحر الميت نجد أن الله سوف "يلد" المسيا، وأن المسيا كان "قدام الشمس" بل وكان حاضراً كذلك عند الخلق، وسوف تكون قرعته أن يكون "محتقراً ومخذولاً من الناس" إلى أن يرتفع ويجلس عن يمين الله – فإنه حتى الشعب المختار سوف يقبله يوماً ما. لكن هل يوجد فعلياً أي شيء في المزامير بخصوص الأيام الأخيرة؟ هل بإمكاننا أن نجد هناك أي إشارة عن المجيء الثاني للمسيح؟

يقترن بحث الأحبار عن الأيام الأخيرة في المقام الأول بالصورة الموجودة في سفر حزقيال المتعلقة بحرب جوج وماجوج وبنبوة يوئيل المتعلقة بيوم الرب. *ومع ذلك، فعند بحث ضيقة الأيام الأخيرة، يستشهد الأحبار بكلمات مزمور ٨٩: ٥١ بخصوص "آثار المسيح" التي ستُسمع في ذلك الوقت.* يحق *أن نقول أن "آثار أقدام المسيا" هذه أو* iqvot ha-Mashiah هي في جزء

---

[٣١] انظر *ميكراوث جيدولوث*، مزمور ٨٩.

منها *انعكاس لوعظ الكنيسة المسيحية الأولى*، وسوف نلقي نظرة عليها بأكثر تفصيل في الجزء الخاص بالعهد الجديد.

على الرغم من ذلك ينبغي علينا أن ندرك حقيقة أن الأستاذ جوزيف كلوسنر يرى ارتباطاً واضحاً بين وصف الأيام الأخيرة في العهد الجديد و*المخاض المسياني* الذي يتحدث عنه الأحبار[٣٢]. إذ يصور علماء التلمود المسيا قادماً في وسط أزمة البشرية. ويتعلق هذا المخاض المرتبط بالجيل الأخير بالأخلاقيات الفردية، وتاريخ الأمم، والخليقة بأكملها. وهنا مجرد مثال قصير على ذلك:

"لو نظرتم ممالك تسلح أنفسها ضد بعضها بعضاً يمكنكم أن تتوقعوا مجيء المسيا"[٣٣]

"إن المسيا، ابن داود، لن يأتِ حتى يمتلئ العالم كله بالمرتدين (minut بالعبرية، والتي يبدو أن الأحبار يقصدون بها "المسيحيين")"[٣٤]. *"لن يأتِ ابن داود حتى ينقطع القضاة والخبراء من إسرائيل"*[٣٥]. *"سوف تظهر الآثار المسيانية عندما* تزداد العجرفة .. يسقط القادة في الزنا .. تبدأ حكمة الكتبة في الإنتان، ولن يعود *هناك خوف من الخطية، وتتلاشى الحقيقة ويصبح وجه ذلك الجيل مذكراً بوجه الكلب*؛ سوف *يحقِّر الجيل الصغير من شأن آبائهم ويكون على الكبار أن يقفوا في حضور صغارهم .. لن يكرم الابن أباه. على من إذن يمكننا أن نستند؟ على أبينا الذي في السماوات فقط"*[٣٦].

بإمكاننا أن نضيف هنا ما يُدعى "بالعلامات المسيانية" التي وفقاً لها سوف يكون هناك أمراضاً مروعة في ذلك الزمان،

---

[٣٢] كلوسنر، *الفكرة المسيانية في إسرائيل*، ص٢٨٣-٢٨٦ (بالعبرية).
[٣٣] ***Ber. Rabbah*** **٤٢.**
[٣٤] ***Sanhedrin*** **٩٧a.**
[٣٥] ***Sanhedrin*** **٩٨a.**
[٣٦] ***Sutta*** **٤٩b.**

وأوبئة وطواعين"، سوف يستحم العالم بأكمله في الدماء"، " وسوف تظلم الشمس ويتحول القمر إلى دم"[٣٧].

توجد أوصاف تنسجم مع هذه في كلا من كلمات المسيح ورسائل بولس[٣٨].

يجدر بنا الاحتفاظ بهذا التماثل في أذهاننا عند دراسة شروح العلماء اليهود لمزمور ١٠٢ الذي يقدم وصفاً *"للجيل الأخير"*. يكرس كلوسنر *للمزامير، على نحو مميز، أقل من أربع صفحات ضمن كتابه المكون من ٣٤٥ صفحة عن الفكرة المسيانية في إسرائيل، واقتباسه الوحيد المكون من أربع آيات هو من مزمور ١٠٢*[٣٩]. *إن هذا الأثر الأدبي، وهو العمل الوحيد المكتوب من قبل يهودي الذي يتعامل على وجه الحصر مع الفكرة المسيانية، يتتبع بالطبع كل الدراسات التاريخية النقدية باللغات الغربية حتى العقد الثاني من هذا القرن، لكن ضعفه يكمن في حقيقة أن أدب المدراش والتراجم ليس عليهم براهين كثيرة. فإن يوناثان بن عزيل على سبيل المثال يُذكر مرة واحدة فقط*. يشير كلوسنر إلى الإجابة التي تلقاها يوناثان التلميذ الأعظم للحبر هيليل عندما بدأ الترجمة الآرامية لجزء العهد القديم المعروف "بالكتابات"، والذي تنتمي إليه المزامير:

"عندئذ سُمع صوت من السماء قائلاً، "كفى! – لأنك سوف تجد فيها مسيا الأيام الأخيرة"."[٤٠]

يعتقد كلوسنر أن بهذه الطريقة تم تجنب الإيمان الساذج من النوع الذي اختبره الناس في زمن بار كوخبا. يخبرنا هذا الاقتباس أيضاً أن ترجوم يوناثان، الذي يحتوي كما هو على تفسير مسياني بشكل متناسق، هو الذي رفضه المجمع لهذا السبب.

---

[٣٧] جلينك، *Beit ha-Midrash*، المجلد الثاني ص٥٨-٦٣ "العلامات المسيانية" والمجلد السادس ١١٧-١٢٠ "حروب المسيا الملك".

[٣٨] انظر على سبل المثال متى ٢٤ و٢ تيموثاوس ٣: ١-٧.

[٣٩] كلوسنر، *الفكرة المسيانية*، ص١٣٣-١٣٦.

[٤٠] انظر كلوسنر ص٢٧٢ ومجيلا ٣أ.

إن كلوسنر، الذي تناقشت معه مطولاً في مناسبتين، كان يرى العمل الذي قـام بـه طوال حياته، بالإضافة إلى دراساته عن يسوع، ترويجاً "للصهيونية النبوية". فهو لم يكن يؤمن بالمسيا كشخص. لهذا السبب قال عن المزامير،

"إن سـفر المزامـير في المعنى الواسع هو مسياني بأكمله من بدايته إلى نهايته، إذ أنه مليء بتوقع خلاص اليوم الأخير"[٤١].

ينقسـم مـزمور ١٠٢ إلـى جزئين تقريباً. أتذكر رجلاً ما كان يزن ٢٦ كيلوجراماً فقط عند إطلاق سراحه من معسكر الاعتقال. وقد تابع هذا الصديق للطبـيعة بمـا تـبقى له من قوة حركات وهجرات الطيور. وقد كانت *"صلاة لمسـكين إذا أعيا"* تمثل تعزية كبيرة له. *فقد كان الجزء الأول منها هو تقريباً وصف للرعب الذي تعرض له في معسكر الاعتقال*:

"أيامـي قد فنيت في دخان وعظامي مثل وقيد قد يبست. ملفوح كالعشب ويـابس قلبـي حتى سهوت عن أكل خبزي. من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمـي. أشـبهت قـوق الـبرية. صرت مثل بومة الخرب. سهدت وصرت كعصـفور منفرد على السطح. اليوم كله عيّرني أعدائي. الحنقون علي حلفوا علـي. إني قد أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابي بدموع .. أيامي كظل مائل وأنا مثل العشب يبست".

من الصعوبة أن يقدم الأدب وصفاً أكثر وضوحاً لضيقات إنسان ما.

في الآية ١٢ من مزمورنا يبدأ مقطع "التسبيح" أو *shevah*، الذي اقتبسه كلوسنر باعتباره نبوة عن الاسترداد المسياني:

"أنـت تقوم وترحم صهيون لأنه *وقت* الرأفة لأنه جاء *الميعاد*. لأن عبيدك قد سُـروا بحجارتهـا وحنوا إلى ترابها. فتخشى الأمم اسم الرب وكل ملوك الأرض مجـدك. *إذا بنى الرب صهيون يُرى بمجده*. التفت إلى صلاة المضطر ولم يرذل دعاءهم. *يُكتب هذا للدور الآخر* ("الجيل الأخير" بالعبرية) وشعب سوف يُخلق يسبح الـرب. لأنه أشرف من علو قدسه الرب من السماء إلى الأرض نظر ليسمع أنين الأسير ليطلق بني الموت لكي يُحدَّث في صهيون باسم الرب وتسبيحه في أورشليم

---

[٤١] كلوسنر ص٨٨.

عند اجتماع الشعوب معاً والممالك لعبادة الرب .. من قدم أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى .."

أتذكر سيدة أُصيبت بصدمة من أن هذه المزمور يتحدث عن اليهود باعتبارهم "بني الموت" "المعوزين". ومع ذلك، ففي يوم ما سوف "يبني الله صهيون مرة أخرى ويُرى بمجده". *يقول الأحبار عن كلمات "صلاة لمسكين إذا أعيا" في بداية المزمور أنها تشير إلى داود الذي كثيراً ما تحدث عن نفسه باعتباره "مسكين"*. يروي مدراش *المزامير*، الذي بناءً على ذلك يعتبر المزمور بأكمله مزموراً لداود، كيف أن هذه الصلوات كانت تُقرأ في رأس السنة وفي يوم الكفارة العظيم، *وأن الله يتمنى أن يجعل شعبه "خليقة جديدة" وأن هناك "شعب سوف يولد" يسبح الرب*.

هناك خط مباشر من تعبيرات مزمور ١٠٢ إلى الأناجيل. إذ يستخدم مزمورنا لفظ تقني كثيراً ما يوجد في الأدب اليهودي وهو dor aharon، أي "الجيل الأخير". وتستخدم مخطوطات البحر الميت بالمثل نفس اللفظ في تصويراتها لجيل الأزمة في الأزمنة الأخيرة. يظهر ذلك على سبيل المثال في كسرة دمشق الأولى، ١١، و١٢، وأيضاً في التعليق على حبقوق I، ٣٣؛ II، ٧؛ وVII، ٢. تعني الكلمة العبرية *aharon* ببساطة "الأخير". وحيث أن الأدب اليهودي لديه لفظ آخر *dor ha-Ba*، "الجيل الآتي"، الذي يستخدم كثيراً، فهناك سبب وجيه لأن نتبع المعنى المعين لعبارة *dor aharon* في ترجمة مزمور ١٠٢، حتى لو لم يكن الفكر الغربي يقبل بشكل عام وجهة النظر الإسخاتولوجية للكتاب المقدس. ينطبق هذا التعليق أيضاً على شرح العهد الجديد.

كثيراً ما يُدعى أن يسوع قد علَّم بأنه سوف يعود في مجده أثناء فترة حياة جيله. إلا أن مثل هذه الادعاءات تتغاضى عن حقيقة أنه تحدث بقدر كبير، وفقاً لمتى ٢٤، ومرقس ١٣، ولوقا ٢١، عن "علامات" الأزمنة الأخيرة التي ستتحقق قبل مجيئه الثاني. وهي تشتمل على حقيقة أنه ينبغي أن "يُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة" و"تكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل

أزمـــنة الأمـــم (أي زمن الكرازة بالإنجيل)" – وبالإضافة إلى ذلك، سوف يقع العـــالم في فوضى تاريخية، وحتى كونية، قبل مجيئه. وحتى لا يرتبك التلاميذ من جراء تأخير سيدهم، فقد قدَّم في الإصحاحات الثلاثة المذكورة مثل "شجرة التيـــن"، أي إســـرائيل، باعتـــبارها علامة يجب أن تُتبع عن قرب. *تبرز كل الأناجـــيل الثلاث الأولى نفس النمط، الذي يوجد فيه أولاً مثل شجرة التين، ثم كلمـــات "لا يمضي هذا الجيل" قبل مجيئه، وأخيراً التأكيد بأن "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول"*. يتحدث مزمور ١٠٢ *في الآيات ٢٦-٢٧* عن *زوال السماء والأرض باعتباره ملحق لصورة ضيقة "الجيل الأخير"*. ويضيف، *"هـــي تـــزول وأنـــت تبقى". فمن المحتمل تماماً أن يكون يسوع قد تحدث في وصـــفه الإسخاتولوجي عن الضيقة التي في مزمور ١٠٢ وعن حدث رجوعه فـــي مجـــده بعـــد بناء صهيون*. إن صهيون هي قبل كل شيء إحدى الأسماء المحبـــبة لأورشـــليم. علـــى أية حال، فإن الادعاء بأن يسوع نفسه توقع عودة سريعة هو متهور وغير علمي.

يقـــدم مزمور ١٠٢ إضافة قيمة للغاية إلى التوقع الإسخاتولوجي الكتابي. يقول راشي عن هذا المزمور *أن رسالته* يجب أن *"تُبلغ إلى الجيل الأخير. كما أن "شـــعب ســـوف يُخلـــق" تعني أن الله سوف يخلق خليقة جديدة ليطلقهم من العبودية إلى الحرية ومن الظلمة إلى النور"*.

الفصل الخامس

المسيا في الأنبياء

إن فحصنا لأسفار موسى الخمسة والمزامير قد رسم لنا بالفعل صورة عن أن أقدم المصادر اليهودية تعكس كل الملامح الضرورية لرسالة العهد الجديد. يظهر هذا النوع من الإجراءات "الموضعية" – بالمعنى الأرسطي – الطبيعة متعددة الأوجه للفكرة المسيانية في التفكير اليهودي. وقد ناقشنا حقيقة أن المنهج التاريخي النقدي لا يمكنه أن يحقق العدالة إلى الطابع الإعلاني للعهد الجديد. وفي أحيان كثيرة كان يريد هؤلاء الذين يتبعون هذا النهج أن يجعلونا نؤمن بأنهم يمثلون النقد "التاريخي" فقط. لكن نادراً ما تكون هناك ألفة عميقة حقاً مع المصادر التاريخية أو علم الآثار. فإننا نصطدم بالمشاكل كلما قدم أحد ممثلي تلك المدرسة استنتاجاته إلى قوائم محتويات الإيمان المسيحي. لهذا السبب كانت هناك حركة، وخاصة في النرويج، نحو بديل للأسلوب التاريخي النقدي على هيئة منهج "تاريخي إعلاني". وذلك يستبعد كلا من التحليل التاريخي أو الحرفي، لكنه يفضّل أن يدع الكتاب المقدس يلقي الضوء على نفسه.

لا يجب أن يتم تفسير العهد القديم والجديد في انعزال عن بعضهما بعض. فقد قال يسوع لتلاميذه إن كل شيء لابد أن يحدث وفقاً لما هو مكتوب عنه في الأنبياء والمزامير؛ وأعلن بولس أمام الحاكم فيلكس أنه كان مؤمناً "بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء"؛ وقال بطرس إن "جميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع

الذين تكلموا سبقوا وانبأوا بهذه الأيام". ففي الفهم اليهودي يُعتبر صموئيل واحداً من الأنبـــياء، ويمـــتد من أسفاره خط مباشر للوعد المسياني من داود إلى سليمان وإلى الملك الممسوح الذي سيدوم عرشه "إلى الأبد"[١].

يحتوي كتاب الصلاة اليهودي على اعتراف الإيمان الخاص برمبم، حيث تقدم المـــادة الـــثالثة عشر منه الأساس لبحث مشترك يمكن أن يتم الاحتكام عليه: *"أؤمن إيماناً كاملاً أن كل ما تكلم به الأنبياء هو حق". كذلك يؤكد التلمود أيضاً، كما رأينا، على أن "كل الأنبياء الذين تكلموا سبقوا وانبأوا عن أيام المسيا".*

ومع ذلك فإن اللاهوت اليهودي، لو أمكن القول، ليس مؤسساً على العهد القديـــم وحده. فقد قال شالوم بن شورين، الكاتب واللاهوتي اليهودي المشهور، *إن اليهودية حافلة بذكريات "اللاهوت الكاثوليكي الذي يوجد فيه مرجعان ثابتان وهما: الكتاب المقدس والتقليد". كذلك فإن العهد القديم يُفسر على ضوء التقليد. وكثيراً ما يقول الأحبار إن "العهد القديم غير قابل للفهم بدون شروح علمائنا – تتـــبارك ذكـــراهم"*. ويـــتم تحاشـــي دراسة الأنبياء بوجه خاص في المدارس الـــيهودية، *اليشيفا*، وذلك لأن هذه الأسفار تبلبل أفكار الطلبة. بل أنه في بعض المـــدارس الدينـــية يُعاقب الطلبة لو وُجدت في حوزتهم مخطوطة من الأنبياء. وحتى يزيدوا من سلطة ومنزلة المعلمين فإنه يُقال أنه *"لو كرر الطالب كلمات حبره، يكون ذلك كما لو أنه كرر كلمات الروح القدس"*[٢].

ويُقال أيضاً إنه حتى التقليد الشفهي قد أُعطي مبكراً منذ زمن موسى[٣]. إذ يذكـــر تلمود أورشليم أن *"بعض الوصايا قد أُعطيت لموسى على جبل سيناء، وهي جميعاً محفوظة في المشنة"*[٤]. *علاوة على ذلك، فإن كل ما يعلِّمه الطالب المتمرس تحت رعاية حبره قد أُعطي من قبل لموسى على جبل سيناء"*[٥]. يؤخذ هـــذا الموقـــف أحـــياناً إلى استنتاجه المنطقي كما في قول الأحبار بأن *"كلمات*

---

[١] انظر ١ صموئيل ١٥: ٢٨، ١ صموئيل ٢٨: ١٧، ٢ صموئيل ٧: ١٣ ومزمور ٨٩: ٤.

[٢] *Sanhedrin* ١١٠a.

[٣] *Shabbath* ٣١a and *Berakoth* ٥a.

[٤] *Masechet pia* II, halacha ٦.

[٥] *Megilla* ١٩a.

الحكمـــاء القدامــــى لها أهمية أكبر من تلك التي للأنبياء"[٦]. يتأصل هذا الموقف بعمق في نفس اليهودي التقي.

وهناك حقيقة ثابتة في الفكر اليهودي وهي أن موسى، في روح تثنية ١٨، يُدعـــى "نبي". تذكر المادة السابعة لرمبم: "*أؤمن إيماناً كاملاً بأن نبوة معلمنا موســـى – سلام له – حقيقية، وأنه كان أبا الأنبياء، سواء هؤلاء الذين جاءوا قـــبله والذين جاءوا بعده*". كان ذلك هو الذي وضعناه في اعتبارنا عندما نظرنا بعمـــق شـــديد على التوقع المسياني المرتبط "بأسفار موسى". فبالرغم من أن التفسير التقليدي للناموس قد دفع بالرجاء اليهودي لمخلص خارج الصورة، إلا أن رمبم يؤكد في مادته الثانية عشر: "*أؤمن إيماناً كاملاً بمجيء المسيا؛ وحتى لو تأخر، فإنني سوف أنتظره كل يوم حتى يجيء*".

كملاحظة عامة فيما يتعلق بالشرح المختص بهذه النقطة يمكن أن يُقال أن بركة يعقوب، ورؤية بلعام، والوعد بمجيء نبي مثل موسى وحدهم في أسفار موســـى الخمســـة شـــكّلوا منذ مرحلة مبكرة براهين مسيانية غير قابلة للنقاش بالنســـبة لكـــل من اليهود والمسيحيين. كذلك فإن المزامير تحتوي بالمثل على نقاط انطلاق مقبولة بالنسبة لكلا الفريقين. ومع ذلك، فإن توقع مجيء مخلص كـــان باعثاً في اليهودية على مناقشة أكثر تنوعاً من تلك التي اعتدنا عليها في المسيحية. *ففي اللاتينية تعني كلمة textus، أي "نص"، "شيئاً منسوجاً"*. وسوف يكـــتمل هذا النسيج المتعدد الألوان المنسوج من أساليب مختلفة للتفسير عندما نبدأ البحث عن جذور إيماننا المسيحي في الأنبياء.

الطبيعة العامة للوظيفة المسيانية في الأنبياء

رأيـــنا بـــالفعل أن هـــناك ٧٢ تفسيراً مسيانياً في التراجم الآرامية يرتبط بمقـــاطع مختلفة في الكتاب المقدس. والحق يُقال إنه لا يمكن للنقاد أن يتأكدوا مـــن تـــاريخ مصدر التقليد الشفهي – فإن الأدب لم يتلقَ الشكل المكتوب الذي نعرفه الآن سوى أثناء النقل عبر القرون. يصنف التلمود ترجوم أونكيلوس في جـــيل التانيين Tannaites الثاني، أي بين عامي ٨٠ و١١٠. ويعتبره الحبران

---

[٦] *Jer. Talmud, Masechet berakoth* الفصل الأول، مقالة ٤.

أليعازر ويهوشع الأثر الأدبي لأونكيلوس نفسه، الذي عُرف عنه أنه كان *ger* أي "مهتدى حديثاً". يقول التلمود أيضاً في حديثه عن ذلك أن يوناثان بن عزيل الذي عاش في زمن يسوع وكان تلميذاً لهيليل العظيم قد تلقى تقاليده من حجي، وزكريا، وملاخي[٧]. إن الترجوم المقبول رسمياً في المجمع، ذلك الذي لأونكيلوس، يُدعى الترجوم البابلي مع وجود تبرير لذلك وهو في الواقع وثيق الصلة بالتلمود البابلي – فإن تلمود أورشليم لا يبلغ فعلياً سوى ١٢/١ من حجم نظيره البابلي. إن ترجوم يوناثان، الأكثر تلوناً بالصبغة المسيانية، يحتوي على مادة من الأزمنة السابقة للمسيحية. فمثلاً، فيما يتعلق بتثنية ٣٣: ١١، توجد لدى يوناثان صلاة طويلة تشير إلى يوحنا هيركانس الذي عاش منذ ١٣٥ – ١٠٥ ق م. يبدو أن جزءاً هاماً من تفسير يوناثان يُعتبر بالفعل ممثلاً للأفكار السابقة للمسيحية[٨]. وقد تعامل يوناثان هذا نفسه مع أسفار الأنبياء.

يُقدَّر أن العهد القديم يحتوي كله معاً على ٤٥٦ نبوة تتعلق بالمسيح. توجد منها ٧٥ في أسفار موسى الخمسة، ٢٤٣ في الأنبياء، و١٣٨ في "الكتابات" والمزامير. معظم هذه المراجع آيات منفصلة يرى فيها الأحبار بصفة خاصة الدافع المسياني. وفي بعض الحالات توجد إصحاحات بأكملها يجب أن توضع في الاعتبار.

تعتبر الدراسة النقدية للرجاء المسياني صعبة في كونها مادة إيديوغرافية (كتابة بالرموز)، أي مفهوم يمتلك طريقته الخاصة في استخدام اللغة. إن الكتاب المقدس هو وحي الله لنا. يقول بطرس، "الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء .. *باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح* .." و"تكلم أناس الله القديسون مسوقين بالروح القدس". لهذا السبب، "لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان"[٩]

نحن كمسيحيين نؤمن بأن الله قد تأنس في المسيح، *وبنفس الطريقة أُعطي وحي الله لنا في ثوب بشري*: لذلك فإننا *"نفتش"* عن المسيح في الكتاب المقدس.

---

[٧] *Megilla ٣a.*
[٨] انظر مارتن ماكنامارا، *الترجوم والعهد*، ص١٧٣-١٨٠.
[٩] ١ بطرس ١: ١٠-١١ و٢ بطرس ١: ٢٠-٢١.

لقد قسم أسابيوس، أبو تاريخ الكنيسة، الوظيفة المسيانية إلى ثلاثة أجزاء: الملكية، والكهنوتية، والنبوية[١٠]. *وأكثر ما يميز الأسفار النبوية هو أن تنبؤاتها المسيانية لديها بوجه عام نغمات توافقية إسخاتولوجية*: مثل "في ذلك اليوم"، أو "سوف تأتي أيام"، أو "في آخر الأيام"، أو "في يوم الرب"، أو "في هذه الأيام"، أو "في الأيام الأخيرة". وقد رأينا أيضاً أن الألفاظ الإسخاتولوجية تستخدم في اقتران مع أكثر النبوات المسيانية أهمية في أسفار موسى الخمسة. ففي شرح راداك لإشعياء ٢:٢، *"كل موضع تُذكر فيه الأيام الأخيرة هو أيضاً إشارة إلى أيام المسيا"*. سوف نعرض أولاً نظرة شاملة لما يقوله الأنبياء فيما يتعلق بالمسيا ثم ننظر على النبوات المرتبطة بميلاده وآلامه.

أنبياء المملكة الشمالية، إسرائيل

يربط *عاموس، وهوشع، ويونان* التحرير الآتي بالخط الداودي بالرغم من أن بيت داود الملكي لم يعد يحكم المملكة الشمالية. فقد نصب الملك سليمان الهيكل في أورشليم في محاولة لتوحيد البلد بأكملها دينياً. إلا أن المملكة الشمالية، التي تتألف من الأسباط العشر لإسرائيل، سريعاً ما انفصلت عن المملكة الجنوبية، يهوذا. أما الملك يربعام (٩٣٠ – ٩١٠ ق م) فقد كان يمتلك عجلين ذهبيين، أحدهما في بيت إيل والآخر عند دان في الحد الشمالي، وكان يُراد بهما أن يستأصلا السيطرة الروحية لأورشليم. وهذا الطقس الكنعاني القديم المرتبط بعبادة البعل كان هو بالفعل "خطية يربعام". فقد مر على إسرائيل ما يقرب من عشرين ملكاً قبل أن تسقط دينونة الله عليهم على هيئة آشور التي أخذت الأسباط العشر للمملكة الشمالية إلى الأسر عام ٧٢٢ ق م.

عاموس النبي

وُلد في تقوع بالقرب من بيت لحم، لكن عمله الأساسي كان في نطاق المملكة الشمالية. وقد ربط رؤيته عن التحرير المستقبلي ببيت داود، معلناً مجيء "يوم الرب" ومذكراً بشكل جزئي بوصف يوئيل الكوني لزمان الدينونة (عاموس ٥: ١٨–٢٠ و٨: ٩). مع ذلك فهو يتضمن رسالة رجاء:

---

[١٠] أسابيوس، *تاريخ الكنيسة*، I، ٣.

"ألســتم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب .. هوذا عينا السيد الــرب علــى المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض غير أني لا أبيد بيت يعقوب تماماً يقول الرب. لأنه هأنذا آمر فأغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم .. في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأحصّن شقوقها وأقيم ردمها .. وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون .. وأغرسهم في أرضهم ولن يُقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم" (٩: ٧-١٥).

كــان عاموس ناشطاً حوالي ٧٨٠ – ٧٤٠ ق م عندما لم يكن هناك بعد، بالمنطق البشري، أي أسس لمثل هذا الإعلان عن الدينونة.

تجــدر الإشارة عند هذه النقطة إلى الأثر الأدبي العبري ليائير هوفمان "نبوات في الكــتاب المقــدس تــتعلق بالأمم"[١١]. *يقدم الكاتب في هذا الكتاب وجهة نظر جديدة إلى الــيهود عندما يظهر التفكير الكوني لأنبياء إسرائيل: إذ لم تكن نبواتهم مجرد نتاج لنظرة قومــية ضــيقة، كما أنهم لم يجاهدوا لنقل رسالة عن التحرير لشعب إسرائيل فقط*. هذا الصوت يُعتبر غير مألوف نوعاً ما فيما بين النقاد اليهود.

كمــا أن *يلكــوت* ميتشري ، وهي مجموعة من التعليقات المتنوعة على العهــد القديم في التلمود، تلفت النظر فيما يتعلق بالآية التي تشير إلى الكوشيين أن كلا من صفورة زوجة موسى، الذي يعني اسمها "العصفور الصغير"، وعبد ملك الأثيوبي الذي أنقذ إرميا من البئر (إرميا ٣٨: ٧-١٣) كانا داكني البشرة. يلحق *التلمود* بحثاً بصورة "مظلة داود الساقطة" يُذكر فيه *أن المسيا كان يُعرف على نحو محبب باعتباره "بار نافلي" "Bar Naphli" لأنه كان سيسترد خيمة داود الساقطة. إن الفعل العبري "يسقط" يحمل كما في الإنجليزية المعنى الآخر للسقوط جسدياً، كما أن الأحبار يرون في الواقع ارتباطاً في هذا الاسم الغامض بحقيقة أنه "سقط من السماء"*[١٢]. *يشير الأحبار أيضاً إلى المسيا في أوقات باسم Anani، "مــن السحب"، أو Ben ha-Ananim، "ابن السحب" – فهو سيأتي حقــاً، بحسب كلمات الإصحاح ٧ من دانيال، "في السحاب". كما أن* Huios

---

[١١] **Jair Hoffman, *Ha-nevuot al ha-goyyim bamikrah*, Tel-Aviv University publication, ١٩٧٧ ٣٣٥pp.**

[١٢] انظر ***Sanhedrin*** ٩٦.

nephelon اليونانية، التي تعني "ابن السحب"، المستخدمة للمسيا، تُشتق أيضاً من الأبحاث الخاصة بسفر عاموس.

يقدم *السيلكوت* في تعليقه على عاموس إشارات عديدة عن المسيا. يقول عاموس ٤:٧ أن الله سوف "يمنع المطر" وسوف يرسل المطر "على مدينة واحدة وعلى مدينة أخرى لن يمطر". يلمّح اليلكوت إلى البحث الطويل الموجود في التلمود حول علامات الأزمنة الأخيرة التي تنتمي إليها هذه الخصيصة والتي سوف يأتي عندها زمن "ابن داود"[١٣]. يقول عاموس ٥: ١٨ إن يوم الرب "هو ظلام لا نور". ومرة أخرى *يستشهد اليلكوت بالتلمود* الذي يتحدث عن مجيء المسيا عندما *"تغطي الظلمة الأرض ويغطي الظلام الشعوب"*[١٤]. إن أحداث عاموس ٨: ١١ و٩: ١٣ التي تتحدث أولاً عن "الجوع لاستماع كلمات الرب" ثم الازدهار المادي الذي سيمتد حتى إلى الطبيعة، يراها كل من *اليلكوت* و*التلمود* باعتبارها ستحدث في أيام المسيا. يوضح *المدراش رباه* على التكوين بحثاً مثيراً عن عاموس ٩: ١١ وصفنيا ٣: ٩ كان من الأفضل أن يُكتب بأحرف من ذهب للإفادة منه:

"وماذا عن حقيقة أن الله سوف يسترد مظلة داود الساقطة كما هو مكتوب، "في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة"؟ إن ذلك يعني أن العالم بأسره سوف يكون عائلة واحدة (*agudah* بالعبرية، أي "مؤسسة" أو "جسد من الأشخاص")، كما يعد صفنيا (٣: ٩): "لأني حينئذ أحوّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة"[١٥].

يمكننا أن نرى أيضاً من هذه الاستشهادات أن التوقع المسياني اليهودي كثيراً ما يحمل توكيداً إسخاتولوجياً.

---

[١٣] *Sanhedrin* ٩٧a.
[١٤] *Sanhedrin* ٩٨b و إشعياء ٦٠: ٢.
[١٥] من مكتشفات القاهرة **Ber. Rabbah ٥٩, ١١**

ربط رجاءه بداود بنفس الطريقة، بالرغم من أنه عمل أيضاً كنبي لإسرائيل. إن ظهور عاموس، وهوشع، وإشعياء، وميخا حدث في نفس الوقت تقريباً. فعندما قيل أن أثر إشعياء الأدبي قد بدأ في عام وفاة عزيا الملك عام ٧٤٠ ق م، كان هوشع قد بدأ خدمته قبل ذلك بعشرين عام واستمر فيها لما يزيد عن أربعين عاماً. وقد كان هناك توق إلى الرجاء الذي كتب عنه هوشع منذ زمن بعيد جداً:

"لأن بني إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وبلا ترافيم. بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام" (٣: ٤-٥).

كذلك يرى هوشع الرجاء المسياني من وجهة نظر العهد:

"وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم .. وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب" (٢: ١٨-٢٠).

يشرح ترجوم *يوناثان*، فيما يتعلق بهذه العودة إلى الرب التي ستحدث في "الأيام الأخيرة"، أنهم *"سوف يكونون مطيعين للمسيا ملكهم، ابن داود"*. ومرة أخرى، فإن *المتسودات داود* لديه ما يقوله عن هذه الآيات:

"سوف يتشتت الإسرائيليون لمدة طويلة وسوف ينتظرون التحرير .. ولن تكون لديهم ذبيحة، لأن الهيكل سوف يكون خراباً .. وسوف يتجهون إلى آلهة مزيفة، لأنهم ينقصهم وحي الروح القدس والعبادة في المذبح .. لكن بعد زمن طويل سوف يرجع الإسرائيليون إلى بلدهم وعندئذ سوف يطلبون الرب ليسألوه على ما يحتاجونه، لأنه يعود ويسكب روحه عليهم؛ وعلى داود ملكهم، لأنهم سيطلبون أيضاً المسيا الملك".

تظهر أقوى نقطة اتصال مع المسيحية في التعليق على الآيات الأولى للإصحاح ٦: "هلم نرجع إلى الرب لأنه قد افترس فيشفينا؛ ضرب فيجبرنا.

يحييـــنا بعـــد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه. لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب. خروجه يقين كالفجر .."

يلمـــح المتسودات داود إلى أن هذه الآيات تتحدث عن استرداد إسرائيل: "لديـــنا هـــنا النفي إلى مصر والأسر في بابل؛ اليوم الثالث يعني أنه في زمن الخـــلاص الثالـــث، الذي سيأتي فيما بعد، سوف يقيمنا من الأعماق وتكون لنا حياة". في أجزاء المدراش على أسفار موسى الخمسة المكتشفة بالقاهرة، والتي سيكون لدينا المزيد لنقوله عنها في الجزء المختص بالعهد الجديد، *يرتبط "اليوم الثالث" في هذه الآيات بالقيامة وهروب يونان بعد ثلاثة أيام من بطن الحوت*.

إلا أنـــه يوجد تنويه مرة أخرى في الإصحاحات الأخيرة من هوشع عن قوة القيامة التي سوف يختبرها الناس يوماً ما:

"مـــن يـــد الهاويـــة أفديهم من الموت أخلصهم. أين أوباؤك يا موت أين شوكتك يا هاوية .. أكون لإسرائيل كالندى. يزهر كالسوسن ويضرب أصوله كلبنان .. وله رائحة كلبنان" (١٣: ١٤ و١٤: ٦).

اســـتخدم بولـــس هذه الآيات في تعليمه عن القيامة في ١ كورنثوس ١٥: ٥٥، ويقـــول تـــرجوم يوناثـــان عـــن هذا الزمن أنهم "سوف يمكثون في ظل مســـياهم". لقـــد بـــنى بولس في الغالب جسوراً بين العهدين القديم والجديد في المواضع التي كان يرى فيها حكماء عصره دافعاً مسيانياً.

يونان النبي

وهـــو أيضـــاً أحـــد أنبياء المملكة الشمالية، وقد حقق له مكانة مهمة في الأناجـــيل. وكثيراً ما أشار إليه يسوع (مثلاً متى ١٢: ٣٩-٤١، ١٦: ٤، لوقا ١١: ٢٩-٣٢ الـــخ). وُلـــد يونـــان بن أمتاي في جت حافر بأعالي الجليل (٢ ملوك ١٤: ٢٥)، وهكذا يكون قد جاء نبي حقاً من الجليل بالرغم من أن يوحنا ٧: ٥٢ يصف كيف أن نيقوديموس تعجل إلى إجابة تتشك فيما إذا كان كل ذلك ممكـــناً علـــى الإطلاق. جرت خدمة يونان أثناء حياة يربعام الثاني (٧٨٢ – ٧٥٣ ق م)، ممـــا يجعلـــه أقـــدم المدعويـــن *"بالأنبياء الصغار"*. ووفقاً للتقليد الـــيهودي، فـــإن يونـــان كان هو ابن أرملة صرفة الذي أقامه إيليا من الموت

والــذي قــيل عنه أنه أصبح بعد ذلك صبيه. وفيما بعد عندما ابتُلع يونان من الحوت ثم هرب، *كان ذلك الأمر وكأنه قام من الموت مرة أخرى. إن "علامة يونـــان" هـــذه التي يتم الإشارة إليها حتى في المدراش تُعتبر بذلك تأكيداً لائقاً لإيمـــان العهــد الجديــد بالقيامة*. يتحدث سفر يونان بصفة خاصة عن *المحبة للأعداء*، إذ أن الله أشفق على مدينة نينوى التي أرسل إليها نبيه.

وحيـــث أن التوقع المسياني اليهودي كثيراً ما يُربط إلى حد بعيد بالأزمنة الأخـــيرة، يجدر بنا أن نتذكر أن الإسخاتولوجيا لا تتعلق فحسب بتاريخ الأيام الأخـــيرة بل بكيف يجب أن نفهم بصفة خاصة الموت، والقيامة، وحقيقة الحياة بعـــد المـــوت – وجمـــيعها "قضايا ذات أهمية قصوى". وكما رأينا، فإنه حتى أسفار هوشع ويونان تتضمن إشارات إليها.

أنبياء المملكة الجنوبية، يهوذا

يمكـــن أن ينقسم أنبياء يهوذا إلى هؤلاء الذين كانوا ناشطين قبل الترحيل وهؤلاء الذين جرت خدمتهم فعلياً أثناء زمن السبي نفسه. ينتمي إلى المجموعة الأولـــى عوبديـــا، ويوئيل، *وصفنيا، وحبقوق، وميخا، وإشعياء، وإرميا*؛ وإلى الأخيرة *حزقيال ودانيال*.

يرتـــبط تاريخ ملوك يهوذا في المقام الأول بأسفار أخبار الأيام. وقد كان خـــير الأمة يعتمد على الهيكل وعلى دعوة الشعب نفسه باعتباره أمة كهنوتية. إن التقلـــيد الـــيهودي، الـــذي يقبله أيضاً كثير من العلماء المسيحيين، يذكر أن عـــزرا هو الذي كتب أسفار أخبار الأيام – فإن الآيتين الأخيرتين من ٢ أخبار الأيام هما في الحقيقة متطابقتان مع الآيتين الأولتين من سفر عزرا. من ناحية أخرى، فإن سفري الملوك يتتبعان في أغلبهما الأحداث التي جرت في المملكة الشـــمالية، إســـرائيل. ثم يدخل عزرا في هذه الصورة بوصفه عن إعادة بناء الهـــيكل بعد السبي والآمال المرتبطة بذلك. ويؤكد الأنبياء قبل وبعد السبي إلى بابل (في ٥٨٦ ق م) على أهمية الناموس والعدالة في حياة الأمة.

إن أنبـــياء يهوذا يرون الرجاء المسياني في المستقبل البعيد. فهم يتحدثون عـــن "يـــوم الرب" وعن "يوم الغضب" الذي تُمحص فيه أمة إسرائيل والخليقة

بأكملها[١٦]. ويصف إشعياء أيضاً نفس النظرة الكونية المألوفة جداً المعروفة لنا مــن سفر يوئيل[١٧]. "وأبقي في وسطك شعباً بائساً ومسكيناً فيتوكلون على اسم الــرب. بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً .." وهؤلاء المُنقَذون من صهيون يجدون ملجــأ[١٨]. لكــن مـــا الـــذي لـــدى أنبياء يهوذا ليقولوه بخصوص أيام المسيا؟

رؤية عوبديا،

وهـــو الاســـم الـــذي يُعـــرف به أقصر سفر في العهد القديم، تصوّر لنا الصـــراع بين أدوم وصهيون: "فإنه قريب يوم الرب على كل الأرض ..". في ذلـــك اليوم يكون بيت يعقوب ناراً وبيت عيسو قشاً. يُقال عن ذلك اليوم أننا لا يجـــب أن نـــنظر إلى أسفل "على يهوذا في يوم مصيبتهم". أما "جبل صهيون فـــتكون عليه نجاة" و"يكون المُلك للرب". *يقول يلكوت مشيري فيما يتعلق بهذا السفر* أن، "كلمة الله تتحدث بعشرة ألسنة: النبوة، والرؤية، والوعظ، والكرازة، والأقوال، والوصايا، والأمثلة، والفكاهات، والأحجية، والتخمين".

يذكر عوبديا في إصحاح واحد مرتين "النجاة" المرتبطة بصهيون. لهذا السبب *يعتبر الأحبار أنه يجدر السؤال هنا، "متى سيعود ابن داود؟" كما أنهم يصفون كيف أن إســـرائيل سوف تُترك وحدها في تلك الأيام. كذلك يأتي اليلكوت بكلمات زكريا: "وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون" (١٤: ٤). عندئذ يأتي الذي قيل عنه، "يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل"* (عدد ٢٤: ١٧). يشير المقطع الـــذي يقول "جبل صهيون فتكون عليه نجاة" إلى *"الآتي" .. "كانت المملكة قبل ذلك تنتمـــي إلـــى إســـرائيل، لكن حيث أنهم وقعوا في الخطية فقد أُخذت المملكة منهم وأُعطيـــت إلى الأمم وبيعت الأرض إلى الأغراب"*. يحتكم اليلكوت هنا إلى حزقيال ٣٠: ١٢ الـــذي يـــتحدث عـــن مجيء العقاب "بيد الغرباء". ومع ذلك، فوفقاً للآية الأخيرة من عوبديا، في النهاية "سوف يكون الملك للرب".

رسالة يوئيل المسيانية

هي كلمة قوية حتى بالنسبة للأحبار. فقد أثار يوئيل ٢: ٢٣ بصفة خاصة بحثاً:

---

[١٦] انظر على سبيل المثال عوبديا ١: ١٥، يوئيل ١: ١٥، ٢: ١-٢، صفنيا ١: ١٤-١٥ أو حبقوق ٣.
[١٧] إشعياء ٢٤: ١٧-١٩، ٤١: ١٥-١٦ ويوئيل ٢: ٣٠-٣١و٣: ١٣-١٦.
[١٨] صفنيا ٣: ١٢-١٦، يوئيل ٢: ٢٣ و٣: ٢١ وعوبديا ١: ١٧-٢١.

"يا بني صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب بإلهكم لأنه يعطيكم المطر المبكر على حقه وينزل عليكم مطراً مبكراً ومتأخراً في أول الوقت".

إن عبارة "المطر المبكر على حقه"، *moreh litsdaqah* (أو "المطر المبكر وفقاً للبر" AV margin) تعني حقاً *"معلم البر"* بالرغم من أن كلمة *moreh* "معلم" هي في الحقيقة مرادفة للكلمة المعتادة "لمطر الخريف"، *yoreh*. وهكذا يشرح ابن عزرا على سبيل المثال: *"إن "المعلم" يعني أنه سيعلم طريق البر" و"هناك فترة طويلة من الوقت بين المطر المبكر والمتأخر"*. يفهم الحبر ديفيد كيمهي المشابهة بأكملها باعتبارها تشير إلى المسيا: فإن كلمات الآيات التالية الخاصة "بالبيادر" التي ستُملأ بالحنطة هي *"مثل عن أيام المسيا". كما أن كلمة "بعد ذلك" (في الآية ٢٨) تعني "الأزمنة الأخيرة التي هي أيام المسيا، كما هو مكتوب: "لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب" (إشعياء ١١: ٩) ..، و"أسكب من روحي على كل بشر" تشير إلى إسرائيل .. "لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم"*. هذا الخط الأخير مأخوذ من المقطع الذي يصف "العهد الجديد" في إرميا (٣١: ٣٤). *كذلك يشرح المتسودات داود انسكاب الروح باعتباره يشير هنا إلى زمن المسيا*. يقدم هذا التفسير الخاص بالأحبار طعاماً وافراً بالتأكيد للفكر عند الاقتراب من العهد الجديد.

يتحدث يوئيل ٣: ١٨ في آخر الأمر عن *"ينبوع"* سوف *"يخرج من بيت الرب"*. وذلك فعلياً هو عكس صورة القحط والمجاعة في بداية النبوة. كذلك يختم سفر عاموس بعبارة أنه عندما يسترد الله ثروات الأمة "يدرك الحارث الحاصد ودائس العنب باذر الزرع". يربط إشعياء ٣٥ و٦٥ من جانبهما أحداثاً مماثلة مع التحقيق المسياني الأخير. *كما يرى يلكوت مشيري هنا ارتباطاً مع الصورة الموجودة في المدراش التي تتحدث عن أن الله سوف يسكب في أيام المسيا المن من السماء ويُخرج ينبوعاً يفيض من بيت الرب*. وهكذا فإن موسى "المخلص الأول" و"المخلص الأخير" الذي لم يأتِ بعد، يذكران ببعضهما البعض، *لذلك يفسر راداك ذلك باعتباره يشير إلى أيام المسيا*.

تذكـــر مخطوطـــات البحر الميت أيضاً "معلم البر" هنا وهناك[١٩]. وأساس هـــذه الصـــورة المسيانية الخاصة بقمران هو كلمات يوئيل ٢: ٢٣ على نحو مفهـــوم. ويلمِّح راشي بالمثل إلى هذا التفسير عندما يقول في بداية تعليقه على سفر زكريا أن، "نبوات زكريا غير قابلة للاختراق .. لن نفهم أبداً حقيقة كلماته حتى يأتي معلم البر".

كذلـــك يحق أن نقول في الواقع أن التفسير المسياني المسيحي يتلقى سنداً غزيـــراً من سفر صفنيا. ويقتبس بطرس وصف يوئيل لانسكاب الروح القدس بالكـــامل تقريباً في وعظته بيوم الخمسين (أعمال ٢: ١٦-٢١). يقول التلمود عن الروح القدس،

"بعـــد أن مـــات آخر الأنبياء غادر الروح القدس إسرائيل بالرغم من أن الصوت السماوي (*bath qol*، "بنت الصوت") كان لا يزال يُسمع"[٢٠].

لقـــد أدرك العلماء أن الروح القدس كان سيعمل بطريقة جديدة تماماً عند وصـــول المســـيا. ومرة أخرى، يعرض يوئيل ٢: ٣٢ في وصف يوم الرب أبســـط عقيدة للخلاص في الكتاب المقدس، وهي التي يقتبسها بولس في رومية ١٠: ١٣: "كل من يدعو باسم الرب يخلص".

صفنيا

ابن كوشي، أو "داكن اللون"، كان على ما يبدو من دم مختلط. إلا أنه كان رابع جيل من نسل الملك حزقيا كما أنه وفقاً للتقليد صديق طفولة لإرميا النبي. ربمـــا تكون الفرصة قد سنحت كذلك لصفنيا كي يشجع الملك الشاب عزيا في إصلاحه الروحي الذي حدث عام ٦٢٢ ق م. وقد كان فوق كل ذلك النبي الذي يبشر باقتراب يوم الرب والنهضة:

"اطلـــبوا الـــرب يا جميع بائسي الأرض الذين فعلوا حكمه. اطلبوا البر. اطلبوا التواضع. لعلكم تُسترون في يوم سخط الرب" (٢: ٣).

---

[١٩] على سبيل المثال التعليق على حبقوق ١: ١٢، ٥: ١٠، ٧: ٤، ٨: ٣، ٩: ٩-١٠ و١١: ٤-٥.
[٢٠] *Yoma* ٩b and ٢١b.

فسوف يحول الله يوماً ما "الشعوب إلى شفاه نقية". "بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً ولا يتكلمون بالكذب" (٣: ٩، ١٣). كانت إحدى المرسلات، د. أيلي هافاس، في أيامها الأولى بإسرائيل تستمع ذات مرة إلى أحد الأكاديميين اليهود وهو يمدح المقاييس الأخلاقية العالية للرواد الذين جاءوا إلى إسرائيل: فعلى ما يبدو لم يكن يُسمع شيئاً عن العنف، والسرقة، وإدمان الخمر في كل البلاد. وأخيراً تكلمت الخريجة الشابة ، وقد كانت كذلك في ذلك الوقت: "حسناً يجب أن أعترف أننا لدينا الكثير من الجرائم وإدمان الكحول في فنلندا – لكن الفنلنديين لا يختلقون أكاذيب في العادة". وعند ذلك انفلت أحد معارفها اليهود قائلاً، "هل هم بهذا الغباء؟" ذلك يوضح إلى حد ما الاتجاهات الشرقية وذلك رغم أن الأحبار أنفسهم يؤكدون على أن *"الحقيقة هي ختم الله"*.

إن صفنيا ٣: ٩ الذي يتحدث عن "تحويل الشعوب إلى شفاه نقية" يقول أن الجنس البشري سوف يعبد الرب يوماً ما "بكتف واحدة"، *schechem ehad* في العبرية أي "كتف إلى كتف"، أو "في اتحاد". يشير اليلكوت أنه وفقاً للتلمود، *"سوف تتبارك الأمم بإسرائيل في أيام المسيا"* [٢١]. وفيما يتعلق بالوعد الموجود في صفنيا ٣: ١١ بأن الله سوف "ينزع منك مبتهجي كبريائك" وأنه "لن تعودي بعد إلى التكبر في جبل قدسي"، يذكرنا اليلكوت بالبحث الموجود في التلمود الذي يقول أن *"ابن داود لن يأتِ إلا عندما ينقطع التفاخر في إسرائيل وعندما ينزع الله كبرياء الشعب .. ويترك شعباً بائساً ومسكيناً"* [٢٢]. إلا أن الإصحاح الأخير من صفنيا يحتوي على تعزية أخرى عميقة للنفس المجروحة: "يسكت في محبته" .. إن الله سوف "يخلص الظالعة ويجمع المنفية" ويسترد الثروات. "أجمع المحزونين على الموسم. كانوا منك. حاملين عليها العار".

حبقوق النبي

كان ناشطاً في السنوات الأخيرة لعزيا الملك (٦٤٠ – ٦٠٨ ق م). وقد "وقف على مرصده"، و"راقب" ثم أقام شكواه بخصوص انحلال شعب يهوذا. كما أنه نطق في خدمته بكلمات كانت ذات أثر بليغ في الفكر المسيحي

---

[٢١] *Avoda Zara* ٢٤a.
[٢٢] *Sanhedrin* ٩٨a.

والأســيني. *تظهر كلمات حبقوق ٢: ٤ - "والبار بإيمانه يحيا" - ثلاث مرات فــي العهــد الجديد*[٢٣]. *تترجم الترجمة السبعينية*، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديــم التي أُعدت عام ٢٠٠ ق م، هذه *الآية كالآتي "البار يحيا* *ek pisteos mou*، *"مــن إيماني" أو "من أمانتي" وفقاً لمعناها الثانوي - عندئذ يحيا المؤمن بالإيمان الذي يُحدثِه الله.*

إن عقــيدة التبرير بالإيمان هي جزء جوهري من رؤية العهد القديم المسيانية. إذ يــتحدث دانيال ٩: ٢٤ عن "المسيح" أو المسيا، الذي سيأتي "لتتميم الخطايا ولكفارة الإثم ولــيؤتى بالبر الأبدي" (*KJ* وفقاً للعبرية). ويؤكد إرميا ٢٣: ٦ و٣٣: ١٦ على أن اسم المســيا سوف يكون "الرب برنا"؛ ويشدد إشعياء ٥٣: ١١ على مغزى موت عبد الرب المــتألم بــالقول أن "عبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها". وذلك، كما رأيــنا، يجيــب على مضمون الآية الأخيرة في مزمور ٢٢، وهي أن الوليمة المسيانية *"تخبر ببره .. بأنه قد فعل"*.

تحــتوي مخطوطــات البحر الميت على عبارة ملحوظة في التعليق على حــبقوق: *"وأوصى الله حبقوق أن يكتب ما سيحدث في زمن الجيل الأخير؛ إلا أنه لم يكشف له الحكم الأخير. وفي القول "لكي يركض قارئها" كان يشير إلى معلم البر الذي كشف له جميع أسرار عبيده الأنبياء"*[٢٤].

يتحدث *اليلكوت* عن رؤية *"بعد إلى الميعاد، لكنها لا تتأخر"*: يقول التلمود عنها أن *"الأزمنة الأخيرة قد أتت علينا بالفعل، لكن المسيا لم يأتِ بعد"*[٢٥]. وتتبع ذلك إشارة إلــى أهمية إبراهيم باعتباره أبا الإيمان: *"سوف ترنم إسرائيل يوماً ما ترنيمة جديدة للآتي، كما هو مكتوب: "رنموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب" (مزمور ٩٨: ١)؛ مــا هــو الحق الذي لدى إسرائيل حتى ترنم ذلك؟ لأجل إبراهيم، لأنه آمن .. والــبار بإيمانــه يحيا"*. إن هذا التبسيط للوصايا إلى بضعة قوانين فردية يُقارن في مقطع آخر موازي "بهذه" الوصية الوحيدة للإيمان التي هي أهم من جميعها[٢٦]. فلا

---

[٢٣] رومية ١: ١٧، غلاطية ٣: ١١ وعبرانيين ١٠: ٣٨.
٢٤ تعليق على حبقوق، بداية من ص٧.
Sanhedrin ٩٧. ٢٥
Makkoth ٢٤. ٢٦

عجب إذن أن يكون بولس قد بنى جسراً بين إيمان إبراهيم وكلمات حبقوق في الإصحاح الثالث من الرسالة إلى غلاطية.

يختم حبقوق ٣: ١٨ رؤية النبي بالتسبيح: "فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي. الرب السيد قوتي". *ويشرح ترجوم يوناثان أن هذه الكلمة ترتبط بالتحرير الذي سيأتي به المسيا وبالمعجزات التي سيعملها. وفي أحيان كثيرة جداً يرتبط مطمح الفرح في العهد القديم بمجيء المسيا* كما نرى مثلاً في الإصحاحات ٩، ٦٠، و٦١ من إشعياء أو في يوئيل ٢: ٢٣ وزكريا ٩: ٩.

ميخا النبي

يقدم رواية مفصلة للرجاء المسياني أكثر من الأنبياء الآخرين السابقين للسبي. وقد كان ناشطاً أثناء فترة حكم ملوك يهوذا يوثام (٧٤٠ – ٧٣٢ ق م)، وآحاز (٧٣٢ – ٧١٦) وحزقيا (٧١٦ – ٦٨٧). وكان لكل من ميخا وإشعياء، اللذين كانا معاصرين، نفس الاهتمام بالأمة بل وحتى نفس الرسالة حرفياً في جزء منها: "اسمعوا أيها الشعوب جميعكم اصغي أيتها الأرض وملأها .. ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال .. وتجري الشعوب إليه .. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب" (ميخا ١: ٢، ٤: ١-٢ وإشعياء ١: ٢، ٢: ٢).

وكلاهما يتحدث بنفس الألفاظ عن ظهور المسيا.

ويرى ميخا أن سبط يهوذا سيكون بركة مرة أخرى في الأيام الأخيرة. في ذلك الوقت: "قد صعد الفاتك أمامهم. يقتحمون ويعبرون من الباب ويخرجون منه ويجتاز ملكهم أمامهم والرب في رأسهم" (ميخا ٢: ١٣).

عندما بحثنا ارتباط فارص بالإصحاح ٣٨ من التكوين رأينا *أن المسيا الذي سيحطم السياج المحيط بالناموس هو "الشخص الذي سيعد الطريق"، poretz في نبوة ميخا. يربط نفس الأصل هذا "الرائد" بالبحث الأكبر الخاص بالوظيفة المسيانية*. وقد رأى راشي في كلمات ميخا "*مخلصهم*"، *أي الشخص الذي سيفتح الطريق*"، في حين أن راداك يعتقد أن "*الشخص الذي سيفتح الطريق هو إيليا، وملكهم هو الغصن، ابن داود*". لقد رأى الأحبار ارتباطاً بين

هذه الآية ووصف إيليا في نهاية ملاخي، فهو إيليا الذي "سيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم" مرة أخرى (ملاخي ٤: ٦).

يصف الترجوم الملك الذي يرمز إلى المسيا في ميخا ٤: ٧ – ٨: "وأجعل الظالعة بقية والمقصاة أمة قوية ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن وإلى الأبد" ويقول الترجوم بطريقة غريبة نوعاً ما:

"لقد أُخفي مسيا إسرائيل بسبب خطايا صهيون، لكن سوف يطلع فجر الملكوت فيما بعد لأجله".

إن المتسلط الآتي في بداية *الإصحاح* ٥ الذي سيخرج من سبط يهوذا، *يفهمه الترجوم أيضاً باعتباره يشير إلى المسيا*.

"أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل".

عند النظر إلى مزمور ١١٨ مثلاً يجدر بنا أن نعترف مرة أخرى بأننا قد رأينا راشي يطابق هذا المتسلط مع "حجر الزاوية" الذي سيُرفض ومع *Yinnon* أو فكرة "يمتد" في مزمور ٧٢: ١٧. لقد كان المسيا ممتداً أمام الشمس، والقمر، والنجوم بالطبع. يصف هذا الاسم الخاص كذلك كيف أنه سوف "يوقظ أبناء التراب من الموت". من المستحيل إطلاقاً أن نفهم ما الذي لدى العهد الجديد ليقوله بدون بعض الألفة مع هذه الجذور لإيماننا التي تنبثق من الأدب اليهودي.

تظهر النغمة المسيانية لسفر ميخا بوضوح أيضاً من حقيقة أن كلا من التلمود والمدراش يلصقان به أبحاثهما عن المنقذ الآتي[٢٧]. إلا أن ميخا لديه، كما هو الحال مع إشعياء، رسالة التعزية الخاصة به:

"قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح .. وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك. ولكنني أراقب الرب أصبر لإله خلاصي .. إذا سقطت أقوم. *إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي*

[٢٧] *Sanhedrin* **٩٧a and ٩٨b,** ***Sutta*** **٤٩b and the Midrash to Canticles, ٨: ١٠.**

.. سـيخرجني إلـى الـنور سأنظر بره. من هو إله مثلك غافر الإثم .. يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتطرح في أعماق البحر جميع خطايانا"[٢٨].

يمكننا أن نذكر هنا أنه وفقاً لدانيال ٢: ٢٢ فإن الله "يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو في الظلمة *وعنده يسكن النور*". إن أحد أسماء المسيا السرية، *"Nehora"*، هو مأخوذ من هذه الآية، وعندما نظرنا على مزمور ٢٢ رأينا أن المدراش يتحدث عن المسيا الذي "جلس في الظلمة والأعماق" – كذلك يعد ميخا بأن الرب نورنا سوف يأتي إلى ظلمة الناس.

إشعياء النبي

كان ناشطاً لمدة أربعين عاماً بعد موت عزيا الملك عام ٧٤٠ ق م. يقول التقليد اليهودي أنه ابن أخي أمصيا سلف عزيا، ومن ثم فهو ابن عم عزيا. وذلك يقدم أيضاً شرحاً لحقيقة أنه يبدو أن لديه إمكانية مباشرة للاقتراب من الأسرة الحاكمة واحتمال أن يكون لديه بعض التأثير على القرار السياسي لهذا الزمان. عاش إشعياء في زمن لم يكن فيه فساد مملكة يهوذا في أسوأ حالاته بعد. وبالرغم من ذلك، كان كنبي واحداً من "أنواء عاصفة التاريخ" وقد تنبأ بخراب الأمة الوشيك. فلم يكن قضيب الرجاء سيخرج من "جذع يسى" إلا عندما يُقطع مباشرة عند مستوى الأرض (إشعياء ١١: ١ و١٠).

يوجز إشعياء وظيفة المسيا كنبي ورئيس كهنة. فهو يرى ميلاده، وجلاله، وإذلاله، ومجد رفعته. كما يصف إشعياء رجاء القيامة، والسماء الجديدة والأرض الجديدة، والدينونة الأخيرة[٢٩]. لذلك دُعي عن حق "كارز العهد القديم". علاوة على ذلك، فكما أن الكتاب المقدس بأكمله ينقسم إلى ٣٩ سفر في العهد القديم و٢٧ في الجديد، فإن التسعة والثلاثين إصحاحاً الأولى من إشعياء هي في المقام الأول إعلانات للدينونة والسبعة وعشرين الأخيرة هي "سفر للتعزية". فالجزء الأول من الأسفار النبوية هو بصفة عامة عبارة عن دينونة على الأمم، بينما تحتوي الإصحاحات الأخيرة على تعزية ورجاء مسياني. ومع ذلك، فإن نغمة التوبيخ والغفران تسمع مباشرة من الأوتار الافتتاحية للإصحاح الأخير.

---

[٢٨] ميخا ٦: ٨، ٧: ٧-٩ و١٨-١٩.
[٢٩] إشعياء ٢٥: ٧-٩، ٢٦: ١٩، ٣٠: ١٩-٢٠ و٦٦: ٢٢-٢٤.

إن الطبيعة المسيانية لسفر إشعياء واضحة جداً لدرجة أن أقدم المصادر اليهودية، الترجوم، والمدراش، والتلمود تتحدث عن المسيا في سياق ٢٦ آية منفصلة. وباستطاعة أي شخص يتمنى أن يعوِّد نفسه على هذه الخلفية *أن يرجع إلى القائمة بأسفل*[٣٠]. وبالرغم من أن هذه الأعمال تخبرنا شيئاً عن جذور إيماننا المسيحي، فإن أهم شيء على الدوام هو رسالة الكتاب المقدس كما هي.

هناك قسمات أساسية معينة تغلب على وعظ إشعياء. وهي تأتي في المقدمة في كل من الطبيعة العامة لعرضه وفي كلماته المُفسرة مسيانياً.

أ) *أولاً، تظهر رسالة التوبة والمصالحة في بداية نبوته مباشرةً:*

"اسمعي أيتها السماوات واصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم. ربيت بنين ونشأتهم. أما هم فعصوا علي. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم. ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين. تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء. على م تُضربون بعد. تزدادون زيغاناً. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم". "اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن فعل الشر". "هلم نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (١: ١-٥، ١٦، ١٨).

ب) *وحتى التوبيخ يعرضه النبي بجمال شعري:*

"لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً معصرة فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً. والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني

---

٣٠ نقرأ في التلمود التالي باعتباره إشارة إلى المسيا: إشعياء ٤: ٢، ٩: ٥، ١٠: ٢٧، ١١: ١، ١١: ٦، ١٤: ٢٩، ١٦: ١، ٢٨: ٥، ٤٢: ١، ٤٣: ١٠، ٥٢: ١٣ و٦٠: ١. وفي إشارة إلى إشعياء يعلق التلمود على الفكرة المسيانية في: شابات ٨٩ب، بيساشيم ٥أ، ٦٨أ، روش هاشانا ١١أ، موعد قطان ٢٨ب، بياموث ٦٢أ و٦٣ب، كيتوبوث ١١٢ب، سنهدرين ٣٨أ، ٩١أ، ٩٣ب، ٩٤أ، ٩٧أ، ٩٧ب، ٩٨أ، ٩٩أ و١١٠ب. كما أن اليلكوت والمدراش ليسا متضمنين هنا. إن ملاحظات الترجوم، وهو إعادة الصياغة الآرامية للكتاب المقدس، قصيرة جداً بصفة عامة. فمثلاً يقول إشعياء ١٦: ١: "أرسلوا خرفان كتقدمة لحاكم الأرض". وهذا يشير إلى حقيقة أنه لم يكن موآب يرسل خرفان تقدمة للملك عند موت آحاز الملك عام ٧١٦ ق م. يشير الترجوم إلى حقيقة أن "التقدمة يجب ان تُقدم إلى المسيا". إن فكرة أن الخرفان التي تخص المسيا عن حق يجب أن تُقدم له يمكن أن تقدم عوناً جيداً باعتبارها "ترجوم" أو موضوع عظة لزماننا. إن القارئ اليوم لا يدرك بسهولة قطار أفكار التلمود حيث أنه يهتم بشكل رئيسي بشرح الناموس اليهودي. كذلك يمارس المدراش هذا النوع من الإسهاب الذي لا يملك عادةً نقاط مشتركة مع الفكر المسيحي.

وبين كرمي. ماذا يُصنع لكرمي وأنا لم أصنعه له. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنـــباً رديئاً. فالآن أعرفكم ماذ أصنع بكرمي. أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس" (٥: ١–٥).

لديــنا هــنا انعكاسات لكلا من كسر "السياج المحيط بالناموس" و"دوس" أورشــليم (أفســس ٢: ١٥ ولوقا ٢١: ٢٤) وبذلك يكون لدينا مثال آخر لكيف يكون للعهد الجديد معنى لائق فقط في ضوء القديم.

ج) كثــيراً مـــا تكــون للمقــتطفات الخاصة بالمسيا في إشعياء *خلفيتها التاريخــية الخاصـــة*: فإننا نقرأ في إشعياء ٧: ١٤، "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل"

الذي تفسيره "الله معنا". يبدو أن النبي ربما كان يشير إلى أبي ابنة زكريا التي كانت أم حزقيا ابن آحاز (٢ ملوك ١٨: ١–٢). فقد توقع اليهود أن يصبح هـــذا الملـــك التقي حزقيا المحرر الحقيقي للأمة من التهديد الشمالي. إن كلمة *almah*، التي ترجمتها الترجمة السبعينية قبل المسيح بمائتي عام كي تعني في المقـــام الأول "العـــذراء" كانت مع ذلك أيضاً "علامة" لما كان سيأتي. وبنفس الطـــريقة تشـــير بداية الإصحاح ٩ بتنويهه عن "كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي" إلى أراضي الجزية الخاضعة للملك الأشوري تيجلاث بيلاصـــر. إلا أنه "يكرم *الأخير* طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم". وهكذا فـــإن المناطق بعينها التي قام فيها يسوع بمعظم خدمته قد توصلت إلى اختبار أن "الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً". "وتكون الرياسة على كتف" الطفـــل الذي علّق عليه إشعياء كل آماله. بل أن حتى اسمه يحمل صفة إلهية: "عجيـــباً، مشـــيراً، إلهاً، قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام" (إشعياء ٩: ١–٦ وفقاً للعـــبرية). إن التأكـــيد على "المستقبل" يقود كذلك إلى تفسير مسياني تؤخذ فيه بالاعتبار السمات فوق التاريخية للمخلص الآتي.

د) *آفاق الرجاء التي ينيرها فجر النبي، وفقاً لكل من إشعياء وباقي الأدب النـــبوي، على "بقية" الشعب*[٣١]. يستخدم إشعياء لذلك ألفاظ "قضيب"، و"غصن"، و"أصـــل"[٣٢]. "يكـــون غصـــن الرب بهاءً ومجداً" .. إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها .." (٤: ١-٤). فإن "مسيح" الرب سوف يعـــزي الودعـــاء، وهؤلاء الذين في السجن، وهؤلاء الذين يشعرون بالحزن، معطـــياً إيـــاهم "دهن فرح عوضاً عن النوح ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة"، كما هو موعود في الإصحاحات ٤٢، و٥٢، و٦١ على سبيل المثال. أشـــار ذات مـــرة عالم ذائع الصيت أن العبرية هي اللغة السامية الوحيدة مثل الأوغاريتـــية والآرامـــية التـــي لا ينقصـــها مفهوم "الرجاء". فقد أنتج المنفى، والاضـــطهاد، والـــيأس هـــذه الكلمة *tikvah*، التي يستمد منها النشيد القومي الإسرائيلي *Ha-tikvah* اسمه.

ذ) *يشـــخّص رجـــاء إشـــعياء المسياني في "سفر التعزية" الخاص به في الأوصاف المؤثرة العديدة عن "عبد الرب المتألم"*. وأهمها هي إشعياء ٤٢: ١-٧، و٤٩: ١-٦، و٥٠: ٤-٩، و٥٢: ١٣-٥٣: ١٢. وتضـــيف الإصـــحاحات ٦١ و٦٢ اللمســـات الأخـــيرة لهذه السمات. *يشير الترجوم إلى المسيا باعتباره عـــبد الـــرب ثلاث مرات: أولاً: في كلمات إشعياء ٤٢: ١، "هوذا عبدي الذي أعضـــده .. وضـــعت روحي عليه"؛ ثانياً: فيما يتعلق بالعبد في ٤٣: ١٠ الذي "اخـــتاره" الله؛ وثالثاً في ٥٢: ١٣، الذي يبدأ فيه حقاً مقتطف المجمع عن عبد الـــرب "المـــتألم"*. ويـــتجلى في الواقع غياب الإصحاح ٥٣ من الفصل النبوي الســـنوي للمجمع *haphtarot* وجميع التعليقات القروسطية. وبدلاً منه توجد عبارة بين قوسين فحواها *"إنه توجد بعض الأشياء المفقودة هنا!"*[٣٣].

لكن ما هي رسالة الرجاء المسياني لإشعياء كما تبدو في شكلها المكتوب؟ ينبغـــي أن يتمكـــن القارئ من أن يتصورها كصورة واحدة متكاملة. وسوف نحاول فيما يلي أن نرى عناصر تلك الصورة:

---

[٣١] انظر إشعياء ١٠: ٢٠-٢٢، ١٦: ١٤ أو ٢٨: ٥ وإرميا ٦: ٩، حزقيال ٦: ٨ وزكريا ٨: ١٢ أو تثنية ٢٨: ٦٢-٦٤.

[٣٢] انظر إشعياء ١١: ١، ١٠ و٥٣: ٢ أو إرميا ٢٣: ٦ وزكريا ٣: ٨، ٦: ١٢ الخ.

٣٣ انظر المقطع المماثل في اليلكوت مشيري.

"ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمـــة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون في مخافـــة الـــرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض" (١١: ١-٤). "ويسمع في ذلك اليوم الصـــم أقوال السفر وتنظر من القتام والظلمة عيون العمي. ويزداد البائسون فرحاً بالرب ويهـــتف مســـاكين الناس بقدوس إسرائيل" (٢٩: ١٨-١٩). "هوذا عبدي الذي أعضده مخـــتاري الذي سُرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يـــرفع ولا يُســـمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق" (٤٢: ١-٣). "أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بـــيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة" (٤٢: ٦-٧).

كذلـــك فـــإن إسرائيل أيضاً هو عبد الرب: "والآن اسمع يا يعقوب عبدي وإسرائيل الذي اخترته. هكذا يقول الرب صانعك وجابلك من الرحم معينك. لا تخف يا عبدي يعقوب ويا يشورون [هذا الاسم مأخوذ من تثنية ٣٢: ١٥وهو يســـتخدم كاســـم محبب لإسرائيل ومعناه "المستقيم"، أو "الأمين"] الذي اخترته. لأني أسكب ماءً على العطشان وسيولاً على اليابسة. أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك" (٤٤: ١-٣).

هـــــ) بالـــرغم من أن إشعياء يتحدث عن رمز المسيا كما لو كان فرداً وأمة معاً، فهو يمركز التحرير القومي على شخص يدعوه كورش:

"أنـــا الـــرب .. القـــائل عن كورش راعيّ فكل مسرتي يتمم ويقول عن أورشـــليم ســـتُبنى وللهـــيكل ستؤسس. هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً .. نطقتك وأنت لم تعرفني .. أنا قد أنهضته بالنصـــر وكل طرقه أسهّل. هو يبني مدينتي ويطلق سبيي. لا بثمن ولا بهدية .." (٤٤: ٢٨ – ٤٥: ١، ٥، ٣٣).

يـــتحدث إشعياء في نبوته عن أحداث وقعت بعد حوالي ٢٠٠ عاماً. وقد كتب المؤرخ اليوناني زينوفون عن هذا الحاكم في اثنين من آثاره الأدبية. وفي أحدهما، الذي يُدعى Kyroupaideia أو "ثقافة كورش" يقول أن هذا الملك لم

يصـــطبغ بالقســـوة. ويحكي كيف أنه كان من المتنبأ أن يصير ملكاً وكيف أنه كان سيُقتل في طفولته، لكن الراعي الذي كان يرعاه أنقذه. حكم كورش فارس مـــن ٥٥٩ – ٥٣٠ ق م وكان بارزاً بسبب حقيقة أنه أنقذ السامرة وأكادية من الدمار ودافع عن الحقوق الدينية لمختلف الأمم. ووفقاً لهذه المبادئ الخاصة به فقـــد منح اليهود الحق للبدء في إعادة بناء الهيكل الذي كان خراباً، وذلك بأمر كتابي منه[٣٤]. يرى بعض النقاد أن اسم كورش قد أُضيف في تاريخ متأخر إلى إشعياء، بينما يرى آخرون أن هذا التقليد الخاص بإشعياء على وجه الخصوص مصحوباً بتأثير اليهود الهام في فارس ربما يكون قد تسبب في أن يتخذ الحاكم هـــذا الاســـم لنفســـه. على أية حال، فإن شخصية كورش تتطابق مع الصورة المعطاة في إشعياء.

و) *والأكـــثر بـــروزاً في إشعياء هو تلك اللمحة التي يقدمها لنا عن عبد الـــرب المتألم*. فذلك الأمر هام للغاية بالنسبة للتفسير المسيحي للأسفار المقدسة حتى أننا سوف نلمع إليه مرة أخرى بشكل منفصل كما هو الحال مع موضوع مـــيلاد المســـيا. وهذه الصورة هي ضمن المجموعة التي تصف وظيفة المسيا باعتباره رئيس كهنة. يذكر إشعياء:

"أعطانـــي السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة. يوقظ كل صباح. يوقظ لي أذناً لأسمع كالمتعلمين. السيد الرب فتح لي أذناً وأنا لم أعاند. إلى الوراء لـــم أرتـــد. بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق. والســـيد الـــرب يعيننـــي لذلك لا أخجل .. " (٥٠: ٤–٧). "أشيدي ترنمي معاً يا خرب أورشـــليم لأن الـــرب قد عزى شعبه فدى أورشليم. قد شمر الرب عن ذراع قدسه أمام عـــيون كـــل الأمـــم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا .." (٥٢: ٩). "هوذا عـــبدي يعقـــل يـــتعالى ويرتقي ويتسامى جداً. كما اندهش منك كثيرون. كان مـــنظره مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم. هكذا ينضح أمماً كثيرين" (٥٢: ١٣–١٥).

---

[٣٤] انظر مثلاً *Encyclopaedia Judaica* وعزرا الإصحاحات ١–٦.

يتـــبع ذلك وصف عن المتألم الذي كان "مجروحاً لأجل معاصينا مسحوقاً لأجــل آثامنا" (الإصحاح ٥٣). إن هذه الصور تعتبر كونية في قصدها، وهي تتحدث بوضوح عن "الفداء" و"الكفارة" اللذين سيقوم بهما عبد الرب المتألم.

ي) *يعطـــي إشـــعياء للـــرجاء المســـياني بعـــداً كونـــياً ويصف طبيعته الإســـخاتولوجية*. ويكون في أحد الأيام أن "أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم" (١١: ١٠). وسوف يفني الله "الغطاء المغطى به على كل الأمم. يُــبلع المــوت إلى الأبد" (٢٥: ٧-٨). أما عبد الرب الممسوح فسوف يُجعل "عهداً للشعب ونوراً للأمم" (٤٢: ٦). فقد جُعل "نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصـــى الأرض" وقــد أُعد ليكون "عهداً للشعب" (٤٩: ٦-٨). "وهكذا ينضح أممـــاً كثيريـــن" (٥٢: ١٥ هامش NIV). "فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك .. يأتي إليك غنى الأمم .. الجزائر تنتظرني" (٦٠: ٣، ٥، ٩). "ارفعـــوا الـــراية للشعب. هوذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض قولوا لابنة صـــهيون هوذا مخلصك آت" (٦٢: ١٠-١١). في ضوء هذه الرؤية الكونية، التـــي تبرهنت بالفعل في "أسفار موسى" تبدو وصية يسوع بالذهاب إلى "جميع الأمم" طبيعية تماماً.

يتمـــنى إشـــعياء أن يؤكـــد أهمية هذه السمة من وجهة نظر العهد. ففي الإصـــحاح ٢٤ الذي يمكن اعتباره أقوى وصف للدينونة الآتية على العالم في الأيـــام الأخيرة، يُقال لنا أن الله سوف "يقلب وجه الأرض"، وأن سكان الأرض "ســـيحترقون" لأن الناس قد "تعدوا الشرائع غيّروا الفريضة *نكثوا العهد الأبدي*" (آيـــة ٥). إلا أن الإصحاح ٥٥ يقول إن جميع العطاش بإمكانهم أن يأتوا إلى المياه، وهو يقدم الوعد:

"أمـــيلوا آذانكـــم وهلموا إليّ. اسمعوا فتحيا نفوسكم *وأقطع لكم عهداً أبدياً* مراحم داود الصادقة".

وهو يواصل:

"هـــا أمـــة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك *وقدوس إسرائيل لأنه مجدّك*" (٥٥: ٥).

يشرح راداك أن *"المراحم الموعودة لداود" ترمز إلى المسيا، حيث ان اسم "داود" يُستخدم عنه، كما أنه مكتوب أن "عبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد"* (حزقيال ٣٧: ٢٥) .. سوف يكون *معلماً للأمم ..*" *وعن المسيا يقول، "سوف يحذر الشعوب ويوبخهم"*[٣٥]. ويواصل المقطع من حزقيال: "وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم *عهداً مؤبداً*". يتفق إرميا أيضاً مع هذا التنويه عن "عهد أبدي" ويذكر أنه سيكون *"عهداً جديداً"* مؤسساً على غفران الخطية (إرميا ٣٢: ٣٩-٤٠ و٣١: ٣١-٣٤).

إن أقدم المصادر اليهودية، كما رأينا، تشير إلى المسيا في ٦٢ موضع مختلف بإشعياء، بالرغم من أن مجرد لمحة في حد ذاتها تكفي لأنه تقنعنا بالاتجاه المسياني "لكارز العهد القديم".

إرميا

آخر الأنبياء الكبار لمملكة يهوذا، وقد بدأ خدمته في السنة الثالثة عشر للملك عزيا، عام ٦٢٧ ق م، وواصل إعلانه بعد خراب أورشليم عام ٥٨٦ ق م بوقت قصير. وقد أصبح "نبي الأمم"، ودُعي "ليقلع ويهدم ويهلك وينقض ويبني ويغرس" (١: ١٠). وكان ذلك يعني في التطبيق العملي دعوة إلى الفشل: فقد قوبل بالعنف، والسجن، وألقي به في حفرة، ونُعت بالخائن، ويبدو أنه قد رُجم في النهاية. وقد تمكن إرميا، وهو ابن لأحد الكهنة، من ملاحظة تطور إصلاح ٦٢٢ من الذين حرضهم معاصره، الملك الشاب عزيا، وذلك نتج عن إكتشاف "سفر الناموس" أثناء ترميم الهيكل، من إحدى حجراته المتداعية للسقوط، وهو على ما يظهر جزء من سفر التثنية (٢ ملوك ٢٢ و٢ أخبار الأيام ٣٤). وقد تم اختبار عصر مشابه للنهضة في وقت إشعياء عندما طهر الملك حزقيا الأرض من عبادة الأوثان (٢ ملوك ١٨). ومع ذلك فقد أصبح الهيكل، والناموس، والختان يمثلون أماناً زائفاً للناس (إرميا ٧، ٨ و٩). لكن إرميا وقف بشجاعة "على باب بيت الرب" ووبخ الشعب لأنهم قد حولوا المكان إلى مغارة لصوص. لم يعد كافياً أن ينشدوا "هيكل الرب، هيكل الرب"

---

[٣٥] مقطع مماثل، ***Mikraoth Gedoloth***

أو "إننا نملك الناموس" أو "سلام، سلام"، في حين أن كل من القلب واللسان قد تعــود على الخداع. وقد ناضل إرميا أيضاً ضد الأنبياء الكذبة وغير الروحيين (٢٣: ١٦-٤٠). فإن من لديه كلمة الله يجب ان يتحدث بها بأمانة:

"أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب وكمطرقة تحطم الصخر" (٢٣: ٢٩).

لقــد قُــدِّر أن الألفاظ المستخدمة للإشارة إلى مخاطبة الله للإنسان، "يقول الرب"، "جــاءت كلمة الرب"، و"هكذا قال الرب" تظهر في الكتاب المقدس ٣٨٠٨ مرة – ٥٠٠ مرة منها في سفر إرميا وحده. فقد بدأت الوظيفة النبوية بوجه عام عندما تحدث الله، مع وجــود ذكر في أحيان كثيرة للعام بل وحتى الشهر الذي ابتدأت فيه. فالكتاب المقدس هو حقاً سجل لكل كلمات الله مع الإنسان.

يقــول الإصــحاح ٢٣ مــن إرميا بخصوص الاستماع إلى الكلمات التي يتحدث بها الله:

"ولــو وقفــوا فــي مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم".

إن الكلمــة المســتخدمة "لمجلس" أو "مشورة"، هي *sod*، اي "سر"، تؤكد حقيقة أننا نتقابل مع الله "في السر". ومع ذلك فإن إرميا لم يشعر بالأذى الواقع علــى شعبه باعتباره دخيلاً. فقد قال أن قلبه كان "منكسراً" بسبب كسر شعبه؛ وقــد "بكى سراً" لأن "شعب الله سوف يُسبى" و"تلوى في ألم". وعندما تمنى أن يصــمت كــان الأمــر كما لو أن هناك "ناراً حارقة" في قلبه. وبهذه الطريقة عــرض "النبــي الباكــي" للعهد القديم خصائص يعتقد بعض النقاد أنها أعطت زخمــاً إضــافياً لتوقع المسيا المتألم. إلا أنه كلما اقترب خراب أورشليم كلما أصبح صوت النبي أكثر تعزية حتى كشفت الرؤية المسيانية عن بهائها الأكثر إشراقاً في الإصحاحات ٣٠ – ٣٤. فإن هذه الإصحاحات تحمل معظم نبوات إرميا عن المسيا.

كذلــك نجــد لفظاً إسخاتولوجياً مرتبطاً بنبوات إرميا. فإن عبارة "ها أيام تأتي" توجد ١٦ مرة في السفر في حين أنها تأتي خمس مرات فقط في مواضع أخرى بالكتاب المقدس:

"ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر" (٢٣: ٥-٦ و٣٣: ١٥-١٧)؛ "ويكون في ذلك اليوم يقول الرب .. يخدمون الرب إلههم وداود ملكهم الذي أقيمه لهم" (٣٠: ٨-٩)؛ "في آخر الأيام تفهمونها" (٣٠: ٢٤).

يتحدث إصحاح ٣١ بأكمله عن هذا الزمن الذي يلي رجوع اليهود إلى وطنهم، ويذكر مرتين إفرايم، "الابن العزيز" لله، و"بكره"، و"الولد المسر"، وهي جميعها عبارات يعتبرها الأحبار تعبيرات مسيانية. فكما رأينا، يرتبط إفرايم بصفة خاصة بالتفسير اليهودي للمخلص المتألم. وتتحدث الآيات ٣١ - ٣٤ عن "عهد جديد" يضع الله فيه شريعته "في داخلهم ويكتبها في قلوبهم" وسوف "يصفح عن إثمهم" ويعد في ٣٢: ٣٩-٤٠:

"وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم. وأقطع لهم عهداً أبدياً .."

يفسر الترجوم الآرامي الآيات التالية من إرميا باعتبارها مسيانية: ٢٣: ٥، التي تقول أن الله سوف *"يقيم لداود غصن بر"*؛ ٣٠: ٩: *"يخدمون الرب إلههم وداود ملكهم"* – لو أمكنني أن أقول كلاماً جانبياً عند هذه النقطة: ففي إحدى المرات في مدرستنا العبرية بأورشليم رأى طالب شاب في هذه الآية وآية أخرى مماثلة الكلمة العبرية *la'avod*، أي "يخدم" بمعنى *"يعبدون الله"*، وهو في الحقيقة المعنى الذي تحمله الكلمة في أكثر الأحيان بالعهد القديم؛ ٣٠: ٢١، الذي وفقاً له *"يكون حاكمهم منهم"*؛ وحتى ٣٣: ١٣ ويعطي له مغزى مسيانياً: *"تمر أيضاً الغنم تحت يدي المحصي* [أي الراعي]"؛ ويتلوهم على الفور الاسم الذي يشير إلى غصن بر داود وإلى أورشليم"، *"الرب برنا"*، وهي أيضاً نبوة مسيانية في الترجوم. *نجد كذلك في التلمود ثلاثة أبحاث عن سفر إرميا تعالج مجيء المسيا*[٣٦].

إن أكثر إسهامات إرميا أهمية عن الفكرة المسيانية توجد في نبوته عن غصن البر الذي سيُدعى "الرب برنا". يظهر هذا الاسم في التلمود باعتباره اسماً سرياً للمسيا، ويساند ميل المسيحيين الأوائل لقراءة "الرب" أو "يهوه" في العهد القديم و"كيريوس" اليونانية باعتبارهم يشيرون إلى المسيح[٣٧]. وهكذا

---

[٣٦] Berakoth ١٢b, Baba Bathra ٧٥b and Sanhedrin ٩٨b.

[٣٧] انظر على سبيل المثال Baba Bathra ٧٥b.

وسعت الكنيسة الأولى تفسيرها المسياني، وقد تبنت في ذلك مبدأً يجب التسليم بأنه كثيراً ما يتطابق مع مشاهد مماثلة يأتي بها أدب الأحبار.

هناك نقطة أخرى يجب ملاحظتها في إرميا وهي في كلمات "البكر" و"الابن العزيز" المستخدمة عن إفرايم، وهو الاسم الذي يرتبط مع أكثر الأوصاف الصادمة للمسيا المتألم في التقليد اليهودي، كما رأينا عندما نظرنا على مزمور ٢٢ على سبيل المثال. يحتوي التلمود على تقليد يختص بتاريخ هذا الابن ليوسف والذي وفقاً له حاول *"أبناء" إفرايم أن يغزوا كنعان قبل الأوان فلاقوا حتفهم في هذا النضال*[٣٨]. ومع ذلك، فإن أكثر النبوات المسيانية أهمية في إرميا هي الوصف الموجود بالإصحاح ٣١ للعهد الجديد الموعود به.

الأنبياء الذين كانوا ناشطين أثناء السبي

إن كلا النبيين حزقيال *ودانيال* من زمن السبي ينتميان إلى الرموز الرئوية للأدب الأبوكريفي. فإن الأدب اليهودي السري يهتم على وجه الخصوص بالظواهر المحيطة بدعوة حزقيال. فإذا كان باستطاعتنا أن نقول عن إرميا بطريقة ما أنه كان وزير داخلية أورشليم، عندئذ يكون حزقيال في خدمة مكتب الخارجية، فقد كان يتابع عن بعد من بابل ما كان يحدث للمدينة المقدسة. وباعتباره "رائياً"، فقد كان يجعل أخباره معروفة للسامعين في نفس اليوم بالرغم من أنه لم يكن يوجد مذياع بالطبع. يجدر بنا مقارنة حزقيال ٢٤: ١-٢، و٢ ملوك ٢٥: ١، وإرميا ٣٩: ١ و٥٢: ٤. وقد تلقى حزقيال دعوته ورؤيته في بيته على ضفاف نهر خابور عام ٥٩٣ ق م وعمل كنبي لمدة ٢٠ عام.

رسالة حزقيال المسيانية

توجد بصورة عامة في الإصحاحات ٣٣-٣٩. فإن الأشخاص الذين تشتتوا مرة سوف يُجمعون مرة أخرى مثل "العظام اليابسة"، وسوف ينفخ الله روحه فيهم (إصحاح ٣٧). لقد كان حزقيال هو نبي العهد القديم الأكثر "كهنوتية"؛ لا عجب إذن أنه يكرس إصحاحات عديدة (٤٠-٤٨) لوصف الهيكل الآتي وطقوسه الذبائحية الرمزية. كما تحتوي نبوته أيضاً على كثير من التعزية للنفس العطشانة (إصحاح ٣٤ على سبيل المثال).

---

[٣٨] انظر *Sanhedin* ٩٢ب.

يصــف حزقــيال *المسيا باعتباره "فرع الأرز العالي"* الذي سيقطفه الرب ويغرسه فــي تــربة إســرائيل (١٧: ٢٢-٢٤). وسوف يأتي "كل طائر" ويضع عشه "في ظل أغصــانه" (قــارن متى ١٣: ٣٢). *ومرة أخرى تبرهن رسالة هذا الإصحاح على أنها لديهــا خلفيــتها التاريخية الخاصة*: لذلك فإن النبي مجبر على أن يقدم "استعارة" و"مثل". يأتــي نسر عظيم، وهو الملك البابلي نبوخذنصر (٦٠٥-٥٦٢) إلى "لبنان"، التي ترمز إلــى أورشــليم في الأدب اليهودي، ويقصف "رأس خراعيبه"، أي الملك يهوياقيم الــذي ملــك لمدة ثلاثة أشهر فقط أو ما شابه، ويجيء به إلى "مدينة التجار". ويؤخــذ بعض من "زرع الأرض"، أي الملك صدقيا، وينبت ويصير كالكرمة. وقد كان ينبغي أن تنعطف تلك الكرمة "نحو النسر" لكنها عطفت أصولها نحو نسر عظــيم آخــر، وهو الفرعون المصري، بالرغم من أن إرميا قد حذره بخصوص ذلــك. لكــن حزقــيال يسأل، "هل ينقض عهداً ويفلت؟"، وهكذا يأخذ نبوخذنصر صــدقيا إلى بابل وفي النهاية يغلب مصر أيضاً (٥٨٢ ق م). إلا أن الله يأخذ مرة أخــرى "فــرعاً"، و"غصــناً" ينبت منه "أرزاً واسعاً" على جبال إسرائيل، يبني في أغصــانه كل الناس أعشاشهم. *يرى راشي والمتسودات داود ضمن آخرين "المسيا الملك" في هذه الصورة ونبوة سوف تتحقق في "أيام المسيا"*.

كمــا يــتحدث حزقيال عن حقيقة أنه في زمن المسيا سوف يكون للناس "قلباً واحداً" (قارن أعمال ٤: ٣٢ وإرميا ٣٢: ٣٩):

"أجمعكــم مــن بين الشعوب .. وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلكم روحاً جديــداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها ويكونوا لي شعباً فأنا أكون لهم إلهاً" (١١: ١٧-٢٠).

يســتخدم حزقــيال لفــظ *ben adam*، الذي يعني حرفياً "طفل الإنسان"، بطــريقة تذكّــر بالعبارة الآرامية المماثلة *bar enash*، أي "ابن الإنسان"، في ســفر دانــيال (٧: ١٣)، وهي عبارة استخدمها يسوع كثيراً عن نفسه. وذلك يشــير بشكل طبيعي في حزقيال إلى النبي نفسه. ومع ذلك، فإن نفس الموقف، كما يصف في ٣٣: ٣٠-٣٣ على سبيل المثال، يتكرر في حياة يسوع:

"وأنــت يا ابن آدم فإن بني شعبك يتكلمون عليك بجانب الجدران وفي أبواب البــيوت ويتكلم الواحد مع الآخر الرجل مع أخيه قائلين هلموا اسمعوا ما هو الكلام

الخـــارج مـــن عـــند الرب. ويأتون إليك كما يأتي شعبي ويجلسون أمامك كشعبي ويسمعون كلامك ولا يعملون به لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم. وها أنت لهم كشعر أشواق لجميل الصوت يحسن العزف فيسمعون كلامك ولا يعملون به. وإذا جاء هذا. لأنه يأتي. فيعلمون أن نبياً كان في وسطهم".

ويتحدث حزقيال عن المسيا باعتباره "راعياً" (إصحاح ٣٤ و٣٥):

"وأقيم عليهم راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود هو يرعاها وهو يكون لها راعــياً. وأنـــا الرب أكون لهم إلهاً وعبدي داود رئيساً في وسطهم. أنا الرب تكلمت. وأقطع معهم عهد سلام .. (٣٤: ٢٣-٢٥)". "وداود عبدي يكون ملكاً علــيهم ويكــون لجمــيعهم راعٍ واحد .. وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد. وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً" (٣٧: ٢٤-٢٦).

إن ادعاء يسوع بأنه هو الراعي الصالح لا يُعقل إلا إذا تم قبول شرح الأحبار لنـــبوة الراعي في حزقيال. يقول راداك فيما يتعلق بالإصحاح ٣٤ أن "راعيّ داود" هـــو المســـيا، وكذلك يقول راشي. ويقول المتسودات داود: "إنه المسيا الملك الذي ســـيخرج من نسل داود؛ هو يعتني بهم ويصبح راعيهم". ويذكر راداك عن النبوة الواردة في الإصحاح ٣٧ أن، "راعي داود" تعني المسيا الملك. وهو يُدعى داود لأنه من نسل داود". و"هناك إشارة هنا إلى القيامة من الأموات". وعندما نظرنا من قبل علـــى مـــزمور ٢ رأينا كلمات من الزهار بشأن الراعي الصالح: "أنت هو الراعي الأمين، قيل عنك، "قبلوا الابن"..".

كمـــا يشـــير حزقـــيال ٣٦: ٢٥-٢٧ إلـــى "عملية قلب" ذُكرت من قبل في الإصحاح ١١:

"وأرش علـــيكم ماءً طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهـــركم. وأعطـــيكم *قلـــباً* جديداً وأجعل *روحاً* جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم. *وأجعل روحي في داخلكم* .."

هـــناك بعض المشاكل تنشأ نتيجة لبعض الجوانب المبهمة في حزقيال. إذ يـــروي الإصحاح ٤٧ بالتفصيل أنه يوماً ما سوف تخرج المياه من "تحت عتبة البيت نحو المشرق" وسوف ترتفع حتى تكون "مياه سباحة" متسببة في أن تنمو

"أشـــجار كثيرة جداً" على جانبيه. كما إن البحر الميت، في ذلك الوقت المعين على بعد كيلومترين فقط عند أقرب له من أورشليم، سوف يكون مملوئاً "سمك علـــى أنواعـــه كسمك البحر العظيم (البحر المتوسط) كثير جداً". وفقاً للعلماء، يكون ذلك محتملاً في أي وقت لو أن ما يُدعى "بالشق الأفريقي الشرقي" الذي يـــبدأ بعيداً جداً في تنزانيا ويصل من خلال البحر الأحمر إلى منخفض البحر الميـــت، يتشـــعب لسبب ما. لقد رأيت أنا نفسي خرائط مفصلة تظهر كيف يتم تتبع الوضع بأساليب مرجفية (راسمة للزلازل) وأساليب أخرى. فهناك قنوات في حوض البحر الأحمر تكون فيها درجة حرارة المياه ٥٠ بسبب رقة القشرة الأرضـــية، كما أن شواطئ خليج العقبة، على سبيل المثال، تتحرك باستمرار بعيداً عن بعضها بمعدل خطر. يقدم يوئيل ٣: ١٨ وزكريا ١٤: ٤-٨ أوصافاً مماثلـــة لمعجـــزات المـــياه الغامضـــة في الأيام الأخيرة. كما يظهر البحث الجيولوجي إمكانية حدوث كل ذلك.

هـــناك مظهر غامض أيضاً يربطه الأحبار دائماً تقريباً بالأزمة المسيانية التـــي ستحدث في الأيام الأخيرة، وهو يخص ما يُدعى بحرب جوج وماجوج ونزع السلاح الذي سيتبعها (الإصحاحات ٣٨-٣٩). هناك تقريباً نبرة عصرية لهـــذه الأوصاف. فإن إصحاح ٣٧ يصف أولاً شعب إسرائيل الذي أُقيم تقريباً مـــثل "عظـــام يابسة" من قبورها وأُرجع إلى أرضه، ثم يروي الإصحاح ٣٨ كيف أن شعوب الشمال سوف "يتسلحون" ضدهم. وذلك سوف يحدث "في الأيام الأخـــيرة" (آيـــة ١٦). لكـــن عـــندما يُهاجَموا "يكون رعش عظيم في أرض إســـرائيل". و"تـــندك الجـــبال وتسقط المعاقل .. وأمطر على المهاجمين مطراً جارفـــاً وحجارة برد عظيمة وناراً وكبريتاً". ويخبرنا الإصحاح ٣٩ أنه عندما تنتهـــي الحـــرب "يخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح"، مما سيســـدد احتـــياجهم لمـــدة سبع سنوات، "ويُفرز أناس مستديمين .. على وجه الأرض تطهـــيراً لها". و"بعد سبعة أشهر [من دفن الغزاة الموتى] يفحصون". ويُختـــتم الإصـــحاح بالوعد: "ولا أحجب وجهي عنهم بعد لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرب". هناك إشارة متكررة في التلمود وخاصة

فـــي المـــدراش المـــتأخر عن هذه الأحداث الخاصة بالأيام الأخيرة باعتبارها علامات لمجيء المسيا (السؤال في متى ٢٤: ٣).

توجد كذلك *نبوة ملغزة* في وسط الإصحاحات التي تصف الهيكل الآتي (٤٠-٤٨)، بخصـــوص الباب الشرقي "الذي أُغلق". *تثير هذه الآيات (في بداية الإصـــحاح ٤٤) إهـــتماماً كبيراً بالنسبة للشراح اليهود، حيث أنهم يرون فيها إشارة إلى المسيا*:

"فقـــال لـــي الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الـــرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً. الرئيس الرئيس هو يجلس فيه ليأكل خبزاً أمام الرب".

يفهم راداك، والمتسودات داود، والبيور ها إبنيان "الرئيس" باعتباره يرمز إلـــى المسيا الملك. وهم في ذلك يشيرون إلى الآية الرابعة التي تقول أن "مجد الـــرب قـــد مـــلأ بيت الرب". يقول البيور ها إبنيان عن الباب المغلق أن *"إله إســـرائيل دخـــل منه فيكون مغلقاً". هذا يعلمنا أن "الروح القدس لن يغادر من هـــناك. فبعد أن جاء ودخل إلى الهيكل أُغلق الباب"*. ترتبط هذه الآيات بطريقة مـــا بالطـــبع بكلمات حزقيال ١١: ٢٣ التي تقول "صعد مجد الرب على وسط المدينة ووقف على الجبل الذي على شرقي المدينة".

مـــن الجائـــز أن تكـــون هذه المظاهر الغامضة توضيحية لتوقع عام بأن المســـيا سوف يأتي ويشغل هيكله. وربما يكون حجي ٢: ٩ يتحدث كذلك عن هـــذا الـــرجاء عـــندما يقول أن "مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول". هناك فكر شائع في الإسلام يختص بهذا الباب الشرقي أو الذهبي، وهو أنه عندما يرجع "عيسى" – يسوع – سوف ينفتح الباب. ومع ذلك، حيث أنه لم يُغلق على ما يبدو سوى عام ١٥٣٠ م، فمن الصعب أن يكون حزقيال قد عنى ذلـــك. فإننا يجب أن نسلم ببساطة أنه حتى في التوقع المسياني اليهودي هناك بعـــض الجوانـــب لـــم توجـــد لها بعد حلول. إلا أننا لا ينبغي أن نتجاهلها في محاولـــة لـــتقديم تقريـــر عن فكر الأحبار. بل يجب على المسيحي أن يتذكر ببســـاطة أن يســـوع نفســـه قـــد ابتعد عن القضايا السياسية والقضايا الجانبية الأخرى وكان يركز في المكانة الأولى على وظيفته كفادي. إن إسهام حزقيال

الرئيسي يرتبط بما يقوله عن المسيا باعتباره الراعي الصالح وبوعده عن التجديد الروحي للناس.

دانيال

هو نبي السبي الكبير الآخر. وقد أُخذ إلى السبي على ما يبدو مع حزقيال في نفس الترحيل الذي تم عام ٦٠٥ ق م. وكان ناشطاً منذ صغره لمدة ٦٥ عام وحتى "العام الأول لملك كورش" عام ٥٣٧ ق م على أقل تقدير. وقد ادعى الفيلسوف الأفلاطوني المحدث بورفيروس عند منعطف القرن الثالث والرابع الميلادي فيما يتعلق بتاريخ تأليف سفر دانيال أنه لم يُكتب إلا في وقت الثورة المكابية عام ١٦٠ ق م. بالرغم من ذلك فإن اللغة العبرية لدانيال تقترب من لغة حزقيال، كما أن آخر الأجزاء التي كُتبت في إصحاحاته الآرامية (٢: ٤ب-٧: ٢٨) هي منذ عام ٣٠٠ ق م. *كذلك فإن إحدى مخطوطات قمران، الآرامية، وهي "تكوين أبوكريفون" (١٥٠-١٠٠ ق م)، تختلف بشكل ملحوظ عن اللغة الآرامية لدانيال في تركيب الجملة، وترتيب الكلمات، والمفردات وعلم الإملاء كما أظهر الأستاذ* جليسون *ل. آرش وآخرون*. إن الغياب الكامل للكلمات اليونانية الدخيلة، باستثناء ثلاث آلات موسيقية كانت على الأرجح جزءاً من مفردات عالمية، يشير أيضاً إلى زمن قبل إمبراطورية الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق م)[٣٩]. وقد ترك لنا يوسيفوس فكاهة مثيرة في تاريخه: قيل أن الإسكندر قد زار أورشليم بعد فتحه لمصر وأن رئيس الكهنة بكل جلاله قد خرج لاستقباله. وعندما انحنى الإسكندر أمام رئيس الكهنة سُئل لماذا فعل ذلك. فأجاب أنه كان فعلياً ينحني لله الذي يعتبر رئيس الكهنة ممثلاً له، وأنه بينما كان لا يزال في مقدونية تلقى حلماً عن هذا الاجتماع. *ثم أُظهر للملك "من سفر دانيال المقطع الذي يقول أن هناك شخصاً يونانياً سوف يأتي ليدمر الإمبراطورية الفارسية بأكملها"، وقيل أن الإسكندر* خمن *أن ذلك كان يشير إليه*[٤٠].

---

[٣٩] **Gleason L. Archer Jr., Das Hebraische im Buch Daniel verglichen mit den Schriften der Sekte von Qumran, Basel ١٩٧٢, or K. A. Kitchen, The Aramaic of Daniel, Bibel und Gemeinde ١٩٦٥, ٤; ٧٧, p٤١٤.**

[٤٠] انظر العصور القديمة لليهود، XI؛ ٨، ٥.

إن الســؤال عما إذا كان موسى أو إشعياء، على سبيل المثال، هم الكُتاب الحقيقــيون للأســفار التي تحمل أسمائهم ليس له أهمية مركزية. إذ أن إشعياء نفســه قــد أُوكل إليه أن "يصر الشهادة" و"يختم الشريعة بتلاميذه" (٨: ١٦). وقد عمل الكاتــب باروخ كناسخ لإرمياء، وكان عليه أن يكتب مرة أخرى الدرج الذي أحرق منه الملــك يهوياقيم أربعة شطور في كانون النار بمساكنه الشتوية (إصحاح ٣٦). إلا أن ما يقولــه باروخ عن إرميا هو نموذجي حتى عن ذلك الزمن: "كان يقرأ لي كل هذا الكلام وأنا كنت أكتب في السفر بالحبر" (آية ١٨). كما أن كلاً من إليشع وإيليا كان لديه أنبيائه التلامــيذ. لــيس هــناك ما يمنعنا من التفكير أن كل نبوات دانيال هي حقاً من فمه وأن "مدرسته" قد حفظتها عن طريق الكتابة في مرحلة مبكرة جداً.

إن الــذي لــدى دانــيال ليقوله عن المسيا يبلغ ذروته في رؤيته عن هذه الصــورة "وإذا مــع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى". *يقول راشي عن ذلك بطــريقة مباشــرة تماماً "إنه المسيا الملك". كما تفهم المتسودات داود بطريقة مماثلــة أن "هــذا يشير إلى المسيا الملك"*. يتحدث دانيال ٧: ٩ عن "عروش" بصــيغة الجمــع، وقــد فهمها الحبر أكيبا في زمانه باعتبارها لله وللمسيا، ثم تواصل الصورة من آية ١٣:

"كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديــم الأيــام فقربوه قدامه. *فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض*".

رجوعاً إلى الإصحاح ٢ والآية ٤٤ نجد تلميحاً إلى أنه "يقيم إله السموات مملكــة لن تنقرض أبداً" وسوف "تثبت إلى الأبد". كثيراً ما استخدم يسوع عن نفســه عــبارة "ابن الإنسان" إذ انها توحد من ناحية ناسوته ومن ناحية أخرى رجوعه في آخر الأيام. علاوة على ذلك، فإن السلطان لإعطاء الأمر بالكرازة بالإنجيل "لكل الأمم" يتأسس على هذه الآيات.

إن بحث دانيال المميز على المسيا يتمركز حول

أ) كلمات ٢: ٢٢:

"هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور".

يقول المدراش رباه، فيما يتعلق بالكلمةِ الآرامية *Nehora*، أي "نور" في هذه الآية:

""عنده يسكن النور"؛ هذا هو المسيا الملك، لأنه مكتوب: "قومي استنيري لأنه قد جاء نورك" (إشعياء ٦٠: ١)"[٤١].

كذلـك فإن المدراش على المراثي يحتوي على بحث هام مرتبط بخراب الهيكل: "فـي اللحظة التي دُمر فيها الهيكل وُلد المسيا .. لكن العاصفة أخذته معها". إن هذا الفكر هـو على ما يبدو نتيجة لحقيقة أن المسيا لابد أن يكون قد جاء أثناء زمان الهيكل الثاني وفقـاً لدانيال ٩. بعد ذلك يتحدث المدراش عن المسيا باعتباره *"المعزي ومحيي الروح"، و"الـرب بـرنا"، "Hanina" أو "المدعو رحمة"، و"الغصن"، و"Yinnon"، "يمتد"، الخ. ويقـول الحـبر سـرونجايا [من منطقة بالقرب من طبرية]: إنه اسمه Nehira، لأنه مكتوب فيه نور (nehora)"*[٤٢].

ب) *إن أكثر الأبحاث المختصة بالمسيا اتساعاً توجد في تفسير مفهوم "ابن الإنسـان" الوارد بالإصحاح ٧*، وإن يكن متناثراً عبر صفحات الأدب اليهودي الواسع. فقد رأينا من قبل كيف أن هذه العبارة تُقبل باعتبارها نعتاً للمسيا حتى في الأوساط اليهودية. يشرح الحبر سعدية جاون (٨٨٢-٩٤٢ م)، الذي يُعتبر أحـد المعلميـن البارزيـن في عصره، أنه *"هو المسيا برنا؛ أليس مكتوباً عن المسيا، "وديعاً وراكباً على أتان"؟ فهو سيأتي في وداعة، وليس في كبرياء على ظهـر حصان. وفيما يتعلق "بمجيئه على السحاب"، فذلك يخص محفل الملائكة السماويين، وهنا تكمن العظمة التي يمنحها الخالق للمسيا"*[٤٣].

ت) *الوجه الثالث للبحث المسياني* يتمركز حول كلمات الإصحاح ٩ التي تـتحدث عـن زمـان مجيء المسيا وكيف أن "الخطية سوف تتم"، وكيف أن "المسيح"، أي المسيا، سوف يُسلم إلى الموت، وأن "القدس" سوف يُخرب. وقد تمت مناقشة ذلك من قبل.

ث) *يتحدث دانيال أيضاً عن رجاء القيامة:*

---

٤١ *Bereshith Rabbah*, parasha ١.

٤٢ *Midrash Eicha Rabbah*, end of parasha ١. Note *Nehira / nehora.*

٤٣ *Mikraoth Gedoloth* المقطع المماثل و*Sanhedrin ٩٨a*. قارن مرقس ٨: ٣٨ أو متى ١٦: ٢٧.

"وكثـــيرون مـــن الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي .." (١٢: ٢-٣).

ج) *وقـــد أعطـــى ســفر دانيال دفعة قوية للتوقع الإسخاتولوجي الخاص بالأيام الأخيرة*، الذي كثيراً ما يتحدث اليهود فيما يتعلق به عن المسيا.

هـــناك "قاسم مشترك" مفيد عند التأريخ لدانيال وهو عبارة "إله السموات" الذي سيؤسس المملكة، أو التنويه عن "ملك السماء" الذي صلى له، على سبيل المثال، نبوخذنصر عندما شُفي من مرضه العقلي (٢: ٤٤ و٤: ٣٧)[٤٤]. كانت هـــذه العـــبارة شائعة على ما يبدو في بابل في الوقت الذي تحدث عنه دانيال بالتحديد[٤٥]. كما أنه يُبحث كثيراً في الشرق الأقصى عما إذا كانت أقدم الديانات فـــي الصـــين هي إيمان "بإله السماء". إذ أنه يُعرض في متحف القصر القومي الشهير في تايباي نموذج صيني لمذبح بسيط مكون من ثماني درجات كان يُعبد فـــيه "إلـــه السماء" في ذلك الزمان، وهو اليوم مُحاط على الدوام بجماعة من المستفسرين. إذ أن ذلك يشكل موضوعاً مثيراً لبعض الباحثين الشباب.

الأنبياء الذين ظهروا بعد السبي

إن الأنبـــياء حجـــي، وزكـــريا، وملاخي الذين كانوا ناشطين بعد السبي البابلـــي ركزوا آمالهم المسيانية على الهيكل الجديد. حيث يوجد وصف للخلفية التاريخية لذلك الزمان في أسفار عزرا ونحميا.

حجي

تلقى نبوته في السنة الثانية للملك داريوس عام ٥٢٠ ق م وواصل إعلانه لمـــدة ٤ شهور. وهو يصور التعارض الذي فيه "هذا الشعب قال إن الوقت لم يـــبلغ وقت بناء بيت الرب"، في حين أن الرب قال، "هل الوقت لكم أن تسكنوا فـــي بـــيوتكم المغشـــاة؟" وعلى الرغم من ذلك، فإن الله قد "نبه روح" الحاكم زربـــابل والكاهن يهوشع حتى أنهم "جاءوا وعملوا الشغل في بيت الرب". وقد

---

[٤٤] انظر مثلاً ٢ أخبار الأيام ٣٦: ٢٣، عزرا ١: ٢، نحميا ١: ٤، ٥، و٢: ٤ أو يونان ١: ٩ وكلمات إبراهيم إلى رئيس خدمه في تكوين ٢٤: ٣.
[٤٥] كذلك فإن الدراسة المطولة لسي. هـ. كانج وإيثيل ر. نيلسون تثير الاهتمام، *اكتشاف التكوين .. في اللغة الصينية*، دار نشر كونكورديا، سانت لويس ١٩٧٩، ص ١٣٩.

أُعطي الوعد عن هذا الهيكل بأن، "مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول" (٢: ٩). وبهذه الروح تمكن حجي من تشجيع معاصريه:

"فـــالآن تشدد يا زربابل .. وتشدد يا يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وتشـــددوا يـــا جمـــيع شعب الأرض .. يقول رب الجنود حسب الكلام الذي عاهدتكم به .. وروحي قائم في وسطكم. لا تخافوا. لأنه هكذا قال رب الجنود. هـــي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض .." (٢: ٤-٦). "فمن هذا اليوم أبارك .. وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك يقول رب الجنود" (٢: ١٩، ٢٣).

يـــربط الأحـــبار هذه الرسالة العامة بتوقع عن "الخلاص" يُطمح إليه في زمن "نهاية النهاية" و"الأيام الأخيرة". فإن الله سوف يزلزل السماء والأرض وقلوب الأمم. *يقول المتسودات داود في تعليقه على الخاتم، "كما أن الخاتم لا يُنزع من يـــد المالك، هكذا محبتي لن تبتعد عنه، لأني "اخترتك". لقد اخترت واحداً من نسلك ليكون المسيا الملك"*. وفي الواقع، فإن زربابل هذا، الذي يُذكر في سلسلة نسب يسوع، قد أصبح ختم الفكرة المسيانية *(انظر متى ١: ١٢).*

زكريا

بـــدأ خدمـــته بعد حجي بشهرين عام ٥٢٠ ق م. وقد كان الكاهن العظيم يهوشـــع وأصـــدقاؤه نبوات حية، من حيث أنهم كانوا يجب أن يخلعوا "ثيابهم القـــذرة" كرمز للطريقة التي سيزيل بها الرب القدير "إثم تلك الأرض في يوم واحـــد" (٣: ٩). فإن "الرب يعزي صهيون بعد" (١: ١٧). وعن إسرائيل قال الـــرب: "مـــن يمســـكم يمس حدقة عينه". وفي يوم ما سوف تعيِّد الأمة "عيد المظـــال" العظـــيم. وعـــندئذ حتى أجراس الخيل والقدور تكون "قدساً للرب". وبالـــرغم مـــن ذلك، ففي ذلك الوقت لن يُزدر "بيوم الأمور الصغيرة" (٢: ٨، إصحاح ١٤ و٤: ١٠).

يفســـر الترجوم الوعد الوارد في زكريا ٣: ٨، "هأنذا آتي بعبدي الغصن" باعتبار أن الله *"سوف يأتي بالمسيا عبده الذي سيجيء"*. كما يقول الترجوم في حديـــثه عـــن "حجر الزاوية" في ٤: ٧، *"سوف يُعلن المسيا بهذه الطريقة، لأن اســـمه هـــو منذ الأزمنة القديمة جداً وهو يحكم كل الممالك"*. إن كلمات ٦: ١٢، "هوذا

الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت" تُترجم باعتبارها: "*هوذا الرجل! اسمه هو المسيا. سوف يجيء ويكون عظيماً ويبني هيكل الله*. كذلك فإن ١٠: ٤، "منه الزاوية منه الوتد" يفسرها الترجوم باعتبارها: "*من يهوذا يأتي ملكه، منه مسياه*". *يرى المتسودات داود هنا "الملك الذي سيعظمه الشعب، والذي سيوضع كحجر زاوية مصقولاً أكثر من الآخرين في البناء .. كما هو مكتوب: "الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية"*.

يمس *التلمود* أيضاً الفكرة المسيانية في بحثه لزكريا. *فعندما يتحدث ١: ٢٠* مثلاً عن "*أربعة صناع" أظهروا للنبي، يقول التلمود هنا أننا يمكننا أن نرى "المسيا ابن داود، والمسيا ابن يوسف، وإيليا، وملاك البر"*[٤٦]. كذلك يمس التلمود ملك ابنة صهيون الذي يركب حماراً. هناك إشارة في نقطة ما إلى الكلمات المعروفة للحبر هيليل *الذي قال أنه منذ أيام حزقيا كان الإسرائيليون يهللون بالمسيا، لكنهم "أكلوه"، ويرجو التلمود بحرارة أن يغفر الله لهيليل، وذلك لأن "حزقيا عاش في زمن الهيكل الأول بينما كان زكريا يتحدث في نبوته عن عهد الهيكل الثاني"*[٤٧]. كما أن زكريا ١٢: ١٠ "*فينظرون إليّ الذين طعنوه" يفسره التلمود باعتباره يشير إلى "المسيا ابن يوسف"*، أي إفرايم الذي تحدثنا عنه في مواضع متعددة[٤٨]. كما يحتوي المدراش على بحث مثير عن الأسماء السرية للمسيا. ويتحدث زكريا ٩: ١ عن "*أرض حدراخ*". يذكر المدراش لنشيد الأنشاد، فيما يتعلق بهذا الاسم، أنه يشير إلى "المسيا الذي هو *had* (حاد) و *rach* (رقيق) – *أي حاد في تعاملاته مع الأمم، لكنه رقيق نحو إسرائيل، مما يعني ان هذا الحدراخ، أي المسيا الملك، سوف "يقود" [lehadrich، من أصل مشابه] شعوب العالم بأكمله إلى التوبة"*[٤٩].

يجد *التفسير المسيحي* قدراً كبيراً من المادة المسيانية في زكريا. فالمسيح هو "عبدي الغصن"، و"من مكانه ينبت" (٣: ٨، ٦: ١٢)[٥٠]. وهو "وديع وراكب

---

[٤٦] *Sukka* ٥٢b and the *Yalqut for Exodus*.
[٤٧] *Sanhedrin* ٩٩a.
[٤٨] *Sukka* ٥٢a.
[٤٩] مدراش لنشيد الأنشاد، ٧th parasha.
[٤٩] انظر أيضاً إرميا ٢٣: ٦، إشعياء ١١: ١ و٥٣: ٢.

[٥٠] انظر أيضاً إرميا ٢٣: ٦، إشعياء ١١: ١ و٥٣: ٢.

علـــى حمار" (٩: ٩). وقد تعرض للخيانة مقابل "ثلاثين من الفضة" أُلقيت "في بيــت الـــرب" (١١: ١٢-١٣). وقد طُعن ومن خلال عمله الكفاري فإننا لدينا "ينـــبوع مفتوحاً .. ليطهر .. من الخطية والنجاسة" (١٢: ١٠ و١٣: ١). "لو ســـأله أحدهم، "ما هذه الجروح في يديك؟ فيقول هي الجروح التي جُرحت بها فـــي بيـــت أحبائي" (٣١: ٦). إن العبارة في العبرية هي حرفياً *"الجروح بين يديك أو ذراعيك"*، *bein yadeicha*، وهكذا يفسر الأحبار ذلك باعتباره ضرباً *"علـــى الأكـــتاف بين الذراعين"*. ونقرأ في الآية التالية: "استيقظ يا سيف على راعي وعلى رجل رفقتي". تعني كلمة "رفقتي"، *amiti*، في العبرية "ذو مكانة متســـاوية" أو "نظـــير". *ويقول المتسودات داود عن هذا الراعي أنه "ذو مكانة متســـاوية بمعنى أنه راعي شعبه، بالضبط كما أني راعي إسرائيل"*. يشير ابن عزرا في هذا السياق إلى *"موت المسيا ابن يوسف"*. وقد اقتبس يسوع نفسه هذه الآيات أثناء العشاء الأخير عندما تحدث عن كيف أنهم سينشقون بسببه: "لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية" (متى ٢٦: ٣١ ومرقس ١٤: ٢٧). كما يعـــرض زكريا توتراً رؤيوياً عندما نقرأ في الإصحاح ١٤ عن الرجاء المسيحي: "تقـــف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون .. ويكون يوم واحد معروف .. في وقـــت المساء يكون نور. ويكون في ذلك اليوم أن مياهاً حية تخرج من أورشليم .." (١٤: ٤ ، ٧-٨). ومـــع ذلـــك فإنـــنا لابـــد أن نضع نصب أعيننا على الدوام أن مثل هذه السمات الـــرؤيوية الشـــبيهة بـــالحلم يجـــب أن نُفسر في سياق أوسع. إلا أنها تنتمي أيضاً إلى التوقع المسياني للعهد القديم.

سفر ملاخي

يختـــتم أخيراً دائرة الإعلان النبوي. فإننا هنا في الأصداء الأخيرة لنهضة حجـــي وزكريا، في حوالي عام ٥١٦ ق م. فبعد ما يقرب من ٦٠ عاماً سوف يـــبدأ عمل عزرا ونحميا. تبدأ النبوة بكلمات حادة: "أحببتكم قال الرب .. وقلتم بمـــا أحببتـــنا". فقد كان الناس يخدمون الرب بخداع؛ فأتوا بالحيوان "الأعمى، والأعـــرج، والسقيم" من أجل الذبيحة ونسوا أن يقدموا العشور للرب. والأسوأ مـــن كـــل ذلك أنهم *"أفسدوا عهد لاوي"* ونسوا دعوتهم كأمة كهنوتية. وطلّق

الكثـــيرون زوجاتهم: "أفلم يفعل واحد وله بقية الروح .. لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل" (٢: ١٤-١٦).

هذا النوع من المواقف وحده هو الذي سيأتي إليه المسيا:

"هـــأنذا أرســـل ملاكي فيهيء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود".

تتكرر عبارة "رب الجنود" (Yahweh Tsebaoth) ٢٠ مرة في ملاخي.

"ومـــن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره. لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار. فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقي بني لاوي .." (٣: ١-٣).

إن راداك، الحـــبر ديفيد كيمهي، "الذي بدونه ما كان هناك شرح صحيح للكتاب المقدس"، يقول عن "الرب" الذي سيأتي إلى هيكله أنه، *"هو المسيا الملك ومـــلاك العهد"*. *ويفرق المتسودات داود بين ملاك الرب وملاك العهد: "الرب هـــو المســـيا الملك الذي إياه تنتظر وتشتاق وترجو مجيئه أعين الجميع، لكن "ملاك العهد" يُقصد به إيليا"*. ويتفق المقطع الأخير من ملاخي مع هذا:

"هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم" (٤: ٥-٦).

وقـــد التقينا بهذا الفكر بالفعل في ميخا ٢: ٣ وهو أن *"الفاتك" سوف يأتي قـــبل المسيا. ومرة أخرى يرى راداك هنا إيليا، ويرى في "الملك" المذكور في الآيـــة التالية ١٤ الغصن، ابن داود. يقول المتسودات داود أن "إيليا سوف يأتي قـــبل الـــتحرير ليرد قلب إسرائيل إلى آبائهم"، ويرى في ملك ميخا بالآية ١٤ "المسيا الملك"*. فإنه ما كان يمكن للأثر الأدبي الخاص بيوحنا المعمدان أن يُفهم بدون هذه التفسيرات.

ويقـــدم المدراش إسهامه الخاص لصورة المسيا في ملاخي. يقول ملاخي ٤: ١: "فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور". يقول المدراش عن ذلك:

"عندما يصل القادم أخيراً فإن القدوس سوف يُظهر ناره من إناءه، فيحرق الخطية كما هو مكتوب "ويحرقهم اليوم الآتي""[٥١].

---

[٥١] *Midrash Bereshith*, par. ٦.

يعــد ملاخـــي ٤: ٢ أنـــه يوماً ما سوف "تشرق شمس البر والشفاء في أجنحـــتها". ويتحدث المدراش عن *"شروق الشمس عندما يأتي المسيا، كما هو مكـــتوب: "ولكـــم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء"*[٥٢]. إن إحدى أفكـــار الأستاذ جوزيف كلوسنر الأليفة كانت أنه من خلال المسيا سوف يطلع فجر "عهد ذهبي" على البشرية، وهو عهد سوف يجد الجنس البشري شفاء في أجنحته باستخدام صورة ملاخي[٥٣]

رأيـــنا فـــي هذه النظرة الشاملة صحة القول بأن *"جميع الأنبياء لم يتنبأوا ســـوى لأيـــام المسيا"*. فإن الفكرة المسيانية اليهودية يمكن أن تُرى باعتبارها تتأســـس، وخصوصاً في مظاهرها الأقدم، على مادة أكثر امتداداً من نظيرتها المسيحية. وحتى لو كان التوقع لمخلص آتٍ ينبع في أحيان كثيرة من الموقف التاريخـــي للزمن الذي عاش فيه الأنبياء، فهو يبرز لدرجة مدهشة سمات فوق تاريخية في طبيعتها حتى فيما بين العلماء اليهود.

ميلاد وشخص المسيا

لقـــد نظرنا ببعض التفصيل على جذور الفكرة المسيانية في أسفار موسى الخمسة والمزامـــير، كما أن الأدب النبوي من ناحيته قد أظهر لنا أيضاً الخطوط الرئيسية للرجاء المســـياني فـــي مختلف مراحل تاريخ إسرائيل. وبالرغم من ذلك، فمن المهم من وجهة الـــنظر المسيحية أن نضع في بؤرة التركيز ما الذي كان يعتقده اليهود حقاً عن شخصية المسيا، وميلاده، وأيضاً، إمكانية موته موتاً كفارياً.

قـــبل الحـــرب العالمـــية الثانية درس الأستاذ الشهير إثيلبرت ستوفر من جامعـــة إيرلنجـــن كريستولوجية العهد الجديد في محاولة لشرحها على ضوء الـــيهودية الحـــبرية. وقـــد نشر بعد الحرب ثلاث دراسات مطولة عن يسوع مســـتخدماً "طريقة الأشعة السينية" الخاصة به، وواضعاً قيمة عالية على إنجيل يوحـــنا بصـــفة خاصـــة باعتباره مصدراً لشهادة يسوع عن نفسه – إذ كانت مخطوطـــات البحر الميت قد أعادته في النهاية مرة أخرى إلى مكانته الجليلة.

---

[٥٢] *Midrash Shemoth Rabbah* par. ٣١.
[٥٣] كلوسنر، *الفكرة المسيانية*، مثلاً ص ٨.

وبالـــرغم من ذلك فقد كان هذا الخبير في الشرق الأقصى والأدنى قادراً على القول بأن، "تقليد الأحبار هو مجرد مجادلات"، وذلك هو بالفعل الانطباع الذي يــبقى لــو أن أفكارنا ترشحت من خلال أقوال التلمود. *إلا أننـي أعتقد أننا قد برهنــنا بــالفعل، فــي ضوء الأدب الأقدم الذي لم يتعرض لنفس الرقابة التـي تعــرض لهــا الــتلمود، أننا تلقينا إنطباعاً أكثر إيجابية نوعاً ما. فإن الترجوم والمــدراش بصــفة خاصـــة يعرضان الوظيفة المسيانية من وجهة نظر أكثر اتســاعاً وأكــثر كونــية.* وقد كانت أحادية الأستاذ الإسرائيلي الرائد جوزيف كلوسنر تتلخص في المقام الأول في كونه لم يرَ احتياجاً، باعتباره وارثاً للتقليد الثقافي الألماني، لأن يلزم نفسه بدراسة الوصف المسياني في المدراش بتعمق.

يمكــن لــلأدب اليهودي أن يكون محيراً جداً إذ أنه يمكن للشخص أن يقرأ مئات الصــفحات دون أن يجد فكراً واحداً يمس رجاء الخلاص. لكن لحسن الحظ، بإمكاننا أن نجــد التفسيرات المسيانية المحتملة في الترجوم من النبوات المطابقة في العهد القديم، كما أن *الــيلكوت* أو "محفظـــة الأوراق" يحــتوي علـــى أبحاث لمراجع تلمودية لها صلة بالموضوع. وحده المدراش يتطلب قراءة سريعة جداً. من الأسهل جداً أن يلتقط الشخص الخيط المسياني من متاهة التقليد عندما يكون واعياً بهذه النقاط للارتحال. ذات مرة، بعد زيــارة أورشــليم القديمة، غامرت مع رفيقين فنلنديين بالدخول إلى كهف يقود إلى اتجاه جبل الزيتون وأريحا من تحت أرض "منجم سليمان". إلا أن الرعب قد تملكنا منذ البداية ورجعنا أدراجنا. فقد أخبرني مرشد عربي، من مواليد أورشليم، أنه قضى ما يقرب من ساعة في ذلك الكهف منذ بضعة أسابيع، مؤكداً أنه لتجنب التوهان في ممرات ثانوية كان يُنصح بتدلية خيط على الأرضية كلما يتقدم الشخص حتى يظهر له عندئذ طريق العودة. فقد كان هناك في وقت ما محجر في السراديب الكبيرة الشبيهة بالمدرج عند بداية الكهف تُقطع منه حجارة الهيكل. والآن لم يكن بالإمكان سماع "أي مطرقة أو إزميل، أو أي أداة أخرى". أما اليوم فإن هذا النفق الذي أخذت إليه رفيقاي قد أُغلق بأمر رسمي. ومع ذلك، فقد حان الوقت الآن لأن نسترجع خيطنا منذ بدايته ونكتشف ما تعلمناه.

إن الموضوع الرئيسي الذي يدور في طبقات الأدب اليهودي الأكثر قدماً يخــتص بأصــل ومــيلاد المســيا. فإننا نعلم بالفعل طبعاً من ميخا ٥: ١ أن "مخـــارج" المتسلط الذي سيولد من بيت لحم هي "منذ القديم، منذ أيام الأزل"،

وهكذا كان لا يزال التفسير الذي يُقدم في العصور الوسطى يقول أنه *"كان قدام الشمس، والقمر، والنجوم بالطبع"* وأن *"معاصريه كانوا يدعونه باسم "إيل"* الذي يعنـــي "الله". يـــتفق هـــذا أيضــاً مع اسم "الرب برنا" في إرميا، ومع النعوت المتعددة لإشعياء التي تنطبق على المسيا. لكن عندما يبتغي الأحبار إثبات هذه الأفكـــار الخاصـــة بهم فإنهم يستخدمون آيات منفصلة من العهد القديم للتأييد، وهو أمر يعتبره اللاهوت الحديث غير علمي في طبيعته.

لقـــد رأيـــنا أن "شخص المسيا" كان مشتركاً منذ البداية في رواية الخلق. فعـــندما قـــال الله "ليكن نور"، خلق نور المسيا. ويستخدم تقليد الزهار كلمات كثـــيرة لوصـــف *المسيا باعتباره كان بالفعل في "جنة عدن"*، حيث *سن قانوناً جديـــداً لا توجد فيه وصايا تبدأ "بيجب عليكم" أو "لا يجب عليكم"*، *zechut o hovah*. إن المســـيا هو "نسل المرأة"، أو "نسل إبراهيم"، أو مجرد *"نسل آخر مـــن مكان آخر"*. وهو "الميمرا"، الذي به خُلق العالم، وهو "الكلمة" الذي بدونه "مـــا كان شيء". وسوف يُحبل به بالروح القدس، *de Ruah qudshah*. كما أن الأحبار يتحدثون عن نفس نوع *"سر الرقم ثلاثة"*، *razei de-Sheloshah*، كما يفعل المسيحيون، بالرغم من أن هذه الأفكار ليست سوى "القشرة الخارجية للحقـــيقة الداخلية" وهي مثل "افتراض" المنطق العملي. كذلك فإن المسيا أيضاً هـــو *"ابن العلي، ابن القدوس يتبارك اسمه"*. وقد *"وُلد من الله"*. وهو يجلس عن يمين الله. *وهو "شفيع" إسرائيل أمام الله. لذلك يجب أن توجه كل الصلوات إلى الله في اسم "يسوع رئيس الحضرة"*. يتعشق كل ذلك مع رسالة المصالحة، لأن الله لـــيس إله نقمة بل إله رحمة. علاوة على ذلك، فقد رأينا في تفسير الأحبار رجـــاءاً مســـيانياً قوياً يرتبط بكل من المسيا وأيضاً منظور إسخاتولوجي عام ومتســـع. ولـــو أنـــنا برمـــنا الخيط إلى الخلف فسوف نرى مزيداً من الأوجه المتعلقة بهذه المواضيع، وهي أوجه لم يتمكن التفسير المسيحي للعهد القديم من التعرف عليها باعتبارها عوامل مساهمة للتوقع المسياني.

يجـــب أن يُفهم أن هذا الرجاء المسياني، الذي يمكن إيجاده في المصادر الـــيهودية مصدقاً عليه باعتباره معيارياً، قد مر بالفعل من خلال رقابة داخلية

مزدوجة. وبالرغم من ذلك، فإنه لازالت توجد مادة ملائمة لدعم صحة التفسير الخاص بالعهد الجديد.

يتحدث العهد الجديد عن "سر المسيح" وعن "علامات" يمكن الاستدلال منها على وثوقية مسيانية يسوع. ويتفق ذلك مع الطبيعة الجوهرية للفكرة المسيانية من ناحية ومع طريقة الأحبار في الحديث من ناحية أخرى. يُعتبر الأسلوب التاريخي النقدي غير قابل لاختراق هذا النوع من التفكير، خاصة لو لم يكن مهتماً في الأساس بالنصوص العبرية الأصلية. لقد رأينا في البداية أن الهدف الأساسي للموضوع *topika*، في الأنظمة المهتمة بالأفكار والحقائق الفردية، هو تحديد "وجهات النظر الرئيسية" في مواضعها الخاصة بها وإظهار "مكان" *topos* كل موضوع في ضمير الإنسان. في الممارسة العملية، تعتبر هذه محاولة لفهم طريقة تفكير الفترة التي نحن بصددها. ومن وجهة نظر موضوعنا، سوف نحاول إذن أن نوضح ما هي الأسس التي يمتلكها العهد الجديد لتفسير المسيح بالطريقة التي فسره بها. يفترض ذلك دائماً اختيار مادة أصلية ملائمة ورسم تخطيطي واسع.

لقد سبق ورأينا بعض من "العلامات" التي استمد منها الأحبار استنتاجاتهم. إذ يقول إشعياء ٧: ١٤ في وصف ميلاد المسيا:

"ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل".

وقد سمع رعاة بيت لحم هذه الكلمات:

"وهذه لكم علامة تجدون طفلاً .."

وقد تنبأ سمعان الشيخ عن الطفل يسوع بأنه سوف يكون "علامة تُقاوم". كذلك يتحدث العهد القديم بشكل مماثل عن "حجر صدمة وصخرة عثرة" (إشعياء ٨: ١٤)، وهو المسيا وفقاً للأحبار أنفسهم. ويعد خروج ٣: ١٢ موسى الأول: "إني أكون معك. وهذه تكون لك علامة"، وبنفس الطريقة يستخدم المسيا، موسى الثاني، إعلان "أنا هو" المأخوذ من اسم الله نفسه. فعندما يقول يسوع أنه سيُرفع كما رفع موسى الحية في البرية، تتفق حكمة سليمان مع "هذه العلامة للخلاص". وقد قال يسوع للإشارة إلى قيامته أنه لن تُعطَ آية لجيله "سوى آية يونان"، ومرة أخرى توجد هذه

المماثلـــة فـــي أدب المدراش مرتبطة بالقيامة. إن مثل هذه العلامات تحتكم إلى قوى السامع الخاصـــة بالاستنتاج. فمن الصعب إيجاد أي فرد من زمن الهيكل الثاني يمكنه أن يقترب ولو اقتراباً طفيفاً من تحقيق هذه السمات "الهامة" بالطريقة التي تجد بها تحقيقها في يسوع.

إن *الخاصـــية الرئيســـية*، الموجـــودة في كل التفسير اليهودي التقليدي وفي العهد الجديـــد علـــى حـــد سواء، *هي الطريقة التي يتم بها التعامل مع الكتاب المقدس بشكل ترابطـــي*. وربمـــا يكون أفضل مثال على ذلك هو في شرح المدراش لمزمور ٢ الذي يـــربط كلمـــة *bar*، أي "ابن" مع عدة نبوات مسيانية في إشعياء، ومع ابن الإنسان في دانيال، ومع المسيا الذي يجلس عن يمين الله في مزمور ١١٠.

ســـوف ننظر بشيء من العمق في الخلفية على الميلاد العذراوي ليسوع فـــي الجـــزء الخاص بالعهد الجديد في كتاب جذورنا. ومع ذلك، فقد سبق أن رأينا بشكل واضح أن أقدم النصوص الأصلية اليهودية التي لم تتعرض للرقابة تتحدث بغزارة عن الخصائص الفوق تاريخية للمسيا وتقدم إشارات سرية عن مـــيلاده المعجـــزي. وأكثرها بروزاً توجد في تقليد الزهار الذي أشار إليه أحد العلماء من أصل يهودي. فإننا نقرأ في إشعياء ٩: ٦: "لأنه يولد لنا ولد" و"لنمو رياســـته وللسلام لا نهاية". لم يكن الكتبة العبرانيون يرغبون في تغيير أي من التفاصـــيل عند نسخ الأسفار المقدسة أو حتى تصحيح غلطات إملائية واضحة مـــثل تلـــك التـــي نجدها في اللغة العبرية لهذه الآية، وذلك خوفاً من أن يُدخل ناســـخون مـــتأخرون تصحيحات خاصة بهم وأن تستمر هذه العملية إلى ما لا نهايـــة. فإننا نجد هنا أن "*m*" في وسط كلمة *le-Marbe*، "لنمو" والتي تغيرت عـــند مرحلة معينة من نقل النص عن طريق الخطأ إلى "*m*" مغلقة أو "نهائية" قـــد حُفظـــت غـــير مصححة. كما أن المدراش على راعوث، وهو أحد أقدم المصـــادر، في سؤاله عن لماذا هذه "*m*" مغلقة، يصل إلى استنتاج أنه لابد أن حزقيا كان هو المسيا لكن الأمر قد "تأخر". *ويقرر الزهار من ناحية أخرى أن "m" المغلقـــة تشير إلى أن المسيا سوف يُولد من "رحم مغلق"*. ربما كانت هذه الأمـــور فـــي ذهـــن الأستاذ ديفيد فلاسر عندما سُئل، في زيارة لفنلندة بصيف ١٩٨٤، عـــن آرائـــه على أكثر أسئلة العهد الجديد صعوبة. وقد صرح بشكل قاطع عن قيامة يسوع:

"إنهـــا حقـــيقة تاريخـــية .. لم أكن هناك عند القبر بشخصي بالطبع، لكن يســـوع المقـــام أعلن نفسه لتلاميذه. ومن الحقيقي أن الأمر لا يمكن أن يُمتحن علمياً. فهو في النهاية مسألة إيمان".

والميلاد العذراوي؟

"ذلك أيضاً لا يتنافى مع التفكير اليهودي".

يقـترب الـنقد التاريخي إلى موضوعنا بالسؤال عن المعانـي الأساسية للكلمات في اللغـات الأصلية. فكلمة *alma* التي استخدمها إشعياء تعني أيضاً بلا جدال "سيدة شابة". فقـد كانت رفقة عروس اسحق *alma* (تكوين ٢٤: ٤٣)، لكنها كانت أيضاً *betulah*، أي "عـذراء؛ لم يعرفها رجل" (الآية ١٦). كما تُستخدم كلمة *na'ara* عنها، بالرغم من أن هذه الكلمة تظهر في العهد القديم من حين لآخر مع كلمة "عذراء"، *na'ara betulah*[٥٤]. إن إبـراهام إيفين شوشان، المؤلف لقاموس عبري حديث مكون من خمسة أجزاء وفهرس تحليل لأبجدية العهد القديم يبين كل كلمة بكل أشكالها التي تظهر فيها، يشرح أن *alma* تعنـي في المقام الأول فتاة شابة "قبل الزواج"[٥٥]. لا شك أن هذا قد تم وضعه في الاعتـبار عـندما ترجمـت السبعينية إشعياء ٧: ١٤ قبل المسيح بمئتي عام إلى الكلمة اليونانية *parthenos*، التي تعني "عذراء".

إن الـنقد "التاريخـي" مُجبر على أن يأخذ بشهادة متى ولوقا الطبيب التي تصـرح بجـرأة أن يســوع وُلد من عذراء بالروح القدس. فإن لغة وفكر كلا الإنجيلين عبرانيان للغاية حتى أنه يمكن بناء جسر للتشبيه الأسطوري الخاص باليونانيين بصعوبة بالغة. *ومرة أخرى، فإن حقيقة أن يوحنا ومرقس لا يقدمان وصـفاً لمـيلاد يســوع يمكن شرحها بحقيقة أن كليهما قد كُتبا وفقاً لمدرسة أورشـليم فـي وقت متأخر بعد متى ولوقا، وهكذا فإن كليهما كانا على إطلاع جـيد بالأثـر الأدبي الدقيق لأجدادهم*. وبالرغم من ذلك، فإن مرقس يشدد منذ بداية إنجيله على أن يسوع هو "ابن الله"، كما يصر يوحنا، على طريقة بولس، علـى الوجود المسبق للمسيح، وأنه "بكر كل خليقة" (كولوسي ١: ١٥). كذلك

---

[٥٤] قضاة ٢١: ١٢ و١ ملوك ١: ٢.
[٥٥] انظر قاموس ***Milton Hadash*** ص١١٨٩.

يخــبرنا الإصحاح الخامس من الرسالة الثانية إلى كورنثوس أن، "الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه". *ولو أننا لم نقبل خصائص المسيح فوق التاريخية فإن عقيدة الكفارة نفسها سوف تفقد أساسها.*

عارض الراحل جون أ. ت. روبنسون، الأسقف السابق لولويش، عقيدة الميلاد العــذراوي كما عارضها حديثاً ديفيد جينكيز، أسقف درهام. ومع ذلك، ففيما يتعلق بهــذه الأمور، ليس بإمكان النقد التاريخي أن يدعي أي شيء بأي ثقة، في حين أن الدراسة التاريخية الخاصة بالوحي تعلّمنا كيف يمكن أن يُفهموا.

إن الأســماء الســرية الكثــيرة للمسيا في الأدب اليهودي تقدم مزيداً من الإســهام لفهمــنا عن أصله وشخصه، حتى لو اعتبرها موينكل "مبهمة وشبه فكاهــية"[٥٦]. وسوف يقدم لنا بعض العون أن نرى أغلبية هذه النعوت مجتمعة معــاً: فإنــنا نجد في إشعياء ٩: ٥ قائمة جاهزة نتعلم منها أنه سوف سيُدعى: *"عجيــباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام".* يشرح الترجوم هذه الآية قــائلاً: *"إن اســمه كان منذ الأيام القديمة .."* وفيما يتعلق بجزء "أباً أبدياً"، *"لقد كان المسيا منذ الأزل".*

وقــد حددنــا في سياقات متعددة الأسماء التالية التي تُستخدم لوصف المسيا: BEN PaRETS و PORetS (تكويــن ٣٨: ٢٩ وميخا ٢: ١٣)، شيلون (تكوين ٤٩: ١٠)، SOREQA أو "الكــرمة النبــيلة" (تكويــن ٤٩: ١١ ويوحنا ١: ١)، MASHIAH أو "المسيح" (مزمور ٢: ٢ ودانيال ٩: ٢٦)، ملاك العهد (ملاخي ٣: ١)، موســى الثانــي (تثنية ١٨: ١٨)، الرب برنا (إرميا ٢٣: ٦، ٣٣: ١٦). فنوئــيل وفنيئيل (تكوين ٣٢: ٣٠)، رئيس الحضرة وملاك الحضرة (إشعياء ٦٣: ٩)، METATRON و MIMRA (الزهار)، YINNON (مزمور ٧٢: ١٧)، MORaH أي "المهــوب" (مــزمور ٦٧ : ١٢)، الأول (إشعياء ٤١: ٢٧)، رأس الــزاوية (مزمور ١١٨: ٢٢)، حجر الزاوية (إشعياء ٢٨: ١٦)، ابن داود (هوشع ٣: ٥)، NEHORA أو النور (دانيال ٢: ٢٢)، المعزي (مراثي ١: ١٦، إشعياء ٥٢: ٩)، حدراخ أو "الحاد والرقيق" (زكريا ٩: ١)، HANANI أو رحمة (إرميا

---

[٥٦] س. موينكل، *الذي يأتي*، ص٢٩٣.

١٦: ١٣)، BAR NAPHLI أو ANANI، أو BEN ANANIM (عاموس ٩: ١١)، إفـرايم أو إفـرايمْ ابـن يوسـف والمسيا ابن يوسف (إرميا ٣١: ٩). بالإضـافة إلى ذلك يربط تقليد الأحبار BAR ENASH أو "ابن الإنسان" بالمسيا (دانيال ٧: ١٣)[٥٧].

هـناك مساهمة مماثلة إلى رسالة الرجاء المسياني تقدمها الثماني كلمات العـبرية الـواردة فـي العهد القديم التي تعيد ذكرى فكرة "الغصن في العهد القديـم": TSEMAH، (زكـريا ٦: ١٢، إشـعياء ٤: ٢، إرمـيا ٢٣: ٦)، NESTER، (إشعياء ١١: ١)، HOTER، (إشعياء ١١: ١)، SHoRESH (إشـعياء ١١: ١٠ و٥٣: ٢)، YINNON (مـزمور ٧٢: ١٧) و TSAMERET أو RoSH YENIKOTav (حزقـيال ١٧: ٤، ٢٢). وتُترجم هذه الكلمات في NIV بالترتيب كالتالي: "غصن" (الكلمتان الأولتان)، "قضـيب"، "أصل"، "يمتد"، "رأس خراعيبه"، و"من رأس خراعيبه غصناً". إن المعنى المحدد لتعبير *rosh yenikotav* في نبوة حزقيال هو "رأس مرضعاته" ممـا يقول أن "رأس الخراعيب" ترضع تقريباً من سائل الشجرة. ويظهر نفس الأصل على هيئة YONeK، "رضاعة"، عندما يقول إشعياء ٥٣: ٢:

"نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة".

قـال أحـد الأحـبار ذات مرة أنه رأى هنا لمحة سرية عن ميلاد المسيا المعجـزي، فـي أنـه سوف يولد، إذا جاز التعبير، من أرض "لم تُحرث ولم تُـزرع فـيها بـذار". إن كل من لا يفهم اللغة المجازية خلف هذه الكلمات لن يتمكن من أن يفهم طبيعة الرجاء المسياني للعهد القديم.

أصـبحت الرسـالة التاريخـية والروحية لمفهوم "الغصن" أكثر وضوحاً بالنسبة لي في إسرائيل بشتاء عام ١٩٦٨ في موقف كان له جانبه الفكاهي. فقد قلـت فـي أحد الأمسيات لصديق لي، وهو يهودي مسيحي، بينما كنا نقف في شرفة منزلي أنه كانت هناك نفحة ثلج في الهواء. فقال مستخدماً مقولة عبرية، "حسناً، سوف نعتبرك نبياً لو أن ذلك حدث". عندما عدت إلى المنزل من عملي

---

[٥٧] انظر ٩٨b .*san*

في تلك الليلة ذهبت مرة أخرى إلى الشرفة، لكن ليل أورشليم لم يعد يشير إلى تساقط ثلج وشيك. على الرغم من ذلك، فقد أوقظت في حوالي الخامسة صباحاً علـى مـا بدا وكأنه طلقة بندقية، تلاها بعد ذلك صمت عميق – لم يكن هناك حتى ضجيج السيارات أو الكلاب أو القطط المعتاد (فقد أحصينا في أحد الأيام صباحاً أن هناك ١٣ قطة في شجرة الزيتون بحديقتنا!). فقمت مازحاً لأرى إن كانت زوجتي لا زالت هناك؛ نعم كانت هناك، إذن فالاختطاف لم يأتِ بعد. ثم تذكـرت مـا قلته في المساء. ففتحت الستائر وتملكني انتصار فقد كان هناك نصف متر من الغطاء الثلجي الرطب في الشرفة. أما استيقاظي بهذه الصورة كان سببه انكسار شجرة في حديقة الجيران إلى نصفين تحت ثقل الثلج.

وبعـد عدة أيام جاء بستاني عربي ومعه منشار جديد، فقطع ما تبقى من الشـجرة مـن أسفل وحتى ارتفاع الصدر ثم أحدث جروحاً عميقة في مواضع مـتعددة مـن الجذع بواسطة ما كان يبدو وكأنه ساطور لحم. فوقفنا واندهشنا لذلـك وتعجبنا كيف يعقل أننا لا يمكننا في فنلندة أن نتحمل ترك بقايا مثل تلك الأغصـان القديمـة. مـا الذي نقاوم خسارته؟ فبعد مرور شهر بالكاد دعتني زوجتـي إلـى الشرفة لمشاهدة المنظر على الناحية الأخرى من جدار جارنا: كان الجذع المقطع والمجروح مليئاً ببراعم الأمل الجديد. ومن جروح الشجرة كانت تنبع حياة جديدة!

إن الـرجاء المسياني مربوط بتاريخ الشعب اليهودي. فقد أُخذ سبط يهوذا إلـى السبي وقُطعت شجرة عائلة يسى من جذعها. من أسفل القدم إلى الرأس "ليس فيه صحة – بل جرح وإحباط وضربة طرية" (إشعياء ١: ٦). ومع ذلك، فقد بدأ برعم جديد من الرجاء ينمو من اليأس، فقد أخفى غصن يسى المقطوع بداخلـه وعـداً بالحياة. وفي يوم ما سوف "تطلب الأمم [أصل يسى]"، ويكون المسـيا "رايـة للشـعوب" (إشعياء ١١: ١٠). سوف يحفظ الله بقية إسرائيل، "البائسـة، والمسـكية، والمتوكلة على الرب" (صفنيا ٣: ١٢). في ذلك اليوم "تـرعى أبكـار المسـاكين" ويحتمي "البائسون" من شعب الرب "في صهيون" (إشعياء ١٤: ٣٠-٣٢). لكن المسيا أيضاً هو معزي وراد للنفس (مراثي ١: ١٦) على المستوى الفردي.

فباستخدام علم حساب قيمة الحروف، رأى الأحبار ارتباطاً معيناً بين كلمات TSEMAH، "غصن" وMENAHEM، "المعزي". TSEMAH = ٩٠+٤٠+٨ = ١٣٨ وMENAHEM = ٤٠+٥٠+٨+٤٠ = ١٣٨. وعند رؤيته أيضاً من هذه الزاوية، لا يزال مفهوم الغصن يفترض ضمناً رسالة رجاء. ومن ناحية أخرى فإن كلمة NESTER تمتلك نعوتاً للمسيا مرتبطة بها، مثل الكلمة الآرامية NATRONA أو NETIRUTA على سبيل المثال. فكلا من الكلمتين العبرية والآرامية تتشكلا من فعل "يراقب، يحرس" – فإن اسم "الناصرة" كان يعني في الأصل "نقطة مراقبة". *وهكذا يُعتبر المسيا حارس أو حامي*. وبذلك يصير متى ٢: ٢٣ قابلاً للفهم. فإننا نقرأ هناك أن أبا يسوع "أتى وسكن في مدينة يُقال لها ناصرة. لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً". يتصل هذا التفسير الغريب بالتنويه عن الغصن الوارد في إشعياء ١١: ١، أي NESTER، حيث أن أصل هذه الكلمة يقدم، كما رأينا، نعتين آراميين للمسيا.

رأينا أن ميلاد وشخصية المسيا كثيراً ما يوصفان في أدب الأحبار باستخدام صور ومفردات فوق تاريخية. فقد كان المسيا موجوداً قبل الخلق وكان هو نفسه مشتركاً في فعل الخلق. كما أن الأحبار يرون سمات مبهمة في أسمائه السرية. ومع ذلك، فإن النبوات المسيانية نفسها في مجملها متأصلة في التاريخ. من الضروري إذن من وجهة نظر العهد الجديد أن يكون المسيح ابن الله. كما أن تقليد الأحبار لا يعتبر أنه من المستحيل أن يتمم المسيا هذا الشرط المطلوب فيما يتعلق بميلاده المعجزي وأصوله. تتأسس عقيدة الكفارة بالمثل على عبارة أن "الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه".

المسيا المتألم في الأنبياء

عند سماع ذلك للمرة الأولى يبدو غريباً أن بولس يكتب إلى أهل كورنثوس أنه "لم يعزم أن يعرف شيئاً" بينهم "إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً". كما قال أنه كان يكرز "بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١ كورنثوس ٢: ٢ و١: ٢٣). إن الكرازة بالمسيا المتألم هي في الواقع *فضيحة*

بالنســبة لليهودي لأنه يفهم ما الذي يتعلق به الأمر وذلك يجرح اعتداده بنفسه. ومــن ناحــية أخــرى، فبالنسبة للأممي ليس الأمر سوى تفاهة حيث أنه من الأصــعب بالنسبة له أن يدرك أساس عقيدة الكفارة. أما بولس فقد كان مؤهلاً بخلفيته الحبرية لأن يعي توقع المسيا المتألم الذي كان مرتبطاً بالأنبياء.

يظهر دائماً سؤال أساسي عند التعليق على الأنبياء وخاصة عند الاقتراب مــن مــزمور ٢٢: *هل تخص أوصاف العهد القديم عن عبد الرب المتألم أمة إســرائيل أم أنها تشير إلى شخص بعينه؟* لقد صرح جوزيف كلوسنر بصراحة أنــه بالرغم من "أننا يمكننا أن نجد نبوات كثيرة من العصر النبوي توجد فيها إشــارات لا ريــب فيها عن الخلاص المأمول، إلا أنه في كل هذه ليس هناك تلميح واحد عن شخص المسيا". وهو يقول عن أحبار القرن الأول أنهم، "كانوا يؤمنون بالطبع بإمكانية حدوث خلاص، لكن بدون أي مخلص شخصي". فحتى مفهــوم "ابــن الإنسان" لا يشير في رأيه سوى لأمة إسرائيل. إذا لم يكن هناك إذن فــيما بيــن الأحبار الأوائل "ولو تلميح واحد إلى المسيا المتألم"، كما يعتقد كلوســنر، فمــن الحماقة أن نبحث عن جذور لإيماننا المسيحي في هذا الأمر بالــيهودية[٥٨]. إلا أن مواقــف كلوســنر كانت نتيجة لكونه مؤيداً "للصهيونية النــبوية"، أي أنه كان يعجل بتأسيس حالة من الرخاء المزدهر على الأرض. ومــن ناحــية أخــرى، فقد كان قليل الاطلاع على النقاط التي يقدمها كل من الــترجوم والمــدراش، والتي تتحدث دائماً عن "المسيا الملك" وليس عن مثال مسياني معين كما لاحظنا من قبل.

تــبرز فكــرة العبد المتألم بأكثر قوة في زكريا ١٢: ٩-١٤، ١٣: ٦-٧ وإشعياء ٥٣. وفــيما يــتعلق بكلمات زكريا "ينظرون إليَّ الذي طعنوه"، يقول راشي، وراداك، وابــن عزرا أنها تشير إلى إفرايم، المسيا ابن يوسف. ويتفق التلمود مع هذا التفسير[٥٩]. ويقــول ابــن عــزرا عن جروح العبد المتألم "في يديه" أنها يجب أن تربط بالمسيا ابن يوسف. وقد رأينا نفس المبدأ يُطبق في شرح مزمور ٢٢.

---

[٥٨] كلوسنر، *الفكرة المسيانية*، ص ٨ و٢٥٨.
[٥٩] *Sukka* ٥٢a.

يرى المسيحيون صورة العبد المتألم قبل كل شيء في الإصحاح ٥٣ من إشعياء، الذي حُذف، كما رأينا، من إصحاح المجمع السنوي على الأنبياء *haphtaroth* ومن تعليقات أحبار القرون الوسطى. ومع ذلك، يبدو أن هذا الإصحاح كان لا يزال يُناقش في زمن يسوع، لأن الإصحاح ٨ من أعمال الرسل يخبرنا عن رئيس بلاط ملكة كنداكة الحبشية الذي سأل فيلبس عن من يقول النبي هذا، "عن نفسه أم عن واحد آخر"؟ لقد تحير الوزير بصفة خاصة بخصوص الكلمات:

"مثل شاه سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه. في تواضعه انتُزع قضاؤه وجيله من يخبر به لأن حياته تُنتزع من الأرض".

يقتبس لوقا في هذا المقطع من الترجمة السبعينية. ونحن أيضاً سوف نسأل بدورنا "عن من يقول النبي؟"

تقدم الكتب المدرسية في إسرائيل الشرح الشعبي القائل بأن هذا المقطع يتحدث عن شعب إسرائيل الذي تألم بالنيابة عن الأمم الأخرى ليكفِّر عن خطاياها. إلا أن قوانين الذبائح الكفارية تعلن أن التقدمة يجب أن تكون بلا عيب – ولم أسمع قط أي يهودي يدعي ذلك عن أمته. لكن ماذا نتعلم من المصادر الخاصة بالأحبار التي تُعتبر شرعية وناطقة باسمهم؟ هل هي تساند أطروحة كلوسنر؟

يحتوي إشعياء ٥٢: ١٣-١٥ على أكثر العبارات الموهمة للتناقض التي تثير صدمة في تاريخ الفداء بأكمله:

"هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً. كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم. هكذا ينضح أمماً كثيرين".

يعلق الترجوم على هذه الآية قائلاً *"هكذا سوف يعقل عبدي المسيا"*. ومن ناحية أخرى فهو يفسر الآيات التالية باعتبارها تعني إسرائيل. كما أن المدراش تانهوما من القرن التاسع واليلكوت شمعوني المتأخر يقولان *"هذا هو الملك، المسيا، الذي سيقوم، ويكون متسامياً جداً، أعلى من إبراهيم، وأعظم من*

موسى، *وفوق الملائكة الخادمة"*. ويستنتج راداك من ناحيته أن *"هذا الإصحاح يصوِّر شعب إسرائيل في تشتته"*. يقول الحبر إيليا دي فيداس، الذي كان ناشطاً في صفد بفلسطين في القرن السادس عشر، *"وهكذا فإن المسيا قد تألم بالنيابة عن خطايانا، وجُرِح؛ إن من لا يتمنى أن يُجرح المسيا لأجل معاصينا يمكنه أن يختار هو نفسه أن يتألم ويحمل خطاياه"*[٦٠]. أما الحبر المشهور موسى الشيخ الذي كان ناشطاً في صفد أيضاً في آخر القرن السادس عشر فقد كتب عن إشعياء ٥٣: *"إن حكماءنا القادمى قد حفظوا لنا شهادة التقليد بأن هذا يشير إلى المسيا. لهذا السبب نحن أيضاً، اتباعاً لهم، يجب أن نعتبر أن موضوع هذه النبوة هو داود، المسيا، الذي سيظهر بهذه الطريقة"*.

يتعرض التلمود كذلك لإشعياء ٥٣. ويتأمل الماسيشيت سنهدريم Masechet Sanhedrin على متى سيأتي ابن داود. فهو لن يأتِ سوي في جيل إما "بار تماماً أو خاطئ تماماً". لو لم يكن إسرائيل باراً "فسوف يجيء فقيراً وراكباً على حمار". كما أن "الحبر يهوشع بن لاوي رأي إيليا عند مدخل كهف الحبر شمعون بن يوشاي وقال له (إلى إيليا، الذي يعلم الأسرار المسيانية)، *"هل سأذهب إلى العالم الآتي؟" فرد إيليا، "لو أن هذا الرب منحك ذلك". فقال الحبر يهوشع بن لاوي، "إنني أرى اثنين وأسمع صوتاً ثالثاً [سر الرقم ثلاثة]. وسأل مرة أخرى "متى سيأتي المسيا؟". فأجاب إيليا، "اذهب واسأله بنفسك". وعند ذلك سأل الحبر يهوشع، "أين يسكن؟". "عبد البوابة الرومانية". "وما هي العلامة التي يمكن أن يُعرف بها؟". "سوف تجده جالساً مع الفقراء والمرضى، وجميع هؤلاء الذين يحررهم يوثقهم في نفس الوقت؛ سوف يحرر الواحد ويوثق الآخر"*[٦١].

يقول راشي عن هذه المحادثة الغريبة أن "البوابة الرومانية" تعني ما يُدعى *ببوابة الفردوس*. فهل يمكن أن يكون هنا انعكاس لحقيقة أن الأحبار كانوا يدعون *Sheol* (الجحيم) "بالفردوس" و"حضن إبراهيم". يواصل

---

[٦٠] انظر أ. لوكين ويليامز، *البراهين المسيحية*، ص١٦٩-١٧٢، ودالمان، ***Der leidende und der sterbende Messias***، ص ٣٥-٣٩.

[٦١] ***Sanhedrin* ٩٧b.**

الماسيشــيت سنهدريم في الصفحات التالية هذا البحث: أولاً يُطرح السؤال عن ما الذي يجب أن يقوم به الإنسان للهروب من "الآلام المسيانية"، والإجابة التي تُقــدم هــي "قراءة التوراة والرحمة". بعد ذلك يأتي بحث نموذجي عن أسماء المســيا يُختم باسم HIVRah أو "الأبرص". *تأتي هذه الإشارة إلى "الأبرص" مــن كلمة nagua في إشعياء ٥٣: ٤، التي تعني "مصاباً بالمرض"* – بل أن هــناك مقطــع خــاص في التلمود، *neg aim*، يختص بالتعرف على البرص وعزــله. إن الكلمــة الآرامــية HIVRah كانت تعني في الأصل "أبيض" ثم "أبــرص" فــيما بعد، إذ أن هذا المرض المرعب يكوّن في إحدى مراحله شيئاً يشــبه طبقة بيضاء على الجلد. فإن HIVRaH، باعتباره المسيا، يتطابق مع مصير الشخص المريض.

سبق أن رأينا فيما يتعلق بمزمور ٢ أن *مدراش راعوث*، وهو أحد أوائل المدراشيم، يبحث باستطالة "الوليمة المسيانية" التي سيتم الاستمتاع بها يوماً ما فــي "العالم الآتي". يتحدث ذلك الوصف، الذي يتأسس على راعوث ٢: ١٤، عن كل من "الخبز" و"الخل" وهما يرتبطان بالآلام المسيانية بشكل متكرر. فإن "قطعــة الخبز" التي قدمها بوعز هي "خبز الملكوت"، كما أن *"الكلمات "اغمسي لقمــتك في الخل"* هي *نفس الآلام التي كُتب عنها: "مجروح لأجل معاصينا""*[٦٢]. كــان هــذا الوصف للوليمة على ما يبدو هاماً جداً في زمانه، إذ أن *المدراش علــى اللاويين*، وهو مرة أخرى أحد المدراشيم الأوائل، يتعامل معه أيضاً في ســياق الفكــرة المسيانية[٦٣]. *إن هذه الحقيقة، وهي أن التوقع المسياني لأوائل المدراشيم يربطه بإصحاح ٥٣ من إشعياء، تشهد لطابعه المسياني.*

كذلــك فــإن تقــليد الزهار، وهو أحد مصادر الأحبار التي تُعتبر أقل خضوعاً للرقابة نســبياً، *يقدم مادته الخاصة عن التفسير المسياني لإشعياء ٥٣*. فوفقاً للزهار، كان للمسيا كوخ صــغير فــي جنة عدن يُدعى "عش الطير"، وحينما رفع عينيه ورأى أن "الآباء قد دخلوا إلى هــيكل الله الــذي كان قد خرب" وأن "الدموع كانت على وجنتي راحيل"، *"عندئذ رفع صوته*

---

٦٢. *Midrash Ruth Rabbah, parasha* ٥.
٦٣. *Vayikra Rabbah*, par ٣٤.

ويكــى كثيراً حتى أن الجنة اهتزت وناح جميع الأبرار الذين كانوا معه ويكوا معه"[٦٤]. ربما يشــير ذكــر الفردوس هنا كذلك إلى مملكة الموت. هناك أيضاً بحث في أقدم المدراشيم عن حقــيقة أنه *في نفس الوقت الذي كانت إسرائيل تبني فيه الهيكل، أمر القدوس ملائكته أن يبنوا "ســقيفة فــي الفردوس للشاب الذي يُدعى ميتاترون، حتى يتمكن من نقل أرواح الأبرار إلى الله لأجل التكفير عن خطايا إسرائيل التي ارتكبوها أثناء تشتتهم*"[٦٥].

يحــق أن نقــول أن الــزهار، الــذي لا يُعتبر تقليداً خالصاً من القرون المســيحية الأولى، قد تلقى مكانة لائقة إلى جانب التلمود في كل من اليهودية الشرقية والغربية. فهو يعكس الحركات الداخلية في قلب اليهودية. وأحد أفكار الزهار على إشعياء ٥٣ هي التالية:

"ســوف تصــل الأرواح المــرتحلة وتخبر المسيا [عن حياتها]، وعندما يصــفون له الآلام التي يعاني منها إسرائيل في تشتته، وأنهم مذنبون لأنهم لا يتمنون معرفة ربهم، فإنه سيرفع صوته ويبكي بالنيابة عن هؤلاء المذنبين في ذلــك، كمــا هو مكتوب: "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا". عندئذ سوف تقوم تلك الأرواح وتقف في مراكزها. هناك قلعة في الجنة تُدعى "بيــت المرضى". في ذلك اليوم يدخل المسيا إلى تلك القلعة ويصيح، "لتأتِ كل أمراض وآلام إسرائيل عليّ" وسوف تأتي عليه. فلو لم يخفف من آلام إسرائيل ويحملهــا علــى نفســه، ما كان أحد يقدر أن يتألم بالنيابة عن ظلم إسرائيل، المكتوب عنه في التوراة: "وهو مكتوب: بالحق قد حمل أمراضنا""[٦٦].

كمــا نــرى، فإن أسفار الأنبياء كذلك تُعامل هنا باعتبارها "التوراة"، التي تعني حرفياً في العبرية "التعليم".

إن العهد الجديد يفسر إشعياء ٥٣ باعتباره يشير إلى يسوع[٦٧]. لا يكون ذلك ممكناً بالطبع إلا لو كان قد تم التعامل معه مسيانياً في وقت كتابة العهد الجديد.

---

[٦٤] الزهار، أورشليم ١٩٧٠، شرح *Sullam*، المجلد الرابع، "على مجيء المسيا"، ص ٣٦.
[٦٥] *Midrash Bamidbar Rabbah*, par. ١٢.
[٦٦] *الزهار*، طبعة أمستردام، شيوث، ص ٩٨، انظر أيضاً تثنية ٢٨.
[٦٧] مثلاً متى ٨: ١٧، لوقا ٢٢: ٣٧، أعمال ٨: ٣٢ أو ١ بطرس ٢: ٢٢-٢٥.

إن فكـــرة الكفـــارة نفسها متأصلة في اليهودية. إذ يتحدث سفر اللاويين، الذي يعتبره لوثر السفر الأكثر إنجيلية ضمن أسفار العهد القديم، في إصحاحاته الخمسة الأولى عن فروض ذبائحية متعددة. والكلمات العبرية المستخدمة لهذه الفـــروض تكشف الذي نحن بصدده في أساسه. فإن الإصحاح الأول يبحث في "قرابيـــن المحـــرقة"، *olah* فـــي العـــبرية. ويعني الأصل "التربية". ويصف الإصـــحاح الثانـــي "قرابين الحبوب"، *min hah* – وتأتي كلمة *menuhah*، "راحـــة" مـــن نفـــس الأصـــل. ويستعرض الإصحاح الثالث "قربان الشركة"، *shelamim* – المرتبط بكلمات "السلام"، *shalom*؛ و"تسديد الدين"، *shilum*؛ و"الكمـــال"، *shalem*. ويـــتحدث الإصحاح الرابع عن "قربان الخطية"، الذي تُســـتخدم فيه كلمة *het* لأجل "خطية" – وربما تكون تطوراً للكلمة التي تعني "حـــائط فصل": إذ أن الألفاظ المطابقة في اللغة العربية هي قريبة من بعضها *hataya* و *hit*. ويركز الإصحاح ٥ على وصف "قربان الإثم". فإن هذه الكلمة *asham* تعني حرفياً "إثم". بالإضافة إلى ذلك، يتحدث العهد القديم عن "الذبيحة الكاملـــة"، kalil – إن الكلمة هي اشتقاق من *kol* أو "كل". وكلمة "ذبيحة" في العبرية، *lehakriv*، تعني "الاقتراب".

كانـــت المناسبات الذبائحية في العهد القديم تُعتبر احتفالات عامة عظيمة يجتمع فيها الناس مع عائلاتهم وأسباطهم. فقد كانوا يتمنون أن "يقتربوا" إلى الله وإلـــى بعضـــهم بعضاً: حتى "يتربوا"، ويختبروا "الراحة و"السلام"، ويكسروا "حوائـــط الفصـــل" بين بعضهم ويُعتقوا من "الإثم". وكان "قربان الإثم" يتضمن الاعتراف بآثامهم. إلا أن الإصحاح ١٦ بصفة خاصة، الذي يتعلق بيوم الكفارة العظـــيم، كان مكرساً بأكمله "لتكفير" الخطايا. فقد كان على هارون أن يعترف "بنجاسات بني إسرائيل وسيئاتهم مع كل خطاياهم" – ويضعها على رأس تيس المحـــرقة. وكان محكوماً على ذلك "المكفِّر" الرمزي أن "يحمل كل ذنوبهم إلى أرض مقفـــرة" فـــي الـــبرية ليموت. فقد كان الأمر الأساسي هو: "من جميع

خطايـــاكم أمام الرب تطهرون". لقد أحب لوثر هذه العبارة "أمام الرب"، وهي في اللاتينية، CORAM DEO.

تشير الكفارة على وجه الخصوص إلى إثمنا أمام الله. فإن ١ صموئيل ٢: ٢٥ يسأل، "إذا اخطأ إنسان إلى إنسان يدينه الله فإن اخطأ إنسان إلى الرب فمن يصـــلي من أجله؟" ويجيب عمل المسيح الكفاري عن سؤالنا: "إن الله كان في المســـيح مصالحاً العالم لنفسه". لقد كان يسوع هو "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" "لأنه هكذا أحب الله العالم".

لكن ما الذي يعتقده يهود اليوم بخصوص الكفارة؟ إن الفهم العام اليوم هو أنه بعد خراب الهيكل فإن الصلاة والصوم يحلان محل كفارة من نوع خاص. فالـــيهودي التقـــي يصلي كل صباح من كتاب صلاته *Sidur*، *"يا رب الكون، أنـــت قـــد أوصيتنا أن نقدم الذبيحة الدائمة في وقتها وأقمت كهنة ولاويين في وظائفهم وفي مكانتهم الخادمة، والآن قد خرب الهيكل بسبب خطايانا، وتأجلت الذبـــيحة الدائمة وليس لدينا كاهن أو لاوي عاملاً في وظيفته .. لتكن مشيئتك إذن .. أن حديـــث شـــفاهنا يُعتبر هو ذبيحتنا*. ويشدد التلمود على حقيقة أنه *"حـــتى مـــوت البار يمكن أن يكون كفارة"*. وقد أُثير السؤال في أحد الأبحاث، *"كـــيف يمكن لموت هارون أن يكون له تأثير على ثياب الكهنوت؟" وهذا يعلِّم أنـــه كمـــا أن ثـــياب الكهنوت تمتلك تأثيراً كفارياً، فإن موت البار يقدم كفارة أكثر"*[٦٨]. كذلك *فإن الأعمال الصالحة* في ذاتها لديها مغزى كفاري عند اليهود.

ومع ذلك، ففي يوم الكفارة العظيم بوجه خاص يشعر اليهودي أن خطاياه يجب أن تُغفر أمام الله. في ذلك اليوم أحياناً يُذكر إشعياء ٥٣ كذلك: فبالرغم من أنه مفقود مـــن القـــراءة السنوية من الأنبياء، إلا أنه يظهر في صلاة بارزة تُقرأ في المجمع. يحتوي كتاب صلاة الأعياد المنفصل، *Mahzor Rabbah*، على صلاة أدبية ألفها الحبر أليعازر هاكالير ربما تكون من القرن التاسع ق م، لكنها وفقاً لبعض الخبراء

---

[٦٨] ***Mo'ed Katan* ٢٨a.**

الإسرائيليين ربما تكون من القرن السادس[٦٩]. تبدأ الصلاة بصيغة شعرية: *"في ذلك الوقت، قبل الخلق، كان قد أقام بالفعل الواحة والينون Yinnon" – تشير كلمة "واحة" إلى الهيكل، "و"ينون" إلى المسيا، الغصن.*

ونقــرأ في الجزء الرئيسي من الصلاة: *"عندئذ، كان قد أقام بالفعل الهيكل والمسيا قبل الخلق [تفسير الأحبار] .. لقد تحول المسيا برنا عنا، إننا مهتزون، ولــيس بإمكاننا أن نجد أحداً ليبررنا. إن نير خطايانا وتعدياتنا ثقل عليه؛ لكنه جُــرح لأجــل تعدياتــنا، وعانى من حمل آثامنا على كتفيه؛ هناك إذن غفران لخطايانــا. بحــبره شُفينا؛ لقد حان الوقت لخلق خليقة جديدة إلى الأبد. أرسلوه مرة أخرى من الدوائر؛ أعيدوه من سعير، حتى يمكننا أن نسمعه في لبنان مرة أخرى من خلال ينون. إنه هو إلهنا، أبونا، ملكنا؛ هو مخلصنا وسوف يحررنا ويفدينا للمرة الثانية ويدعنا نسمع عن نعمته مرة ثانية على مرأى من الجميع، كما قيل: "أخلصكم في النهاية كما في البداية كي أكون إلهكم"* [٧٠].

إن هــذه الصلاة المصاغة بلغة ملغزة نوعاً ما تقول أن "المسيا برنا" قد تحول عن شــعبه. يوحد الحبر سعدية جاون لفظ المسيا هذا مع مفهوم ابن الإنسان[٧١]. وبالرغم من أن الشــخص الذي يصلي مهتز إلا أنه يدرك أن المسيا قد سبق وحمل أثقاله. لذلك فإن الغفــران ينشــأ من خلال تحقيق إشعياء ٥٣. وبهذه الطريقة تحدث *"الخليقة الجديدة"* [٧٢]. تُعــرض فكــرة "الدائرة" من خلال كتاب الصلاة نفسه باعتبارها تعني *"دوائر الأرض"*. *أمــا "سعير" فهو اسم سري لروما، مركز المسيحية،* التي يجلس المسيا فيها وفقاً للتلمود "مــع الفقــراء والمرضـــى". *ويعني "لبنان" الهيكل* الذي "يبيّض" خطايا الناس بواسطة

---

[٦٩] انظر آرثر و. كاك، *الرجاء المسياني*، ص٨٣ أو أهارون ميرزك الذي يضعه في القرن السادس ق م في كتابه *Reshith ha-piut*، (أورشليم ١٩٦٨، ص٨٧).

[٧٠] *Mahzor Rabbah ليوم الكفارة العظيم*، طبعة أشكول ص ٣٣٠، شكل الكلمات هو ذلك الخاص بالصوات السفردية.

[٧١] ميكراوث جيدولوث على دانيال ٧: ١٣.

[٧٢] انظر مثلاً غلاطية ٦: ١٦ و٢ كورنثوس ٥: ١٧.

نبـــائحهم، حيـــث أن أصل الكلمة *laban* يرادف "أبيض". يكرر المصلي أن *الله سوف يخلـــص شـــعبه "مـــرة ثانية"*. فهل يمكن أن تكون فكرة الحبر سعدية جاون هنا أن ابن الإنســـان سوف يعود في مجده؟ وبما أننا ذكرنا "المجيء الثاني" المحتمل للمسيا يجب أن نشـــير هـــنا إلى حقيقة أن كتاب الصلاة *sidur* يحتوي على صلاة لكلا من صباح أيام الأســـبوع ومســـاء الســـبت توجد فيها طلبة *لتكن مشيئتك .. أن نستحق ونعيش ونرى ونرث الصلاح والبركة في يومي المسيا"* [٧٣].

لا زال إشـــعياء ٥٣ لديه سمتان رئيسيتان أكثر يتميز بهما الإصحاح بأكمله. *أولاً*، صـــورة *المســـيا المتألم سوف يجفل لها جيله*: "لأنهم أبصروا ما لم يُخبروا" ،"من صدق خـــبرنا؟" – أي لـــيس هـــناك شـــك في الفكرة المألوفة، الموجودة لدى الأمم المحيطة بإســـرائيل القديمـــة، عن إله ميت ومقام. وهكذا حتى لا يروه كان "مستر عنه وجوهنا". وكـــان "محـــتقر فلم نعتد به". فقد قال الأحبار أنه كان مروعاً جداً حتى أنه لم يكن أحد يحـــتمل النظر إليه. "من الضغطة ومن الدينونة أُخذ. وفي جيله من كان يظن؟" إن هذه الحقـــيقة في حد ذاتها أنه كان "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه" ربما تساعد الشخص المـــتألم الذي يشعر بأنه فقد حتى قيمته ككائن بشري وإنسانيته. وتلك صورة توضيحية لكـــون أكـــثر الأشخاص إذلالاً في الجنس البشري، والبرص، قد تلقوا عوناً من خلال هـــذا HIVRah. فـــإن ذلك الشاب الأرستوقراطي الغني فرانسيس الأسيزي، بعد لقائه مـــع يســـوع، كـــان يركـــب في أحد الأيام إلى منزله عندما رأى أبرصاً على جانب الطـــريق. فملأت محبة الله قلبه وترجل وذهب إلى الرجل واحتضنه. وسريعاً ما وجد نُـــزلاً مخصصـــة لمثل هؤلاء المتألمين، كذلك فعلت بعض الراهبات في أثره، وقد قاد جميعهم في النهاية إلى الانتصار على البرص في أوروبا.

---

[٧٣] Eg. *Sidur ha-shalem*, Beit Rafael publication, T-A, pp ١٠٥ and ٢٧٣.

الســمة الأساســية الثانية هي في استخدام ضمير المذكر الغائب وضمير *المــتكلم الجمع*: "لكن أحزاننا حملها"، "وهو مجروح لأجل معاصينا". "وبحبره شفينا". "والرب وضع عليه إثم جميعنا". "ضُرب من أجل ذنب شعبي. يحق أن نقول إن ضمير المذكر الغائب في هذا المقطع الأخير، *lamo*، يمكن أن يعني كلا من المفرد والجمع. وهكذا فإن ابن عزرا، على سبيل المثال، يفسر المقطع باعتباره، "ضُربوا من أجل ذنب شعبي". ومع ذلك، لو أننا نمارس تفسيراً هذه طبيعـــته حـــتى نتجنب الفكر الخاص بالمسيا الفرد، فإننا في الواقع نقفز خارج المقـــلاة لـــنجد أنفسنا في النار، لأن ذلك سوف يعني أن شعب إسرائيل يتلقون عقاباً عن خطاياهم الخاصة. يتمنى راداك أن يتجنب هذا الانطباع، عندما يقول "يجـــب أن تفكر كل أمة بشأن حقيقة أنهم سوف يُعاقبون لأجل خطاياهم". ومع ذلـــك، فإننا يجب أن نرى خلف آلام يسوع كلمات إشعياء: "أما الرب فسُر أن يســحقه بالحـــزن" – فكثيراً ما كرر يسوع العبارة اليونانية أنه "كان يجب" أن يتألم حتى يكفر عن خطايانا.

لقـــد ذكـــرنا فـــي بداية هذا الفصل كلمة موسى الشيخ الشهيرة أنه، *علـى أساســـات "شـــهادة التقلـــيد" يحق لنا أن نرى المسيا في عبد الرب المتألم. وقد أضـــاف كذلك أن "هناك آلاماً تنتج عن الخطية وأخرى تنبع من المحبة، وذلك عندما يتألم البار لأجل خطايا جيله .. وهنا يُجبر الإنسان البار والبريء، الذي لم يرتكب خطية، على أن يحمل خطايا جميع الأشرار، حتى يمكنهم أن يفرحوا فـــي حين أنه يكون مملوئاً بالأسى، ويُحفظون في صحة جيدة بينما يكون هو مســحوقاً ومضروباً .. وهذا يشهد للمسيا الملك الذي سيتألم لأجل خطايا بني إسرائيل، وسوف تكون أجرته معه"*[٧٤].

---

[٧٤] مقال ألكسندر ماكول، نُشر بالعبرية. على إشعياء ٥٣، لندن ١٨٩٩، ص ٢٢. انظر أيضاً إشعياء ٦٢: ١١.

لقــد رأيــنا أن الكــتاب المقدس يهب قرن الوفرة إذا جاز التعبير. فإن جذور الإيمان المسيحي توجد بالفعل في العهد القديم. وقد نشأ وعظ الرسل من القناعة بأن "الأسفار المقدسة قد تمت" في المسيح. وبهذه الطريقة بنوا جسراً بين العهدين القديم والجديد. ففي الفهم اليهودي، كان موسى هو أبو الأنبياء. ولم يكن فقط "الناموس" يُرَ في التوراة بل الرسالة النبوية أيضاً. فعندما تحدث يسوع عن نفسه في ضوء ناموس موسى، والأنبياء والمزامير، بإمكاننا أن نرى أن هذه النقطة للارتحال كانت طبيعية جــداً. تتكرر العبارة الكلاسيكية أن العهد الجديد "مختبئ" في القديم، وقد تمكننا من رؤية ذلك فيما يختص بكل معتقدات الإيمان المسيحي. بل أننا يمكننا أن نجد المسيح المتألم في كل العهد القديم.

وحيث أننا، كما أثبت الباحثون، نفكر بشكل عام على هيئة صور بدلاً من الكلمــات، فقد حاولنا في كل المواضع أن "تنير" عرضنا عن طريق أخذ أمثلة توضــيحية من الحياة الواقعية. لقد كان إشعياء ٥٣ نقطة تحول في حياة كثير من اليهود. وأحدهم هو الحبر جوزيف ربينوفتش، مؤسس "كنيسة العهد الجديد بإســرائيل" فــي روســيا. وقــد شــارك، ضمن أحداث أخرى في حياته، في اجتماعات مودي بالمعرض العالمي في شيكاغو عام ١٨٩٣[٧٥].

وقــد هرب ربينوفتش إلى فلسطين من مذابح روسيا المنظمة عام ١٨٨١ ولديــه نــية تأســيس مستعمرة هناك. وكان قد تلقى كتاب عهد جديد من أحد أقاربــه، باعتــبار أن هذا الكتاب كان "أفضل كتب الإرشاد للأرض المقدسة". وفي أحد الأيام تسلق جبل الزيتون ونظر على وادي قدرون من الجانب الآخر لأورشليم، وعندئذ قفز إلى ذهنه سؤال، "لماذا كانت ولا زالت مدينة داود بائسة

---

[٧٥] و. ر. مودي، *حياة دوايت ل. مودي*، ص ٣٦١.

طوال هذه القرون؟ لماذا عاش الناس فترة طويلة في تشتتهم؟ لماذا نعاني من هذه الاضطهادات مراراً وتكراراً؟"

وبينما كان يفكر في هذه الأمور استقر بصره على تل الجلجثة. وبرزت كلمات إشعياء النبي في وعيه. فكرر عن ظهر قلب: "لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً". في نفس اللحظة انكشف لذهنه أن يسوع هو المسيا الموعود الذي تألم ومات لأجل خطايا شعبه. وقد غيَّر هذا الإدراك حياته بأكملها. وعند رجوعه إلى روسيا كان يبشر في كل مكان بأن "مفاتيح الأرض المقدسة هي في يدي أخينا يسوع، وكلماته متأصلة في قلوبنا، حيث تثمر ثمار البر".

ماذا نقول إذن عن ذلك؟

كان المعلمون لديهم عادة في زمن يسوع وهي أن يسألوا سامعيهم دائماً بالآرامية في النهاية: "Mai ka mashma lan?" التي تعني "ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة لنا؟". يقول بولس أيضاً وفقاً لنفس العادة خمس مرات على الأقل في رسالته إلى رومية: "فماذا نقول؟"[٧٦].

ففي مواجهة كل دراسة يجب أن نسأل أنفسنا إن كان عرض المشكلة منطقياً وله صلة بالموضوع:- هل تغطي معالجة الموضوع كماً واسعاً من المعلومات بدرجة كافية؟ هل تعتبر مثل هذه الطريقة في التعامل مع المعلومات منصفة بالنسبة لطريقة تفكير الفترة التي ندرسها؟ هل يمكن لهذه الأشياء أن تُطبق ويتم إسقاطها على يومنا الحالي بأية حال؟

إننا ننسى أحياناً الطابع الجوهري للكتاب المقدس ونطلب منه متطلبات تتجاوز ما يقدمه هو نفسه. فالكتاب المقدس هو أولاً وفوق كل شيء مكتبة تحتوي حرفياً على كم "لا حصر له" من الأشياء. ومن الصعوبة لأي شخص أن يقدم دون تحضير محاضرة شاملة

---

[٧٦] رومية ٤: ١، ٦: ١، ٧: ٧، ٩: ١٤ و٣٠.

عـــن أي مـــن أسفار العهد القديم؛ لكن العهد الجديد من هذه الناحية أكثر ألفة بالنسبة لنا. كذلك فـــإن الكـــتاب المقـــدس هـــو "قدس" لا يمكن أن تُقدر تماماً قيمة نوافذه الجميلة ذات الزجاج المـــنقوش ســـوى من الداخل. لكن الأمر الأكثر أهمية هو معرفة رب هذا القدس. إن مارك شـــاجال مصـــمم الإكليشيهات اليهودي الفرنسي الشهير لأفكار الكتاب المقدس قال ذات مرة إلـــى زمـــيله الـــنقَّاش، "يجـــب أن نرنمه ونصيح به – ذلك هو الكتاب المقدس!" ويمكننا أن نضيف نحن على ذلك، "يجب أن نصليه، ونعيشه، إنه دليل الحياة!"

لكنـــنا نعلّـــم أيضاً أن الكتاب المقدس هو كلمة الله *"الموحى به"*. فالبعض يـــتحدث عن وحي شفهي؛ والبعض يقول أن الكتاب المقدس يحتوي فقط على كلمـــة الله. إن عقيدة الوحي تبدو غريبة تماماً بالنسبة للآذان اليهودية المتعلمة وقـــد تسببت في كثير من الجدل بالغرب أيضاً. لذلك سوف يكون من الأفضل استخدام كلمات العهد الجديد في ٢ تيموثاوس ٣: ١٦

"كـــل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر" (هامش RSV).

تســـتخدم اللغة اليونانية كلمة *theopneustos* هنا، وهي تعني "تنفس به الله" (NIV). وهكذا يشدد بطرس في رسالته:

"عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بطرس ١: ٢٠-٢١).

نحـــن لدينا هنا مفاتيح عقيدة الوحي، فالحرفية التي لا يمكنها أن ترى فيما وراء حـــروف الأســـفار المقدسة هي من الأقارب الروحيين المقربين لليبرالية التي تثبت اهتمامها أيضاً على الحرف كي تمحيه من الكتاب المقدس. وقد ذكَّر بولـــس معاصـــريه، الذين كان لديهم "اهتمام غير صحي بالجدل"، أن "الحرف يقتل لكن الروح يحيي" (٢ كورنثوس ٣: ٦). أما بالنسبة لنا فإن كلمة العهدين القديم والجديد وحدها موحى بها، لكننا ممتنون لكل تلك النصوص الأصلية منذ وقت المسيح تقريباً التي تلقي الضوء على جذور إيماننا.

لا ينبغي على المسيحي أبداً أن يستخف بأي نقد يبحث بأمانة عن الحقيقة وهو واعٍ بمحدودياتـــه الخاصـــة. إذ أن بطرس يقول "الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء"، وأنهم كانوا "باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الـــذي فـــيهم ..". وقد أُعلن ذلك للكنيسة "بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء. التي تشتهي ملائكة أن تطلع عليها" (١ بطرس ١: ١٠-١٢). ويجـــب ألا توضـــع الكلمـــة المكتوبة بالطبع إلى جانب "الصوت الداخلي"، بل في الأنظمة المهتمة بالأفكار والحقائق الفردية، التي ينتمي إليها اللاهوت، كما أن موضع الرســالة يجب أن يوجد دائماً في ضمير الإنسان. فمن الضروري دائماً لممارس اللاهوت أن يكون واحداً مع موضوعه.

إن الكتاب المقدس هو أيضاً عهد. فالعهد القديم ليس "قديماً" بصفة خاصة، كذلــك لــيس الجديد "جديداً" بصفة خاصة – لكن كلاهما معطى لنا بين نفس الغلافيــن. فالورثـــة ليس بإمكانهم تغيير شكل أو معنى الكلمات في الوصية – والشـــهود هم الذين يعتنون بذلك. بنفس الروح يقول بولس أننا يجب أن نكون "ملازمين للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم" (تيطس ١: ٩).

عـــندما نـــتابع الوضع في العالم المسيحي فإننا لابد لنا من الاعتراف بأن مـــياه بيـــت حسدا قد "تحركت" مرة أخرى. فكثيراً ما يذكِّر اللاهوت بالرقصة الشعبية الإسرائيلية، *hora*، التي يتخذ فيها المشاركون خطوتين للخلف مع كل خطـــوة للأمـــام، إلا أن الانطباع المعطى هو أن دائرة الراقصين بأكملها تدور بســـرعة إلـــى حد كبير. ربما يكون تأرجح البندول قد وصل تقريباً عند طرفه لكنـــنا ســـوف نعود عن قريب إلى أقرب نقطة أصل. فعند بداية القرن بالفعل، عـــندما كانت المدرسة المدعوة "أسطورية"، التي أنكرت حتى تاريخية يسوع، غالـــبة فـــي ألمانيا، نشر عالمان يهوديان شهيران، ليو بيك وجوتليب كلاين، أطـــروحة تقـــول بأن أزمة المسيحية قد نشأت في المقام الأول من جهل النقاد بالـــيهودية الخاصة بزمن المسيح. إن معرفة الأدب الحبري القديم ليس عاملاً محورياً بما أن العهد الجديد في شكله المكتوب هو بالفعل المصدر الأكثر وثوقاً مـــنذ فترة الهيكل الثاني. كما أن كثيراً من المقاطع التي بحثناها يمكن أن تُفسر

بطريقة أخرى، لكن لو أنها تكررت عدة مرات في الكتابات القديمة فعندئذ تكون لها قيمتها الخاصة باعتبارها شهادات.

ذكر أحد اللاهوتيين القياديين بشأن الجدل الكتابي الحالي أنه يبتغي أن يكون البحث الكتابي أكثر انتقاداً مما هو عليه. فهو يقول، "هذا يعني أيضاً أن النقد ينبغي أن يتبنى على الدوام اتجاهاً انتقادياً وخاصة لافتراضاته وطرقه الخاصة والوثوقية بها ومحدودياتها". ولهذا السبب تعاملنا مع أسئلة المنهجية سواء منذ البداية أو طوال العرض، حيث أن اختيار مادة أصلية ملائمة هو أيضاً جزء ضروري من المنهجية.

إن الجميع يعرفون أن الكمبيوتر لا يخرج سوى ما "تغذى" به، وهو يقوم بذلك حتى وفقاً للمبادئ التي يأمر بها العامل. كذلك فإن الإنسان أيضاً محدود بهذه الطريقة ومرتبط باتجاهاته الأساسية. إن مشكلة اللاهوت الغربي هو أنه نشأ عن الفكر الفلسفي اليوناني واستمر على أساس مفردات العهد الجديد اليونانية، عاكساً رسالة الإيمان المسيحي على ضوء علم الأساطير اليوناني الذي تختلف عنه بالطبع فحوى العهد الجديد. نشرت في الخمسينات أطروحة دكتوراه بعنوان "الفكرة العبري بالمقارنة مع اليوناني" للنرويجي ثورليف بومان، ونسخت منها منذ ذلك الوقت وحتى الآن أربع طبعات حتى باللغة اليابانية، كما أنها تُرجمت إلى عدد من اللغات الأوروبية[٧٧]. يشدد بومان على أن "السمع"، و"الفعل"، والسمات "العملية" هي نموذجية بالنسبة لليهودي، في حين أن الفكر اليوناني يتحرك أكثر في مشاكل أيديولوجية "مفاهيمية" أو "مجردة". وبحسب كلمات بولس، فإن "اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة". ليس هناك فعل "كينونة" محدد في العبرية بنفس المعنى الموجود في اللغات الأخرى. فإن العبرية تقول "Me Tarzan, you Jane" أي "أنا تارزان، أنت جان" عند التعبير عن "أنا أكون". فالفكر العبري ليس مجرد حالة ثابتة بل فعل وديناميكية، يشهد عنها أيضاً علم النحو العبري. وحتى لو لم

---

٧٧ **Thorlief Boman,** ***Das Hebraische Denken im Vergleich mit dem griechischem*****, Gottingen ١٩٦٨, p٥**. انظر أيضاً دراسته، ***Europas kultur og den jodiske arv*****, Oslo ١٩٧٢**.

نتمكــن مــن الموافقة على كل جوانب الطريقة التي يصف بها بومان جوهر الفكــر العــبري، يجب أن نتذكر أن اليهودي ليس محتاجاً لأن يثبت وينظِّر ما يشــعر بأنه حقيقي وجودياً. فالنقد الكتابي النظري، الذي تُحدد فيه أولاً "شفرة" تُعــرض علــيها الأناجــيل مثلاً لرؤية ما الذي يمكن التصديق عليه باعتباره كلمات يسوع، ربما ينتقد بعنف كل شيء بدون إيجاد جوهر الأمر فعلياً. ينبغي علينــا بحســب طــريقة التفكير العبرية أن "نستمع" لما يُطرح ونسأل إن كان "ســينجح" فــي "الممارسة الفعلية". إن المسيحية هي "تلمذة" و"حياة". إنها خبز ومــاء. وهي تسير في النور. فقد قال يسوع قبل كل شيء إن من يعمل مشيئة أبــيه الســماوي، سوف يعرف إن كان التعليم من الله أم أنه يتحدث من نفسه. تظهــر كلمــة تلمــيذ ٢٦٤ مرة في العهد الجديد. فبهذه الطريقة تُرى العقيدة والحياة باعتبارهما واحداً.

عــندما نســترجع هــذه الشهادات من التفسير اليهودي للعهد القديم الذي عرضــناه نصــبح مقتنعيــن بقدر ما على الأقل أن المجمع الأقدم والنصوص الأصــلية الأقــدم والأقــل عرضة للرقابة تتحدث عن نفس النوع من الرجاء المســياني الــذي نجده في العهد القديم. يمكننا فقط أن ندرس من وجهة النظر العلمــية إذا كــان العهد الجديد يعكس بأمانة فكر زمانه. لو كان الأمر كذلك، عــندئذ يمكنــنا أن نــثق فيه. ففي بعض الأحيان يحاول الناقد أن يشق طريقه بــالقوة نحــو المعبد اللاهوتي محدثاً فوضى أينما يذهب. إلا انه عندما يصبح مقتــنعاً هــو نفسه بأصالة العهد الجديد يحدث تغيير فيه. كانت تلك هي حالة جــون أ. ت. روبنسون أسقف ولويش على سبيل المثال، الذي أراد أن يكون "اميــناً مــع الله". فعندما واصل بحثه بدون تحيز في فكر العهد الجديد استنتج تقريــباً نفس تدرج الوقت لإعادة تأريخ الأناجيل كما في "مدرسة أورشليم" التي ســنتحدث عــنها فــي الجزء الخاص بالعهد الجديد. إن ترسيخ التاريخ المبكر لكتابة الأناجيل قد عنى بالنسبة له، وفقاً للجرائد، أنه كان يجب عليه أن يسحب ادعاءاتــه الســلبية الأولــى بالرغم من أنه لا يُذكر بصفة عامة سوى بمرحلة *طفولته الرهبية*، إذ أنها كانت لها قيمة حسية أكثر.

لقد كان الأمر الرئيسي في دراستنا هو الاقتباس من تفسيرات الأحبار المرتبطة بجذور وأسس إيماننا. هناك في الحقيقة مقولة بالعبرية تقول لو أننا اقتبسنا من الحكماء "بأسمائهم" أو *be-Shem omro* فإننا سنمرر الخلاص إلى العالم. قال لي مارتن بوبر في زمانه في مناقشة إن "مقياسه الوحيد هو أذنه"، ونحن نترك القارئ نفسه كي يكتشف إن كانت الأمور التي عرضناها لديها ارتباط بموضوع رسالة العهد الجديد أم لا. وهكذا فإنه متروك للقارئ أن يقرر إن كان كلوسنر محقاً في إنكار الإيمان بمسيا شخصي والإصرار على أن إشعياء ٥٣ يجب أن يُدرس فقط باعتباره صورة عن معاناة شعب إسرائيل".

عندما نسترجع عرضنا فإننا نرى سمات المسيا فوق التاريخية في ضوء العهد القديم وتفسير الأحبار. وبالرغم من أن اليهودية تسعى إلى تجنب كل مناقشة عن مسألة المسيا، إلا أن هذه المصادر تحتوي على كل التفسيرات التي يؤسس عليها العهد الجديد كريستولوجيته. إن تفسير الأحبار للمسيا في أقدم سماته يتأصل في رواية الخلق ووصف السقوط، وهو يعد أنه يوماً ما سوف يكون هناك "استرداد" "تُصحح" فيه الإعاقة التي تسببت فيها خطية الجنس البشري. كما أن أصل المسيا، وميلاده، وشخصيته، ووظيفته، ومركزه السماوي باعتباره وسيط الله، ولاهوت اللوجوس، وعمله الفدائي والقيامة، عندما يُبتلع الموت جميعها تنعكس في هذه المصادر. بل أنه باستطاعتنا أن نسلط الضوء على عشاء الرب الذي يُرى باعتباره "وليمة المسيا" التي سيتم الاستمتاع بها يوماً ما في الأبدية. وأن عقيدة التثليث كذلك ليست مجرد اختراع كنسي.

تظهر كثير من الأشياء في التوقع المسياني اليهودي في ثنائيات. وذلك يتناسب جيداً مع روح الكتاب المقدس، إذ أن يوسف رأى حلمين كما أن الله أعطى شعبه لوحين للشريعة. أولاً، نجد توازياً بين شخص المسيا وشعب إسرائيل في دعوته المسيانية. وقد رأينا في كتاب الصلاة تنويهاً عن "يومي المسيا". كما أن الأحبار يصفُّون معاً المسيا ابن داود وإفرايم، المسيا ابن يوسف الذي كثيراً ما ترتبط معه صورة العهد القديم عن عبد الرب المتألم. تقدم مخطوطات البحر الميت تمييزاً بين "مسيا هارون وإسرائيل"[٧٨]. كما أن

---

[٧٨] انظر على سبيل المثال جوزيف هينيمان، *مسيا إفرايم والخروج المبكر لإفرايم*، تاربيز ٤٠، ١٩٧٠-٧١ ودراسات أدب قمران في قائمة المراجع.

الأحـــبار يميزون بصفة خاصة فيما يتعلق بزكريا ٣: ٨ و٤: ١٤ بين وظائف المســـيا الكهنوتية والملكية. كذلك فقد مثل موسى وهارون هذا التمييز، بالرغم مـــن أن موسى كان أولاً المؤسس لصورة المسيانية النبوية. ومرة أخرى فإن موسى الأول والأخير، والمخلص الأول والأخير يؤكدون هذه الثنائية. وبنفس الطريقة كثيراً ما يظهر إيليا والمسيا معاً. ومع ذلك، فالتوقع المسياني اليهودي هـــو بطبيعـــته بصـــفة عامـــة "سياسي، قومي، وعالمي"[٧٩]. إن كلمات يسوع لبيلاطوس، أن مملكته "ليست من هذا العالم" تمثل وقفة مختلفة. كما أن يسوع يعطي نفسه باستمرار لعمله الفدائي بعد نضاله مع أزمته المسيانية مع المجرب في بداية خدمته العلنية.

من الصعب أن تكون كثير من النبوات المسيانية قد احتوت حافزاً مسيانياً في مراحلها الأولى. فكثيراً ما كان بالإمكان إيجاد موضوع تاريخي للمقتطفات المسيانية في الأسفار النبوية، وهو موضوع أصبح الرجاء المسياني مع الوقت مـــتعلقاً به. بهذا المعنى "فتش وبحث الأنبياء .. باحثين أي وقت أو ما الوقت الـــذي كـــان يدل عليه روح المسيح". من الخطأ بالنسبة لنا أن نحدد شروطنا الخاصـــة لـــتوقع الكتاب المقدس المسياني وأن نضيّق السمات المختلفة للرجاء المسياني. فقد تجنب يسوع نفسه التخمين الباطل بخصوص ملكه وزمن مجيئه الثاني. إن دراسة رموز الكتاب المقدس المسيانية وعالم المفاهيم كما هي تعلمنا فـــي الحقيقة كيف نفهم فكر العهد الجديد. كما أن حقيقة أننا قد نجد في الترجوم وأدب المدراش تفسيرات منذ مرحلة مبكرة جداً تساند فهم العهد الجديد يساعدنا على الاستماع بأكثر ثقة لرسالة الأناجيل.

ربما يتحير بعض القراء بسبب طريقة تناولنا لجذور إيماننا المسيحي من عـــالم الفكـــر العبري. والسبب هو أنه كان يجب عليّ أن أربط كلا من أجزاء العهد القديم والعهد الجديد لنفس هذه الدراسة لأجل جمهور قراء عبرانيين. وقد مرت هذه الطبعة التي أمامكم بكم معين من التحرير الذي ما كان ممكناً بدونه توصيل الرسالة للقراء غير العبريين. أتفهم أنني قدت القارئ إلى أرض غريبة

---

[٧٩] ج. ب. فراي، *الصراع بين مسيانية يسوع ومسيانية يهود عصره*، بيبليكا ١٩٣٣، ص١٣٣-١٤٩ و ٢٦٩-٢٩٣.

وربمـــا أكـــون قـــد ألقيت به أيضاً إلى زمن بعيد في الماضي. هذه هي "قفزة نحشـــون" التـــي سوف نقوم بها على أية حال في كل الأوقات التي نتمنى فيها جدياً أن نجعل أنفسنا تألف أسس إيماننا. لا يمكن للكاتب أن يتطلب قبول وجهة نظـــره، لكـــنه سيكون سعيداً جداً لو أنه أُعطي على الأقل آذاناً منصفة. فربما نكـــون علـــى أعتاب حقبة جديدة تماماً في اللاهوت، ما أن نبدأ في الاعتراف، في مستوى تعميقي، بمحتوى الميراث الذي نملكه في الكتاب المقدس وذلك من تربة الكتاب المقدس نفسه.

لقد صرح الكاتب واللاهوتي اليهودي الشهير شالوم بن تشورين من وقت لـــيس ببعيد أن، "الوقت قد حان بالفعل لمناقشة القضية المسيحية اليهودية علناً والـــتعامل معها بموضوعية وفي روح التسامح والديموقراطية"[٨٠]. إنهم بوجه خـــاص يهـــود مســـيانيون، أصـــدقاؤنا الذين يؤمنون بسوع، الذين يجدون أن الرجوع إلى جذورهم هام. ومع ذلك فنحن "المسيحيون الأمم" لدينا سبب أيضاً لأن نحذر لئلا ننسى المهد الفعلي لإيماننا.

عندما عقد الاتحاد اللوثري العالمي "مؤتمراً" في بوسي بأغسطس ١٩٨٢ عـــن "أهمـــية اليهودية لحياة وإرسالية الكنيسة"، كان هناك فريق يهودي قوي، وكـــان الموضوع الرئيسي هو "علاقة المسيحيين بميراثهم اليهودي". وقد شعر المؤتمـــر أن "الجمـــيع قـــد افتقروا بسبب فهم للكتاب المقدس يقلل من الجذور اليهودية". "ففي التلاقي مع اليهودية والشعب اليهودي تكتسب الكنيسة فهماً أكثر امـــتلاءاً عـــن جذورها "الكتابية الخاصة". يمكن لمثل هذا الاكتشاف أن يحدث "فرصة جديدة للإيمان" في كل نواحي حياة الكنيسة[٨١].

أتمنى حدوث هذه المعجزة بالنسبة لكتب جذورنا.

ريستو سانتالا.

---

٨٠ Shalom Ben-Chorin, ISRAEL NACHRICHTEN ١٥,٧,٧٧, *Judenchristen in Israel, ein ungelostes Problem.*

٨١ LWB-STUDIEN, *Die Bedeutung des Judentums fur Leben und Mission dedr Kirche, Bericht April* ١٩٨٣.